شؤون فلسطينية

٧١

تشرين اول (اكتوبر) ١٩٧٧

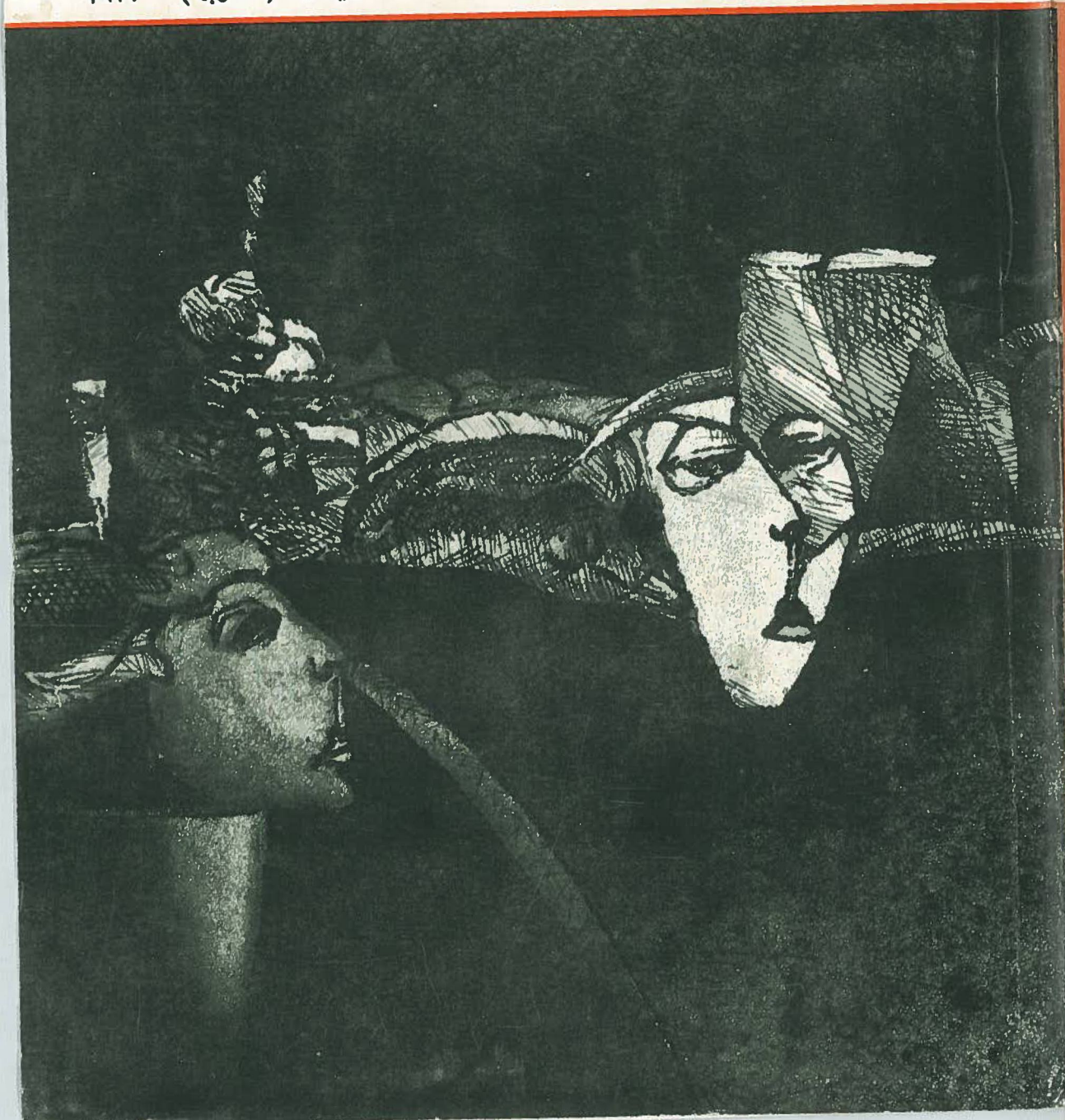

شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : محمود درويش
سكرتير التحرير : الياس خوري

٧١ تشرين اول (اكتوبر) ١٩٧٧

شهرية فكرية لمعالجة أحداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة
تصدر عن مركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية

جميع الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبيها ولا تعكس بالضرورة آراء منظمة التحرير الفلسطينية ولا المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين .

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني (متفرع من السادات) ؛ راس بيروت ، بيروت ـ لبنان ؛ ص.ب ١٦٩١ . تلفون : التحرير ٣٥١٢٦١ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ، برقيا مرابحاث ، بيروت .

مدير التوزيع : **غازي دانيال**

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٦٠ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٧٥ ل.ل. في سائر الاقطار العربية، ١٠٠ ل.ل. في اوروبا ، ١٢٥ ل.ل. في بقية بلدان العالم .

الاشتراك السنوي (بريد عادي) : ٦٥ ل.ل. في جميع الدول غير العربية .

الغلاف : تفصيل من لوحة للفنان ناصر السومي

المحتويات

الصفحة

٤ ابراهيم ابو لغد : حول سياسة امريكا الفلسطينية ٠

١٦ معن بشور : قراءة سياسية في اقتصاديات السلاح الاميركي ٠

٣٦ ميشيل كيلو : فلسطين في الاستراتيجيات السياسية ٠

٤٩ محمد المجذوب : حياد لبنان : عزله وعزلته ٠

٦٩ ناجي علوش : بندلي جوزي ، الفلسطيني الذي اعتبروه مستشرقا ٠

٨٣ يوسف ادريس : الكتابة اللهب ٠

٩١ حيدر حيدر : من هنا تمر الحر ب (قصة) ٠

٩٦ معين بسيسو : دفاتر فلسطينية (٢) ٠

١٢١ محجوب عمر : ايلول في جنوب الاردن ٠

١٤٦ حسين ابو النمل : الاحصائيات الاسرائيلية : بيانات محذوفة ، وحقائق سياسية ٠

١٦٣ شهادات : يهود مغاربة ٠

١٨١ رسائل : رسالة الارض المحتلة : ع٠خ٠ رسالة مدريد : الياس خوري ٠

١٩٣ شهريات : ١ ـ المقاومة الفلسطينية : بلال الحسن ٠

٢ ـ المناطق المحتلة : عبد الحفيظ محارب ٠

٣ ـ اسرائيليات : أ ـ حنه شاهين ٠ ب ـ توفيق فياض٠

٢٣٠ مروان حميد : جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية ٨/٧ ـ ١٩٧٧/٩/٨ ٠

ابـــراهيم أبولغـــد

حول سياسة أمريكا الفلسطينيّة

مدخـــل

ان سياسة امريكا الخارجية انطلقت وما تزال تنطلق من قاعدتين اساسيتين يمكننا وصفهما بقاعدة المبادىء وقاعدة المصالح · وفي معظم الحالات المعاصرة ترسم امريكا سياستها الخارجية مهتدية بمصالحها ، او بتقديرها لمصالحها مع ربط هذه المصالح وتبريرها وتفسيرها بمبادىء عامة يعتقد الساسة بأن الشعب الامريكي يؤمن بها ، وبالتالي لا بد من مراعاتها والاهتداء بها · وعبر التاريخ الامريكي القصير نسبيا ، نلاحظ بأن امريكا اتخذت مواقف اخـــلاقية حيال الصراعات الدائرة في اوروبا ورسمت سياستها الخارجية الاوروبية استنادا الى مبادئها الاساسية التي يؤمن بها الشعب الامريكي · وعلى سبيل المثال قام الشعب الامريكي بنصرة الشعوب الاوروبيـــة الثائرة ضـــد انظمـــة الاقطاع والاتوقراطية في القرن التاسع عشر ، وايدت حق هذه الشعوب في تأسيس نظم قومية برجوازية متحررة من الحكم المطلق المستبد او الحكم الاجنبي · الا ان امريكا في نفس الفترة الزمنية ايدت نضال شعوب امريكا اللاتينية ضد حكم الاسبان استنادا الى نفس المبادىء مع العلم بأن مصالح امريكا الاقتصادية التي بدأت بالنمو في تلك القارة كانت في الوقت نفسه تتطلب اضعاف الحكم الاسباني واقامة السيادة القطرية الضعيفة ليتسنى للشركات الامريكية حرية الاستثمار والتجارة في هذه الاقطار · وفي الحالات وهي كثيرة ـ التي ظهر بها تناقض المبادىء مع المصالح ، آثرت امريكا تجاوز هذه المبادىء لتحقق مصالحهـــا الاقتصادية · فسمحت لنفسها في حالات كثيرة في مجالها الحيوي في امريكا

الوسطى وامريكا الجنوبية ، ان تتدخل عسكريا بارسال قواتها البحرية للقضاء على انظمة حكم وطنية كانت تحاول التخلص من الهيمنة الاقتصادية الامريكية ، او كانت تطمح بتوطيد اسس استقلالها وسيادتها الوطنية ، ويلاحظ دارسوا سياسة امريكا الخارجية ، ان هذه السياسة في معظم الحالات هي محصلة الضغوط التي تمارسها فئات وقطاعات امريكية لها مصالح محددة ، على اجهزة الحكم الامريكي ، تحمل الجهاز التنفيذي على تبني وجهة نظر هذه المصالح والقطاعات الخاصة مع اعطائها تصورا وتبريرا قوميا شاملا · ومن هنا نشأ مفهوم « الصالح القومي » كأساس لسياسة امريكا الخارجية وما هو في جوهره سوى المصلحة الذاتية لقطاع قوي يهيمن على صنع القرار السياسي الخارجي ·

الوجود الامريكي في الوطن العربي

بالرغم من ان الوجود السياسي الامريكي المكثف في الوطن العربي حديث العهد نسبيا ، ويعود الى الحرب العالمية الثانية ، الا اننا يجب ان ندرك بان امريكا تواجدت في الوطن العربي وتفاعلت معه منذ نشأتها وتكوينها السياسي · ولعله من المفيد ان نذكر القارىء بأن اول تفاعل بين امريكا واجزاء من الوطن العربي كان تفاعلا حربيا بحريا ، عندما نظمت امريكا حملة حربية بحرية ضد ليبيا في اوائل القرن التاسع عشر لاخماد المقاومة البحرية العربية للعدوان البحري الذي كانت تشنه اوروبا على الوطن العربي ، كما ان امريكا قامت بحركات عدوانية بحرية ضد المغرب في اواخر القرن التاسع عشر وذلك في محاولة الغرب لاحتكار البحر الابيض المتوسط في عملية احتواء الوطن العربي والتحكم في مصائره · الا ان الوجود الامريكي الحقيقي في الوطن العربي مقرون بالحملات التبشيرية الدينية والتي تولدت عنها المؤسسات التعليمية خاصة في لبنان وسوريا والى حد بسيط في مصر · وبالرغم من ان هذه الحملات التبشيرية والمؤسسات التعليمية قامت بها قطاعات خاصة ، الا انها حظيت بتأييد السلطة الحاكمة التي دعمتها ماديا وسياسيا عبر السنوات · ويلاحظ من تابع التدخل التدريجي الامريكي في الوطن العربي ، ان امريكا حرصت كل الحرص ان تدخل الى هذا الوطن محتمية بالنفوذ الاستعماري الاوروبي – البريطاني خاصة – وحرصت دائما ان تحصل على الامتيازات الاستعمارية التي حظي بها البريطانيون والفرنسيون · فحصلت امريكا على حصانة مؤسساتها ، وعلى اعفائها من الضرائب الوطنية ، وعلى حرية الاستثمار وحرية تجارها كما لو كانت آنئذ دولة كبرى تتعامل مع الدولة العثمانية الضعيفة · فحصلت نتيجة لذلك على الامتيازات الاوروبية نفسها والتي اطلق عليها Capitulation · وخلاصة القول ان الوجود الامريكي في الوطن

العربي ، بشكله وجوهره ، ارتبط الى حد بعيد بميزان القوى السائد حينئذ والذي اكد بداية التبعية العثمانية وبالتالي العربية للاستعمار الاوروبي الذي آثرت امريكا ان تستفيد من مكاسبه وانجازاتـه · ولهـــذا تمكنت المؤسسات الامريكية في الوطن العربي ، سواء التعليمية او التبشيرية او الاقتصادية من التفاعل مع الشعوب العربية بشكل غير متكافىء ، وكان التفاعل شبيها بالتفاعل بين السيد والمسود ·

بداية الاعلام الامريكي عن الشعوب العربية

شهدت هذه الفترة التاريخية بداية الاعـلام الامريكي عن الوطن العـربي والشعوب العربية وذلك عن طريق التقارير العديدة في اجزاء من الوطن العربي ، ساهموا في بناء المؤسسات التعليمية الامريكية في اجزاء من الوطن العربي اضافة الى بعض التقارير الصحفية او الكتب الوصفية التي نشرهـــا بعض الكتاب · والصورة التي تكونت لدى القارىء الاميركي ، او ذلك المواطن الذي اراد ان يدعم العمل التبشيري في الوطن العربي ، كانت صورة قاتمة · ظهر الشعب العربي عبر هذه التقارير او الكتب وهو متخلف ، قذر ، يؤمن بدين الاسلام الذي تحاول دول اوروبا المسيحية المستنيرة اضعافه ، وهو شعب يعادي « الحضارة » الجديدة وبالتالي في امس الحاجة الى من يقوده الى مستقبل افضل · فهذا الشعب العربي المتخلف ، يفتقد الى التعليم ، يسيء الى الارض ، وهو بعيد عن الصناعة ويؤمن بالخرافات ويقبل الحكم الظالم ولا يعرف للحرية معنى · اضافة الى ان هذا المجتمع يسيء الى نسائه واطفاله الخ · ان هذه الصورة السلبية المتعددة للشعب العربي بدأت تظهر في وسائل الاعلام الامريكية في القرن التاسع عشر مما ادى في نهاية الامر الى اعتبار التدخل والتحكم الاوروبي عملا انسانيا ضروريا لخدمة الشعب العربي وربطه بالحضارة الحديثة، وبالتالي مساهمة طيبة « لانقاذه » من تخلفه وبربريته · وانطبقت هذه الصور الوصفية على الشعوب العربية عامة الا ان كثيرا من مادتها جاءت عن طريق الوصف الامريكي لما اسمته « بالبلاد المقدسة » ، التي جاءها الامريكيون بدافع ديني صرف · وما كتب عن هذه الاراضي وشعبها الفلسطيني لا يقل سوءا عن ذلك الوصف الذي ارتكز واستمد مادته من اراضي عربية اخرى كسوريا ولبنان· ويلاحظ من تتبع هذا الادب الامريكي الوصفي للوطن العربي بأن النظرة المستعلية الامريكية والتي عبرت عن احتقار الكتاب لما شاهدوه من مظاهر الحياة كانت الى حد بعيد مرتبطة بالعداء الديني للمسلمين والاسلام ·

شكلت هذه الارضية اطار التصور الامريكي الاولي لبداية صراع الشعب الفلسطيني ضد مشاريع الاستيطان الاوروبي اليهودي · اذ جاءت هذه المشاريع

الى الساحة الامريكية اثناء الحرب العالمية الاولى ، والتي ساهمت بها امريكا عسكريا وعقائديا عندما طرح الرئيس ويلسن مبدأ « تقرير المصير » كمبدأ اساسي امريكي لا بد من انجازه ومتابعته بعد هزيمة الدول المركزية ـ المانيا والامبراطورية العثمانية · وبالرغم من المحاولة الامريكية الجادة لتطبيق هذا المبدأ في اوروبا ولصالح الشعوب الاوروبية بعد نهاية الحرب ، الا ان هذا المبدأ اصطدم بحقيقة مطامع بريطانيا وفرنسا في الوطن العربي وبالرغم من ان هاتين الدولتين كانتا على اتفاق كامل حول تقاسم الوطن العربي فيما بينهما ، الا انهما اقرتا ، بناء على رغبة الرئيس ويلسن ، ارسال لجنة امريكية لتتحرى رغبة هذه الشعوب ، فجاءت اللجنة الامريكية الاولى والتي عرفت بلجنة كنج ـ كرين (King - Cran Commission) الى سوريا (والتي شملت حينئذ فلسطين ولبنان) ، وبعد زيارات ولقاءات عديدة ، قدمت تقريرها الى مؤتمر السلام ، وكان تقريرها واضحا بأن هذه الشعوب تبغي الاستقلال الكامل ، وان الشعب الفلسطيني يعارض المشروع الصهيوني الذي يهدف الى سلخ فلسطين عن سوريا ووضعها تحت الانتداب البريطاني ليحقق الحكم البريطاني وعد بلفور بتكوين الوطن القومي للشعب اليهودي في فلسطين · الا ان مؤتمر السلام لم ينظر في هذا التقرير ، كما ساهمت العناصر المؤيدة للحركة الصهيونية في وزارة الخارجية الامريكية بطمس هذا التقرير الواضح العادل وحفظه في ملفات الخارجية الامريكية ولم ير الحياة الا بعد عشرين سنة تقريبا ·

الجماعات الصهيونية ومطالب الحركة الصهيونية

وفي نفس الفترة الزمنية نلاحظ بأن الجماعات الصهيونية الامريكية ، على ضعفها حينئذ ، تمكنت من ابراز مطالب الحركة الصهيونية العالمية في فلسطين، وحققت نجاحا عبر استصدار مجموعة من القرارات في مجلسي النواب والشيوخ الاميركيين تؤيد مطالب الحركة الصهيونية في فلسطين ، وكانت هذه بداية لسلسلة من القرارات يقرها الكونجرس الامريكي سنويا لصالح الحركة الصهيونية · ويلاحظ من تتبع هذه الحقبة التاريخية من التأييد التشريعي الامريكي للحركة الصهيونية بأنه لم يرد اي ذكر للشعب الفلسطيني ، وكأن مطالب الحركة الصهيونية مرتبطة اما بالسياسة الاوروبية او بمعارضة شعوب عربية اخرى ، وكأن الشعب الفلسطيني غير متواجد على ارضه · كما ان الحركة الصهيونية استفادت الى حد بعيد من التصور السلبي للشعوب العربية والاسلامية الذي ساهم المبشرون والكتاب في نقله الى امريكا عبر وسائل الاعلام الامريكي ، وبدأت هذه الحركة بتعبئة الرأي العام الامريكي عبر هذا الاعلام لنصرة المطالب الصهيونية وتصوير الانجاز الصهيوني في فلسطين وكأنه انجاز حقيقي للحضارة

الغربية على ارض متخلفة ، تسيرها حضارة رجعية بحاجة الى من يرشدها الى الطريق الصحيح ٠

كذلك نلاحظ في عشرينات هذا القرن ، بداية تعاطف الحركة العمالية الامريكية مع مطالب الحركة الصهيونية ، هذا التعاطف الذي ما زال قائما . ويعتبر ركيزة اساسية للتحرك الصهيوني في امريكا ٠ وقد كان تعاطف الحركة العمالية في بداية الامر مرتبطا الى حد بعيد بالقيادات العمالية اليهودية في نقابات العمال اليهود المتواجدة في نيويورك وعبر تحالف النقابات العمالية المختلفة ، تمكنت القيادات اليهودية من الحصول على دعم القيادات العمالية المسيحية للمشاريع الاستيطانية الاخرى ٠ كما وانه يجب علينا ان نذكر بأن القيادات الاشتراكية العمالية والمعادية للاتحاد السوفيتي كذلك ، تحالفت مع القيادات العمالية النقابية الاخرى في دعمها للحركة الصهيونية ٠ وكان نتيجة لهذه التحالفات العمالية المختلفة ان تمكنت الحركة الصهيونية رغم ضعفها النسبي في امريكا من الحصول على الدعم الثابت لمبدأ تأسيس الوطن القومي اليهودي ٠

نلاحظ من هذا السرد التحليلي بداية٠تكوين القرار السياسي الامريكي فيما يتعلق بفلسطين او بالصراع الفلسطيني ـ الصهيوني ، اذ نلاحظ انه في البداية تمكنت الحركة الصهيونية من ايجاد تكتل شعبي امريكي لخدمة الحركة الصهيونية ، تمكن هذا التكتل تاريخيا من استصدار مجموعة من القرارات السياسية الامريكية لصالح الوطن القومي اليهودي ولقمع الحركة الوطنية الفلسطينية ٠ وفي بدايته كان هذا التكتل يتمثل في فئات الكونجرس الامريكي ووسائل الاعلام والحركة العمالية الامريكية ، وفي فترات لاحقة ، تمكنت الحركة الصهيونية من استقطاب فئات اخرى اضافت الى تعدد مراكز القوى الداعمة للحركة الصهيونية ولاسرائيل فيما بعد ٠ وعلى سبيل المثال لا الحصر ، نلاحظ في الثلاثينات بداية التكتل المسيحي الكنسي الذي تمثل تنظيميا في « اللجنة المسيحية لفلسطين » والتي تبوأت مركز الصدارة المسيحية في الدعوة الى الوطن القومي اليهودي ، كما ونلاحظ بداية اهتمام الحركة السوداء المعتدلة بالقضية الفلسطينية والذي تمثل في « الجمعية القومية لتطوير الشعوب الملونة » التي بدأت كذلك في استصدار قرارات دعم للوطن القومي اليهودي وآخرا وليس اخيرا بداية دعم المثقفين الليبراليين لهذا المشروع خاصة بعد تدفق المثقفين اليهود الاوروبيين الى امريكا في الثلاثينات والاربعينات٠نخلص من هذا كله الى حقيقة واحدة : ان الحركة الصهيونية الامريكية عملت بصبر وعناية وذكاء لايجاد قاعدة شعبية امريكية عريضة ملتزمة بتحقيق مشروع الوطن القومي اليهودي في فلسطين وعملت الحركة الصهيونية عبر هذه التجمعات للضغط على

الجهاز التنفيذي الحكومي لاتخاذ القرار السياسي المناسب ٠

تحولات عالمية

نعلم جيدا بأن الاربعينات شهدت تحولات عالمية في موازين القوى ، وكان لهذه التحولات آثار وانعكاسات مهمة مصيرية عالمية على القضية الفلسطينية ٠ بدأت امريكا تحتل المركز الطليعي الرئيسي الغربي ، وبدأت تحتل مكان بريطانيا كأهم دولة غربية معاصرة كما ان هذا التحول ادى الى احتلال الحركة الصهيونية الامريكية صدارة الحركة الصهيونية العالمية وتحول مركز الثقل السياسي من بريطانيا الى امريكا ، ومع هذا التحول اصبح واضحا في اوائل الاربعينات بأن القرار السياسي الامريكي فيما يتعلق بفلسطين سيكون له اهمية كبرى في حسم الصراع الصهيوني ـ الفلسطيني ، فقامت الحركة الصهيونية الامريكية بتعبئة قواها لاستصدار القرارات المناسبة ، وكان بداية هذه القرارات رفض امريكا للكتاب الابيض البريطاني الذي صدر عام ١٩٣٩ ، ثم تبني مطالب الحركة الصهيونية بتأسيس دولة يهودية في فلسطين كما وضح ذلك برنامج البلتمور ٠ وما كادت الحرب العالمية الثانية تضع اوزارها ، الا وشاهدنا الحركة الصهيونية تبذل جهودا ضخمة لحمل الحكومة الامريكية على تبني جميع مطالب الحركة الصهيونية ، وظهر نجاح الحركة الصهيونية عبر التجمعات الشعبية الامريكية الانفة الذكر ، عندما طالب الرئيس الامريكي ترومان الحكومة البريطانية بالسماح لـ ١٠٠ الف مستوطن يهودي بدخول فلسطين فورا وكان ذلك عام ١٩٤٦ ٠ ونذكر بأن الرئيس روزفلت بدافع المصالح الامريكية الاقتصادية في الوطن العربي كان قد وعد الملك عبدالعزيز آل سعود بأن لا يتخذ قرارا سياسيا مجحفا بحقوق الشعب الفلسطيني ٠ الا ان الرئيس ترومان كان اكثر احساسا بعوامل الضغط المحلية الامريكية ، وكان اكثر حاجة لدعم التجمعات والفئات المحلية التي تعاطفت مع الحركة الصهيونية ، فعندما تصارع المبدآن ـ ذلك الذي يتعلق بمصالح امريكا في الوطن العربي والذي كان يتطلب قرارا سياسيا مؤيدا لحقوق الشعب الفلسطيني وذلك الذي يتعلق بمصلحة الرئاسة الامريكية على الصعيد الوطني الامريكي والذي يتطلب قرارا سياسيا مؤيدا لمطالب الحركة الصهيونية ـ تغلب القرار الرئاسي ، وآثر ترومان مصلحته فنادى بضرورة تحقيق مطالب الحركة الصهيونية دون ان يكون لوعود روزفلت او الايمان النظري اي اثر في اتجاهات الدولة الامريكية ٠

وتمثل هذا الدعم بتشكيل اللجنة الامريكية ـ البريطانية للتحقيق في مشكلة فلسطين والتي اوصت بضرورة فتح ابواب فلسطين للهجرة اليهودية فورا

وبتأسيس الوطن القومي اليهودي غير مكترثة بالحقوق العربية الفلسطينية او بردود فعل ذلك في الوطن العربي ، الى ان لعبت امريكا الدور الرئيسي في انجاح مشروع قرار تقسيم فلسطين في الجمعية العامة للامم المتحدة عـــام ١٩٤٧ · ويهمنا ان نذكر مرة اخرى بأن هذه السياسة الامريكية كان مصدرها الرئيسي البيت الابيض الذي آثر الانفراد بفرض هذه السياسة على الخارجية الامريكية · وقد ظهر التناقض بين التوجهين : رئاســـة الجمهوريـــة ووزارة الخارجية في الوثائق السياسية الخارجية التي صدرت عـــن الدبلوماسية الامريكية عامي ١٩٤٧ ــ ١٩٤٨ قبل عام · اذ يظهر بوضوح مـــن تقارير الدبلوماسيين الامريكيين في الوطن العربي بأن هؤلاء اوصوا باتباع سياســة امريكية تحترم حقوق الشعب الفلسطيني وحذروا من عواقب عربية ان اتبعت امريكا سياسة مؤيدة للحركة الصهيونية · والذي لا شك فيه ، بأن الدبلوماسيين الامريكيين في الوطن العربي وصلوا الى قراراتهم وتقييمهم للنتائج السياسية للموقف الامريكي بناء على تقديرهم للمصالح الاقتصادية الامريكية في الوطن العربي ، والتي شعروا بانها مهددة عربيا اذا اصرت امريكا على تأييد مطالب الحركة الصهيونية · الا ان الرئيس ترومان آنذاك كان اكثر احساسا وحرصا على كسب مراكز القوى الداخلية والتي تعاطفت مع الحركة الصهيونية وآثر ارضاء هذه المراكز التي اقنعته حينئذ بأن مصالح امريكا في الوطن العربي سوف لا تصاب بأذى · ومرة اخرى تغلبت مصالح البيت الابيض ، وتشكلت اسرائيل مدعومة بالمال الامريكي ، والسياسة الامريكية ، والآلات الامريكية · وكلنا نذكر بأنه لم يمض ١٥ دقيقة على اعلان تكوين اسرائيل الا وقد اعترفت امريكا رسميا بوجودها ، وهو حدث تاريخي ليس له سابق او لاحق في تاريخ الدبلوماسية الامريكية ·

سياسة امريكا الفلسطينية من ١٩٤٨ ــ ١٩٦٧

اصبحت سياسة امريكا الفلسطينية بعد ١٩٤٨ مرتبطة الى حد بعيد بالسياسة الامريكية تجاه الصراع العربي ــ الاسرائيلي من جهة وتجاه صراع امريكا مع الاتحاد السوفيتي من جهة اخرى · اذ ان امريكا تولت قيادة المعســـكر الرأسمالي في الصراع ضد الاتحاد السوفيتي وفي محاولة دول الغرب احتواء النفوذ السوفيتي ، ومن هذا المنظور تشكلت السياسة الامريكية حيال دول العالم الثالث بشكل عام · حيال هذا الصراع العالمي ، حاولت امريكا ايجاد سلسلة من الاحلاف العالمية لربط آسيا بالسياسة الامريكية ، واستحسنت ايجاد هذه الاحلاف مع انظمة وطنية لا تحظى بتأييد شعبي ، مستعدة لان تحول ارضها الى قواعد عسكرية او بحرية او جوية امريكية · ومن هنا ازداد اهتمام امريكا بالوطن العربي لموقعه الاستراتيجي العالمي · الا ان الوطن العربي آنذاك كان

يعاني من بقايا الاستعمار الاوروبي القديم ، او كان في بداية تحوله السياسي الوطني لتكوين اسس قوية لاستقلاله الوطني ولم يشارك امريكا في عدائها للاتحاد السوفيتي · وتأكدت امريكا في بداية الخمسينات بأن التحولات السياسية الداخلية ان لم تضبط ، وان التوتر العربي ـ الاوروبي ان لم يهدأ ، سيؤثران في الاتجاهات السياسية للوطن العربي · ولهذا حاولت امريكا تبني سياسة عامة عربية من شأنها ان تنتج استقرارا داخليا وتوجها امريكيا · وتبرمجت هذه السياسة اجرائيا بسياسات مترابطة متعددة الاشكال ·

١ ـ **فلسطينيا** : اكدت امريكا ارتباطها الوثيق باسرائيل اولا بالالتزام الثلاثي ١٩٥٠ ـ امريكا وبريطانيا وفرنسا ـ باحترام استقلال وسلامة اسرائيل · وثانيا بالدعم العسكري والمالي لاسرائيل · وفي الوقت نفسه حاولت امريكا ان تجد حلا لما اسمته « بمشكلة اللاجئين » فدعمت جهود الامم المتحدة باطعـــام واسكان اللاجئين في مخيماتهم ، الى ان ثبتت سياسة التوطين الفلسطيني في الوطن العربي ، ويهمنا في هذا المجال ان نذكر ثلاثة امور : اولا ان امريكا لم تعترف حينئذ بحقوق الشعب الفلسطيني في وطنه ، بل انها اعترفت بوجوده كشعب لاجيء لا بد من مساعدته انسانيا لارتباط ذلك بسياسة استقرار المنطقة ، ثانيا ايدت امريكا حق اللاجيء الفلسطيني في العودة الى بلده ، اذا كان على استعداد للعيش بسلام مع الحكم الاسرائيلي ، او تعويضه عن ممتلكاته . ثالثا تبلورت هذه السياسة في نهايتها بمشروع « التوطين » الذي طرحه وزير الخارجية الامريكية جون فوستر دالاس عام ١٩٥٤ والذي رفضه حينئذ الشعب الفلسطيني والدول العربية حيث ان مشروعه هذا كان يهدف الى توطين اللاجئين الفلسطينيين في الدول العربية لانهاء الصراع العربي ـ الاسرائيلي ·

ان هذه السياسة الامريكية توضح بأن امريكا لم تعترف بالوجود الوطني الفلسطيني ولم تعترف اصلا بان هذا الشعب يتمتع بحقوق وطنية في ارضه · واهتمام هذه السياسة بمطالب الشعب الفلسطيني ارتبطت تاريخيا بتقدير امريكا لدور الشعب الفلسطيني في الوطن العربي ، ولهذا آثرت ان تجد له مخرجا لكي لا يشكل عقبة في ربط الوطن العربي بالسياسة العسكرية الامريكية ·

٢ ـ **عربيا** : اتبعت امريكا سياسات متعددة تجاه الاجزاء المختلفة للوطن العربي · اولا حاولت امريكا ربط الدول العربية الملكية خاصة بسياستها وقد وجدت استجابة طيبة لهذه السياسة ، فدعمت المملكة العراقية حينئذ ، ودعمت الاردن والسعودية وليبيا ، ثانيا حاولت امريكا ايجاد حل يقبله الطرفان للصراع العربي ـ الاوروبي خاصة في شمال افريقيا الا انها لم تدعم حركات الاستقلال التحررية ، ثالثا حاولت امريكا احتواء حركة التحرر الوطني في مصر وسوريا وفي اجزاء اخرى من الوطن العربي · ومما لا شك فيه بأن امريكا اصبحت دولة

ذات اهمية كبرى في الوطن العربي في عقد الخمسينات ، وعندما تبلورت الحركات السياسية الكبرى في الوطن العربي وتمحورت بين حركة التحرر الوطني والحركات المحافظة ، وجدت امريكا نفسها الحليف الاكبر لهذه الدول· وعندما تعاظم الصراع السياسي الداخلي في الوطن العربي في الستينات ، جندت امريكا نفسها وحلفاءها للقضاء على حركة التحرر الوطني · وتثبيت دعائم التجزئة والقطرية في الوطن العربي ·

٣ ـ **اسرائيليا** : سمحت امريكا لفرنسا والمانيا الغربية والى حد ابسط بريطانيا وكندا بتولي المسؤولية الاولى في الدعم العسكري لاسرائيل حتى سنة ١٩٦٧ ، وتولت هي دعم اسرائيل ماديا وسياسيا ودبلوماسيا ، واصبح واضحا بأن الدعم الامريكي لاسرائيل لم يعد مرتبطا بدعم تجمعات امريكا لسياسة مؤيدة لاسرائيل ، بل تجاوز ذلك لان اسرائيل تلعب دورا اساسيا في سياسة التأديب للحركة الوطنية العربية ، وان المواجهة الاميركية لحركة التحرر الوطني في الوطن العربي تتم عن طريق دولتها العميلة في المنطقة والتي تتولى عملية احتواء هذه الحركة التحريرية ·

ولما فشلت السياسة الاميركية في الوطن العربي في احتواء حركة التحرر الوطني ، وربط الوطن العربي بالسياسة العالمية الاميركية ، آثرت ضربها جذريا باستخدام اسرائيل عام ١٩٦٧ بحرب سريعة للقضاء على مراكز هذه الحركة ، وكان ما كان · واعتقدت امريكا آنذاك بان الضربة الاسرائيلية لا شك قاضية ، وانه لم يعد لحركة التحرر الوطني الا ان ترضخ · وبالرغم من ان الضربة الاسرائيلية كانت مؤلمة ، الا انها لم تكن قاضية ، وحدث ما لم يكن في الحسبان ·

المقاومة الفلسطينية

طرحت المقاومة الفلسطينية نفسها بعد هزيمة حزيران سنة ١٩٦٧ وكانت امتدادا جديدا لحركة التحرر الوطني العربي · اذ ان المقاومة لم تبرز الوجود الفلسطيني فقط ، بل أبرزت مفاهيم جديدة للنضال العربي · فالمقاومة الفلسطينية طالبت باستقلال فلسطين وتحريرها من الصهيونية ، واعلنت للعالم مفهومها للدولة الاسرائيلية على انها دولة استعمارية استيطانية ، وربطت المقاومة بينها وبين حركات التحرر الوطني في العالم واكدت بان نضالها ضد الاستيطان الصهيوني هو كنضال شعوب افريقيا ضد الاستيطان الاوروبي · واكدت المقاومة بانها تعادي هذا الاستيطان اينما كان ، وتعادى من يؤيد هذا الاستيطان ، وانه فى عالمنا هذا ، تجد الدول الاستيطانية دعمها من الدول الاستعمارية وتجد حركات التحرر الوطني دعمها من الدول المتحررة · اضافة الى هذا ، ومن

هذا المنظور ، لا يمكن اعتبار صراع الشعب الفلسطيني ضد الصهيونية صراعا محليا ، بل هو جزء لا يتجزأ من صراع الشعوب في آسيا وافريقيا ضد قوى الاستعمار العالمي الذي تقوده امريكا · وان حسم هذا الصراع لا يتم الا عن طريق حرب التحرير الشعبية التي تستند الى السلاح وتعبئة الشعب كاملا ·

اضافة الى هذا ربطت بعض فصائل المقاومة بين اسرائيل وامريكا وبعض الدول العربية واصرت هذه في بعض اطروحاتها بان تحرير فلسطين يتطلب تحرير الوطن العربي من الاستعمار والرجعية العربية التي ترتكز الى الاستعمار ، وبان الثورة المسلحة للقضاء على الاستطيان الصهيوني تشمل الثورة على الاوضاع العربية التي تؤيد هذا الاستيطان بشكل مباشر او غير مباشر ·

كان للطرح والبروز الفلسطيني الى الساحة اثر عميق على التوجه السياسي الاميركي · اذ ان ذلك جاء ليفاجيء الساسة الاميركيين ولم تكن اجهزة امنهم القومي على علم بهذا الوجود الفكري والسياسي والحركي · وادركت الحكومة الاميركية الخطر الحقيقي الذي يتمثل في المقاومة الفلسطينية · اذ ان المقاومة شكلت خطرا مباشرا على امن اسرائيل وهي قاعدة امريكا الاساسية في الوطن العربي · كما ان المقاومة ، بفكرها ووجودها شكلت خطرا اساسيا على استقرار اجزاء من الوطن العربي تحرص امريكا على امنها وسلامتها ، كما انها اصبحت قدوة للجماهير العربية من المحيط الى الخليج ، وعبرت تعبيرا واضحا عن الرفض العربي للوجود الغربي في الوطن العربي ولاي هيمنة اجنبية في هذا الوطن ·

ولهذا تخلت امريكا عن سياستها القديمة والتي في مجملها « اهملت » الوجود الفلسطيني ، وما ان ازداد تعاطف شعوب العالم مع المقاومة الفلسطينية ومطالب الشعب الفلسطيني ، والذي ظهر واضحا في عام ١٩٦٩ ، حتى ظهرت السياسة الاميركية الجديدة حيال الشعب الفلسطيني ، وجاءت هذه السياسة امتدادا لسياسة امريكا التقليدية تجاه حركات التحرر الوطني التي تستند الى العنف الثوري ، وهي سياسة المواجهة التي تبغي القضاء المبرم على حركة التحرر الوطني · اصرت امريكا بعد عام ١٩٦٧ على عدم وجود مطالب عادلة للشعب الفلسطيني ، وعلى ان الثورة الفلسطينية ليست اكثر من مجموعة من الاعمال الارهابية التخريبية التي يقوم بها بعض المعتوهين او المكبوتين او الذين يسعون وراء مصالح خاصة · مجندة نفسها وحلفاءها في المنطقة العربيّة لتبني سياسة قمعية من اجل استئصال المقاومة من جذورها · فسمحت لاسرائيل بالقيام باعمال وحشية ضد الشعب الفلسطيني في كل مكان ، وايدت بعض الدول العربية في محاولاتها للقضاء على الوجود الفلسطيني المقاوم ، وقامت بحملات اعلامية واسعة النطاق لتشوه سمعة الشعب الفلسطيني،وجندت قواها في امريكا

لملاحقة الفلسطينيين والعرب الذين يدافعون عن حقوق الشعب الفلسطيني ويبرزونها في الساحة الاميركية ، وحاربت بكل سلاح التقدم السياسي الفلسطيني العالمي كما ظهر ذلك واضحا وما زال في الامم المتحدة ووكالاتها الخاصة ، حيث تعزل امريكا نفسها عن الاجماع الدولي برفضها للوجود الشرعي للشعب الفلسطيني وحقوقه الوطنية · منذ عام ١٩٦٧ حتى يومنا هذا تطل علينا السياسة الاميركية الفلسطينية بشقين : الاول رفضها الكامل للوجود الشرعي الفلسطيني والثاني اعترافها بوجود ثوري فلسطيني لا بد من القضاء عليه · وهذان الشقان في السياسة الاميركية يتوحدان في السياسة التي تحاول امريكا ان تفرضها عربيا وعالميا · اذ ان امريكا تعترف اليوم بوجود شعب فلسطيني له « مصالح » في المنطقة ، وان مصالحه هذه يمكن تحقيقها في اطار تسوية سياسية بين اسرائيل والاردن · اما وجوده السياسي المستقل والذي يرتبط بحقوق وطنية والذي ينعكس في منظمة التحرير الفلسطينية فهو مرفوض · ورفض امريكا القاطع لمنظمة التحرير الفلسطينية هدفه اولا واخرا توكيد الرفض لحقوقه الوطنية واستقلاله السياسي وسيادته في فلسطين ·

وكما ان امريكا حاولت القضاء على الثورة الفلسطينية عسكريا باستخدامها لاسرائيل وبعض الدول الاخرى ، فانها خاصة منذ عام ١٩٧٤ تحاول احتواء منظمة التحرير الفلسطينية عن طريق استقطاب الدول العربية سياسيا ، فقد حاولت مرارا الطعن في شرعية تمثيل المنظمة للشعب الفلسطيني ، كما وانها طعنت شرعية مطالب الشعب الفلسطيني المتمثلة في الميثاق الوطني الفلسطيني والذي يلزم منظمة التحرير الفلسطينية · وهذه السياسة التي بلورها الوزير السابق هنري كيسنجر ، تكاد تكون نفسها التي يحاول الحزب الديمقراطي الحاكم تنفيذها في المنطقة · ولا بد لنا من ان نشير ولو باختصار الى التصريحات المتتالية للرئيس كارتر حول مطالب الشعب الفلسطيني ، هذه التصريحات التي شوهها الاعلام العربي الموجه · اذ ان ما طرحه كارتر في مارس ١٩٧٧ كحل لمشكلة الشعب الفلسطيني لم يكن في جوهره يختلف كثيرا عن ما طرحه وزير الخارجية الاسبق جون فوستر دالاس عام ١٩٥٥ · فقد اعترف كارتر بضرورة ايجاد حل « لمشكلة الفلسطينيين واللاجئين » وان هذا الحل لا شك يتطلب ايجاد « موطن » لهم · ويمكن لهذا « الموطن » ان يكون في اية بقعة من الارض ، اذ ان هذا الموطن المطلوب هو موطن للاجئين ، وليس من الضروري ان يكون مستقلا سياسيا ، كما هو الحال في « الاوطان » في جنوب افريقيا ·

ويحسن بنا ان نذكر القارىء بان اللفظ الذي استخدمه كارتر (موطن) كان Homeland ولم يكن National Homeland (الوطن القومي) ·

ولا شك ان اساءة الاعلام العربي في ترجمة هذا المفهوم كانت مقصودة لخدمة اغراض سياسية معينة · وقد اكد كارتر اثر زيارة « بيجن » لواشنطن سياسة امريكا الرافضة لمنظمة التحرير الفلسطينية وما تعكسه من مطالب وطنية للشعب الفلسطيني ، كما انه تغاضي عن قرارات الامم المتحدة المتعلقة باستقلال الشعب الفلسطيني في فلسطين ·

اذن نخرج من هذا بأن السياسة الامريكية الاتية تحاول تعميق الخلافات العربية ـ الفلسطينية تمهيدا لعزل الثورة الفلسطينية بشكل كامل لاستئصالها · اذ ان امريكا لا تحرص على سلامة وامن اسرائيل فقط بل تحرص على استئصال اي فكرة او حركة في الوطن العربي من شأنها ان تهدد استقرار هذه المنطقة وبالتالي تهدد المصالح الاقتصادية الامريكية وتزيد من ثورية الوطن العربي · فكما حاولت امريكا استئصال ثورة الشعب الفيتنامي ، وثورة الشعب الكوبي ، وثورة الشعوب الافريقية في موزامبيق ، وغينيا بيساو وانجولا ، وفشلت في هذه المحاولات ، لا شك ان محاولتها لاستئصال الثورة الفلسطينية وحركة التحرر الوطني العربية فاشلة كذلك امام التزام الشعب الفلسطيني والشعوب العربية الاخرى بتحرير كامل الوطن العربي ·

معـــن بشـــور

قـــراءة ســـياســـيَّة في اقتصاديّات السِّـــلاح الأمـــيركي

« ان رخاءنا يعزى الى الحرب الكورية ، والى نفقات التسلح الاخرى التـي انفقتها حكومتنا » ٠

بول أ ٠ ساموبلســـون

« ان الحرب الفيتنامية تبعد كل اخطار الركود الاقتصادي » ٠

البرت نوردن

في « اسرار الحروب »

لم يعد غريبا على المطلعين عموما ، والمهتميـــن بالسياســـة الاميركيـــة خصوصا . ان يلاحظوا العلاقة الوثيقة بين عدد كبير من القرارات السياسيـــة التي تتخذها ادارة واشنطن وبين الضغوط التي يمارسها ما اتفـــق علـــى تسميته « بالتركيب الصناعي العسكري » الاميركي والذي نبه الى مخاطـــره الرئيس الاميركي الراحل ايزنهاور في نهاية ولايته والذي كشفه بالوثائـــق والارقام الكاتب الاميركي المعروف (غالبريث) حين اظهر العلاقة التجاريـــة والهيئة الوطيدة بين كبريات الكارتلات الصناعية الاميركية ، وبيـــن اركـــان البنتاغون الاميركي من كبار الماريشالات والجنرالات والذين يتحولون فـــور احالتهم على التقاعد الى مدراء كبار في الشركات الاميركية العملاقة ٠٠٠

ويبدو من جديد ان تسليط الاضواء على حجم النفقات العسكرية الاميركيـــة واثارها المباشرة وغير المباشرة على الاقتصـــاد الاميركـــي والاستراتيجيـــة

الاميركية ، وتطور النظريات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي تبـــرر تضخم هذه النفقات ، يكاد يكون اكثر من ضروري في هذه المرحلة التي يبـدو فيها ـ على السطح ـ وكأن هناك اتجاها يقوده الرئيس الاميركـــي الجديـــد لتخفيف هذه النفقات ، وذلك من اجل معرفة مدى قدرة كارتر على تطبيق هـذا الاتجاه اذا كانت نواياه صادقة ، وبالتالي من اجل تلمس الاساليب والوسائـل التي يمكن للقوى المعارضة ـ وهي نافذة وفعالة في جميع المجالات ـ اعتمادها لا سيما تلك الاساليب والوسائل التي تلجأ الى ابقاء بؤر التوتر في العالـــم ـ ومنها منطقتنا ـ ملتهبة حتى ولو ادى هذا التوتر في النهاية الى غير مصلحة الامبريالية الاميركية ذاتها ٠

يقول البروفسور ميخائيل رايخ احد اساتذة الاقتصاد في جامعة بركلـــي ـ كاليفورنيا في مقال له رفضت نشره صحيفة (الوول ستريت) الشديدة الصلة بالدوائر الاحتكارية الاميركية :

« واذا اخذنا بعين الاعتبار العداء المستحكم والمستمر من قبل كبار رجـال الاعمال للتخطيط الحكومي ، فان الضغوط ستزداد من اجل استخدام النفقات العسكرية كمحرك اقتصادي اثبتت الايام والتجارب كفاءته ٠ وبهذه المناسبة ربما تقرع طبول التوتر في هذا المكان او ذاك من العالم ، وايدي قادة الولايـــات المتحدة مليئة بالمشاكل الدولية الصالحة لهذا الغرض كالطاقة ، والقوميـــة الصاعدة في العالم الثالث ، وامكانيات بروز المزيد من كارتلات المواد الاولية ، واعادة صياغة النظام النقدي العالمي ، **وميزان القوى في الشرق الاوسط** الخ٠٠ ان مزيجـــا من العوامل المحلية والدولية قد قاد في الماضي الى نمو اقتصادي يقوده القطاع العسكري ٠ وهذا من المحتمل جدا حصولـــه فـــي المستقبـــل ايضا » ٠ (١)

لا بل ان العديد من الاصوات الليبرالية داخل المجتمع الاميركي قد ارتفـــع لتؤكد بان الفوائد الناجمة عن الانفاق العسكري المتزايد لا تعود الى المجتمـــع كوحدة قومية متماسكة ، وانما الى فئات محددة داخله حيث تتخذ القـــرارات ليس لخدمة المصلحة العامة فحسب وانما نتيجة مساومات وصفقات تعقد بيـن مختلف هذه القوى والمصالح ٠٠ وباعتبار ان هذه القوى والمصالـــح غيـر متساوية في القوة والمعلومات التي تملك ، فان القرارات غالبا ما تتجه باتجاه التجمعات الاحتكارية ذات النفوذ الاكبر في النفقات العسكرية او ما يسمـــى (بالتركيب الصناعي ـ العسكري) ٠ ان هذه التجمعات ، كما يشير عدد كبيـر من المفكرين والاقتصاديين الليبراليين كميلمان (٢) ، وروزن (٣) ، واليسون(٤)، وهالبرين (٥) ، يصبح لها مصلحة في تضخيم النزاعات الدولية وعرقلة ايـــة جهود تبذل من اجل تسويات سلمية لها ٠

حجم النفقات العسكرية في البلدان الرأسمالية :

وحين نعلم ان ما يسمى (بالبلدان الرأسمالية المتقدمة) قد انفق على التجهيزات العسكرية خلال عام ١٩٧٦ حوالي ١٥٥ بليون دولار (حسب احصاءات المعهد الدولي للاحصاءات الاستراتيجية في لندن) وان الولايات المتحدة تنفق حوالي ٦٠٪ من هذا الرقم ، نستطيع ان ندرك الحجم الكبير الذي تحتله النفقات العسكرية في اقتصاديات البلدان الرأسمالية ، وبشكل خاص في اقتصاديات الولايات المتحدة ٠

واذا حاولنا ان نتعمق اكثر فنرى حجم هذه النفقات بالنسبة الى الناتج القومي الاجمالي لهذه البلدان حسب احصاءات (معهد دراسات السلام العالمي) SIPRIO في استوكهولم التي اوردها في كتابه السنوي (التسلح ونزع التسلح في العالم) لعام ١٩٧٦ نجد امامنا الجدول التالي :

جدول بنسبة النفقات العسكرية من الناتج القومي الاجمالي

البلد	١٩٥٤	١٩٦٤	١٩٧٣
كندا	٧ ٪	٦ر٣٪	٢ر٠٪
الولايات المتحدة	٦ر١١٪	٨٪	٦٪
بلجيكا	٨ر٤ ٪	٤ر٣٪	٧ر٢٪
الدانمارك	٢ر٣ ٪	٨ر٢٪	١ر٢٪
فرنسا	٣ر٧ ٪	٣ر٥٪	٨ر٣٪
المانيا الغربية	٠ر٤ ٪	٦ر٤٪	٤ر٣٪
ايطاليا	٠ر٤ ٪	٣ر٣٪	٠ر٣٪
هولندا	٦ ٪	٣ر٤٪	٤ر٣٪
النرويج	٥ ٪	٤ر٣٪	١ر٣٪
المملكة المتحدة	٨ر٨ ٪	١ر٦٪	٥ر٠٪
سويسرا	٧ر٢ ٪	٨ر٢٪	٢ر٠٪
السويد	٩ر٤ ٪	١ر٤٪	٤ر٣٪
النمسا	١ر٠ ٪	٥ر١٪	١ر٠٪
اليابان	١ر٢ ٪	٩ر٠٪	٨ر٠٪
استراليا	٦ر٣ ٪	٤ر٣٪	٧ر٢٪

ومن الواضح ان السنوات التي تم اختيارها هنا لها علاقة بابرز الحروب التي خاضتها الولايات المتحدة في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية (الحرب

الكورية ، والحرب الفيتنامية) ذلك ان الانخفاض النسبي وليس الكمي يعود الى نهاية حرب فيتنام وما عكس ذلك من تخفيض تدريجي للنفقات العسكرية ٠

ومن اجل ادراك اهمية هذه الارقام بشكل اوضح ، علينا ان نقارن بينها وبين ما تنفقه الحكومة الاتحادية الاميركية على النفقات غير العسكرية بما في ذلك التقاعد والتعويضات وغيرها لنجد ان هذه النفقات التي كانت مع مطلع الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ تشكل حوالي ٣ر٤٪ من الناتج القومي الاجمالي تراجعت الى ٦ر٢٪ في عام ١٩٦٤ والى ٤ر٢٪ عام ١٩٧٤ اي الى اقل من نصف ما تنفقه الولايات المتحدة على الشأن العسكري ، هذا بالطبع دون ان نحسب هنا الصفقات العسكرية الضخمة التي اجرتها الولايات المتحدة مع ايران والسعودية ودولة الكيان الصهيوني وغيرها ٠

ومن (الميزان العسكري لعام ١٩٧٦ ـ ١٩٧٧) الذي اصدره المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية ، يمكننا ان نستخرج الجدول التالي الذي يظهر الحجم النقدي لهذه النفقات مع قياسها على الفرد في كل من هذه (البلدان الرأسمالية المتقدمة) وذلك لعام ١٩٧٣ :

النفقات العسكرية عام ١٩٧٣

البلد	حجم النفقات العسكرية (مليار دولار)	النفقات العسكرية / الفرد بالدولار
كندا	٢ر٤	١٠٩
الولايات المتحدة	٧٨ر٤	٣٧٢
بلجيكا	١ر٤	١٣٩
الدانمارك	٥ر٦	١٢٥
فرنسا	٩ر٨	١٨٩
المانيا الغربية	١٣ر٣	٢١٥
ايطاليا	٤ر١	٧٥
هولندا	٢ر١	١٥٧
النرويج	٠ر٧	١٦٩
المملكة المتحدة	٩ر٠	١٦١
سويسرا	٠ر٨	١٢٤
السويد	٢ر٠	٢٤٦
النمسا	٠ر٣	٣٩
اليابان	٣ر٧	٣٥
استراليا	٢ر٠	١٥٤

ان هذه الارقام تظهر ايضا بوضوح مدى حجم النفقات العسكرية الاجمالي وتأثيره في الحياة الاقتصادية لهذه البلدان ، لاسيما اذا نظرنا الى نسبة النفقات العسكرية بالنسبة للفرد في هذه البلدان (الولايات المتحدة بشكل خاص) ونسبة الدخل الفردي في البلدان النامية والذي لا يتجاوز ثلث ما يتحمله الفرد الاميركي من عبء النفقات العسكرية ٠

وللمزيد من التفاصيل فقد تبين خلال عام ١٩٧٣ انه من اصل اول (٢٥) مؤسسة صناعية تعتبر الاكثر مبيعا في الولايات المتحدة فان (١٩) منها تعتبر من اكبر ٥٠ مؤسسة صناعية تتعاقد مع وزارة الدفاع الاميركية للتجهيزات العسكرية ، ومن جهة اخرى فانه من اصل اهم (٢٥) شركة متعاقدة مع البنتاغون الاميركي فان (١٢) منها تعتبر من اغنى المؤسسات الاميركية قاطبة ٠

وهنا لا بد من الاشارة الى ان الصناعات ذات الصلة بالاسلحة تتوزع بين صناعة الحاسبات الالكترونية ، والالكترونيات عموما ، والمواصلات والاتصالات اللاسلكية ، وصناعة الطائرات التجارية ، والرادار ، والادوات العلمية ، وان تطور هذه الصناعات جميعها قد ارتبط في العقود الاخيرة الماضية بتطور صناعة الاسلحة وزيادة الانفاق العسكري ٠ وكما يشير الاقتصادي الغربي (تريبلكوك) في (مجلة التاريخ الاقتصادي) فانه كما كانت صناعة الاسلحة هي صاحبة الفضل في تطوير وتسريع الصناعات الميكانيكية الدقيقة ، وانواع خاصة من الفولاذ ، والصناعة الثقيلة عموما في مرحلة ما قبل الحرب العالمية الاولى ، فان الامر يكاد يكون مشابها بالنسبة لصناعات الالكترونيات والى درجة اقل بالنسبة لصناعة الطائرات والسفن ٠

واذا علمنا ايضا ان ١٠٪ من صادرات الولايات المتحدة (لا سيما في السنوات التي تلت حرب تشرين) هي من صناعة الاسلحة ، اي مما يشكل ضعف صادرات القمح الاميركي الشهيرة ، يمكننا ان نرى بوضوح كذلك تشابك اقتصاد التسلح بالاقتصاد الاميركي ، الامر الذي ادى ببعض الاقتصاديين الى اطلاق اسم « **اقتصاد التسلح الدائم** » على الاقتصاد الاميركي (راجع بوردي في مقالته : نظرية « اقتصاد التسلح الدائم » في **نشرة مؤتمر الاقتصاديين الاشتراكيين** في عددها الصادر في ربيع ١٩٧٣) ٠ (٦)

ان هذا التغلغل المتزايد لصناعة الاسلحة ومشتقاتها والصناعات المرتبطة بها في الاقتصاد الرأسمالي عموما والاقتصاد الاميركي خصوصا ، يشكل ارضية واضحة لتغلغل من نوع آخر ، هو تغلغل شركات الاسلحة ذاتها في صلب القرارات السياسية والعسكرية في تلك المجتمعات ٠

تقول (الهيرالد تريبيون) الاميركية ان شركة (لوكهيد) ، وهي اكبر شركات

صنع الطائرات الاميركية قد انفقت خلال عدة اعوام اكثر من (٢٠٠) مليون دولار على العمولات والرشاوى ، بينها ٢٢ مليون دولار في اليابان وهولندا وايطاليا ٠ وتعتبر محاضر التحقيق لدى احدى اللجان التي شكلها مجلس الشيوخ الاميركي للنظر في وضعية الشركات المتعددة الجنسية ، وثيقة واضحة ليس على الفساد والتردي الذي ينخر في المؤسسات السياسية والاقتصادية لهذه المجتمعات بل على مدى تشابك المصالح بين ما اصبح متعارفا عليه (بالتركيب الصناعي ـ العسكري) وامتداداته في قلب القرار السياسي لهذه المجتمعات لا سيما الاميركي منها ٠

وفي التحقيق مع السيناتور الديمقراطي الاميركي « فرانك تشيرش » بتهمة الفساد والرشوة امام مجلس الشيوخ الاميركي وفي جلسة علنية استدعي اليها ايضا موظفون يتعاملون مع شركة (لوكهيد) للشهادة ، وقف احد اعضاء لجنة الاتهام موجها كلامه الى السناتور تشيرش : « **اشكرك ايها السناتور ، فقد استطعت تدمير واهانة دولتين كبيرتين في ساعتين ، وبهذا العمل قمت باكثر مما قام به لينين طيلة حياته !!** » ٠

ذلك ان التقرير الذي اصدرته هذه اللجنة قد كشف ان السناتور الاميركي (تشيرش) قد قام بدفع رشاوى بلغ مجموعها ٢٤ر٣ مليون دولار منذ عام ١٩٧٠ حتى عام ١٩٧٥ وقد ذهبت هذه المبالغ الى جيوب عسكريين كثيرين في عدد من الدول ٠

وحين اتسع التحقيق في فضائح لوكهيد ، تدخلت الادارة الاميركية بواسطة وليم سايمون وزير الخزانة الاميركي آنذاك للتستر على هذه الفضيحة رافضا كشف النقاب عن اسماء الذين تلقوا الرشاوى من شركة لوكهيد ، وقال كيسنغر نفسه مدافعا عن موقف زميله سايمون « ان اذاعة الاسماء من شأنه ان يضر بالسياسة الخارجية الاميركية » في حين اكد سايمون « ان اذاعة هذه الاسماء من شأنه ان يضر بشركة لوكهيد التي تمر في ظرف حرج للغاية » ٠

لا بل اعترف (ارنست هاوزر) وهو مدير سابق بالشركة في حديث نشرته الصحف الاميركية « بأن كولونيلات السلاح الجوي الاميركي كانوا يحصلون على مكافآت سنوية منتظمة تتراوح بين ١٠ ـ ٢٠ الف دولار من شركة لوكهيد وغيرها من الشركات المتخصصة في بناء الطائرات ، وان الشركات كانت تقدم للضباط الذين تشعر بأن لهم اهمية خاصة بالنسبة لها ، الخمور والنساء وغير ذلك من وسائل اللهو ، كما ان وزارة الدفاع الاميركية كانت على علم بالامر ولكنها تغاضت عنه » ٠ وقال (هاوزر) الذي ترك الشركة منذ عام ١٩٦٤ « انه واثق من ان عملية دفع الرشاوى للعسكريين الاميركيين ما تزال مستمرة حتى

الآن » ٠ وان « الطريقة التي يتم بها الدفع طريقة ذكية جدا بحيث تمر خلال عدة حسابات في البنوك قبل ان تصلهم » ٠

التبرير النظري للانفاق العسكري :

ان هذه الصورة الواقعية لحجم الانفاق العسكري في الحياة الاميركية ، وللتداخل السياسي ـ العسكري الذي تمارسه القوى والمصالح والمؤسسات ذات الصلة بصناعة الاسلحة ، قد افرزت مجموعة من النظريات الاقتصادية من اجل تبريرها وتغطية الشرور والمساوىء الناجمة عنها ، محاولة الايحاء بأن دورها ضروري ليس فقط لتنمية مصالحها واوضاعها ، وانما ايضا للحفاظ على التوازن الاقتصادي العام في البلد ، ولمجابهة اي اتجاه يدفع الاقتصاد نحو الركود ، واليد العاملة نحو البطالة ، والميزان التجاري نحو العجز ٠٠٠

وتستمد هذه « النظريات الاقتصادية » عموما منطلقاتها الاساسية من نظرية (كينز) الشهيرة في الاقتصاد الرأسمالي ، والتي استطاعت في الثلاثينات ان تضع علاجا مؤقتا للازمة الرأسمالية التي عصفت ببلدان الغرب ، وذلك من خلال دعوة الدولة الى التدخل عن طريق الانفاق الواسع والاستثمارات الشاملة في مجالات الخدمة والاتصالات العامة على نحو يؤدي الى ارتفاع مستوى الطلب الكلي في البلد (الطلب لغايات استثمارية + الطلب لغايات استهلاكية الناتج عن تشغيل عدد كبير من العمال والمستخدمين) وهذا الارتفاع في مستوى الطلب الكلي بتأثيره العام على الاقتصاد من خلال (مضاعفة الاستثمار) يؤدي الى انتقال فعلي بالاقتصاد العام من حالة الركود الى حالة النشاط والفعالية ٠٠ واستخرج كينز في « نظريته العامة » المعروفة ضرورة تدخل الدولة بين الحين والآخر لحقن الاقتصاد بحقنات من الاستثمارات الحكومية تمكنه من مجابهة الركود وتجنب الازمات الدولية التي لا بد ان يقع بها النظام الرأسمالي نتيجة الفوضى في الانتاج وغياب العامل الداخلي للتوازن والاستقرار كما يعتقد ارباب النظام الحر من الاقتصاديين الكلاسيكيين بحيث غالبا ما يزيد العرض الكلي عن الطلب الكلي ، الامر الذي يؤدي الى فائض في الانتاج ، فالى تعطيل لجزء من طاقات الانتاج فالى البطالة فالى المزيد من النقص الفعلي في الطلب العام (بسبب النقص في الاستثمارات ، والنقص في مستوى الاستهلاك) فالى فائض اضافي حتى تحتدم الازمة وتشتد وتهز البنيان الرأسمالي في الصميم ٠

لهذه (النظرية العامة) التي اطلقها الاقتصادي البريطاني جون مينارد كينز ، اضاف منظرو الانفاق العسكري ما اصبح متعارفا عليه باسم (الكينزية العسكرية) ، اي ان تدخل الدولة للرفع من مستوى (الطلب الكلي) يجب ان

يتم اساسا في مجال الانفاق العسكري بدلا من مجالات الاشغال العامة والخدمة الاجتماعية ٠

ويقول هؤلاء المنظرون بأن امتناع الدولة عن التدخل في النشاطات التي يمكن ان تؤدي الى التقليل من الارباح الرأسمالية كتسلمها بعض النشاطات المربحة اقتصاديا (كتأميم بعض المرافق او الصناعات) او عبر تخفيفها لقدرة الرأسماليين على انتزاع المزيد من الارباح من اليد العاملة ، سوف لن يترك امامها مجالا للانفاق والعمل افضل من مجال الانفاق العسكري ٠

فهذا الانفاق ، بالاضافة الى اعتباره افضل الخيارات انسجاما مع النظام الاقتصادي الحر من الناحية الايديولوجية ، يؤدي ايضا الى ابقاء مستوى الطلب العام مرتفعا ، كما انه بتحويله لبعض الموارد من مجال الاستثمار الى مجال الانفاق انما يخفف من حدة الاتجاه التاريخي لتناقص معدل الربح الرأسمالي الذي هو اتجاه حتمي في تطور الاقتصاد الرأسمالي وهو نقطة الزاوية في انهياره ٠

ويضيف اصحاب هذه النظريات ، بأن هذا المستوى العالي من الانفاق العسكري هو الذي يقف وراء الازدهار الطويل الذي شهده الغرب عموما ، والولايات المتحدة خصوصا بعد الحرب العالمية الثانية ٠ لا بل ينتقل هؤلاء الى استنتاج اكثر دلالة حين يربطون بين ارتفاع معدل البطالة في دول الغرب في مرحلة ما قبل الحرب العالمية الثانية وبين انخفاض مستوى الانفاق العسكري في تلك المرحلة ٠

« الكينزية العسكرية » :

ويضع ارباب « الكينزية العسكرية » لتفضيلهم الانفاق العسكري على الاوجه الاخرى للانفاق الحكومي عدة أسباب :

اولا : ان الانفاق العسكري سهل التزايد وليس هناك مقاييس وضوابط لتحديد حجمه ومستواه ونطاقه ٠

ان حدود الانفاق العسكري تتراوح بين حاجات الردع العسكري لاي هجوم محتمل (يقول هالبرين في كتابه **الاستراتيجيات الدفاعية في السبعينات** الذي نشر في بوسطن عام ١٩٧١ ان الولايات المتحدة قد حددت حاجتها في هذا المجال بالاسلحة التي تمكنها من خوض « حربين ونصف الحرب » والتي انزلها نيكسون الى نسبة « حرب ونصف الحرب » في اواخر الستينات) وبين حاجات الدفاع عن المصالح الاستراتيجية وبناء الاحلاف العسكرية الخ ٠٠٠

ان هذه المقاييس الصعب تحديدها والسهل التلاعب بها ، تمكن كارتلات الصناعات المتصلة بالسلاح من ان تدفع الامور بالاتجاه الذي يخدم مصالحها عبر افتعال توترات وهمية ، او الإبقاء على توترات قائمة ، او نشر معلومات عن تطورات مهمة في مستوى تسليح المعسكر الآخر (كما حصل قبل اشهر في الحديث عن تفوق الاتحاد السوفياتي في عدة مجالات عسكرية) ٠

ثانيا : ان الانفاق العسكري يضيف ولا ينافس اي طلب خاص لاي صناعة بمفردها ٠

ثالثا : ان معدل تبديل الاسلحة عال وسريع ، الامر الذي يجعل الانفاق دائما ومستمرا ، وقد اصبح واضحا ان العديد من المؤسسات ما تكاد تطور سلاحا باتجاه معين حتى تطور الاسلحة المضادة بشكل يعطل فعالية هذا السلاح ، لتتمكن من تطوير السلاح مرة ثانية وهلم جرا ٠

رابعا : ان تطور وسائل التدمير ودخول العالم في سباق التسلح النووي يجعل من الضرورة ان يبقى القطاع المتصل بصناعة الاسلحة مستنفرا بشكل دائم ، لان من طبيعة الحرب النووية انها لا تترك مجالا ووقتا لتعبئة الصناعات المدنية بالاتجاه العسكري كما كان يحصل في الحروب العالمية السابقة ٠

خامسا : ان متطلبات السباق النووي ترفع الى درجة كبيرة من حجم ومستوى الانفاق العسكري نظرا لتكلفتها العالية ودقتها وحساسيتها ٠

وبالمقابل يعارض اصحاب هذه النظريات اي توسع جدي في الانفاق الحكومي في مجالات اخرى باعتبار ان مجال الهدر فيها محدود وانها تضع الحكومة في تنافس مباشر مع بعض القطاعات والصناعات ، وانها ترفع من مستوى الطبقات العمالية والفقيرة على نحو يجعلها في مركز تفاوضي اقوى مع ارباب العمل كما انه ينمي داخل الدولة اتجاهات تدعو لتقوية القطاع العام وحصر المؤسسات الخاصة بانتاج البضائع والخدمات فقط ٠

الفرق بين الولايات المتحدة والمانيا واليابان :

وحين تتم مواجهة اصحاب هذه النظريات بالحقيقة القائلة بأن هناك دولا رأسمالية متقدمة تمكنت من النهوض الاقتصادي رغم انها لم تعط الانفاق العسكري الحجم الذي له في الولايات المتحدة ، يجيب هؤلاء بأن هناك فروقا هامة بين الوضع في الولايات المتحدة وتلك الدول كاليابان والمانيا الغربية وغيرهما ٠

يقول هؤلاء :

اولا : ان الولايات المتحدة هي غير اليابان والمانيا في التزاماتها العسكرية على المستوى العالمي (بسبب المركز الامبريالي لها)

ثانيا : ان ابرز الصناعات الاميركية كالحاسبات الالكترونية ، والطائرات والادوات العلمية قد ارتبط تطورها بتطور صناعة الاسلحة ٠

ثالثا : ان ١٠٪ من الصادرات الاميركية هي من الاسلحة ٠

رابعا : ان الاقتصاد الاميركي بعد الحرب العالمية الثانية كان اقوى من اي وقت مضى ، اي انه كان في قمته وان حفاظه على هذا المستوى رهن بانفاقات عالية ذات طبيعة شبيهة بالانفاقات العسكرية ، في حين ان اقتصاد اليابان والمانيا كان منهارا وقد خصصت كل الموارد المحلية والاجنبية (لا سيما الاميركية) لتنميته وهذا اعطاه مدى للنمو دون الحاجة الى انفاق كالانفاق العسكري ٠

فاليابان والمانيا حتى وقت قريب لم يكن لديهما مشاكل في نقص الطلب الكلي لا سيما الطلب الاستثماري عن مستوى الانتاج (ففي مرحلة ما بعد الحرب كانت اليد العاملة رخيصة ، والتطور التكنولوجي الذي وصلت اليه الولايات المتحدة متوفرا لهذه الدول ايضا) بالاضافة الى تدخل الدولة في توجيه الاقتصاد ورعاية بعض الصناعات كصناعة الفولاذ وصناعة السفن ٠

بينما الوضع في الولايات المتحدة مختلف ، فعلى الرغم من قدرة النظام الاميركي على الحد من نضال العمال لرفع مستواهم المعيشي (بعد الحملة المكارثية ضد كل من يطالب بحقه واتهامه بالشيوعية) الا ان الطلب من اجل الاستثمار بقي محدودا لان التركيب الاحتكاري للنظام وقد اصبح عريقا وضاربا جذوره في الارض كان يقلص فرص الاستثمار ، كما انه يمنع المنافسة في الاسعار الامر الذي ادى الى حماية مؤسسات ذات كلفة اقتصادية اعلى ، مما ادى الى نشوء فائض في الطاقة الانتاجية غير مستعمل ، واستخدمت الاحتكارات نفوذها السياسي لمنع الحكومة من التدخل ومس مصالحها الضالعة ٠ كل ذلك ادى الى ضعف العقلانية (وهي الاساس النظري للنظام الاقتصادي الحر) لنجد انه في حين تتطور صناعات في المانيا واليابان وغيرهما بتشجيع من الدولة ، تبقى هذه الصناعات على حالها (الفولاذ والسفن) في الولايات المتحدة ، لان الاحتكارات لا تريد تدخلا من الدولة ٠٠٠ فلا يبقى امام الدولة سوى الانفاق العسكري والانغماس فيه ٠ (راجع مقالة ميخائيل رايخ ، **هل يستطيع كارتر ان يخفض النفقات العسكرية ؟** في مجلة « مونتلي ريفيو ») ٠

نقد « الكينزية العسكرية »

يقول ر٠ب٠ سميث من (كلية بيركبك) في (جامعة لندن) في مقال (النفقات العسكرية والرأسمالية) نشر له حديثا في العدد الاول من مجلة اقتصادية تصدر عن جامعة كامبردج (كامبردج جورنال اوف ايكونومبكس) :

« على الرغم من ان النفقات العسكرية قد شكلت باستمرار عنصرا مهما من عناصر الطلب في البلدان الرأسمالية ، وخاصة في الولايات المتحدة ، الا انه ليس من السهل الاستنتاج بأن الحاجة الى الحفاظ على مستوى الطلب كانت السبب وراء الانفاق العسكري العالي ٠ ان بلدانا رأسمالية اخرى قد حافظت على مستوى الطلب فيها بدون مستويات مماثلة من الانفاق العسكري ، كما ان الواقع يظهر ان بلدانا ذات انفاق عسكري عال تشهد معدلات عالية من البطالة في الوقت نفسه ٠ ان هذا الامر يقودنا الى الاعتقاد بأن الوظائف الحقيقية للانفاق العسكري لم تكن من اجل الحفاظ على مستوى الطلب ، بل على العكس من ذلك ، فان نتائجها الاقتصادية كانت مغايرة لذلك ٠ بل ان الانفاق لغايات استراتيجية كان له من الآثار الاقتصادية ما ينسف النظام الذي اعدت نفسها لحمايته ٠ ان هذا الاستنتاج هو نتيجة نقاشات مرتبطة بميزان المدفوعات والعلاقة العكسية التي تربط بين حصة النفقات العسكرية ومعدل النمو ٠ » (٧)

النتائج التي وصل اليها الاقتصادي سميث ، في دراسته الاقتصادية التي لا تخلو من بعض التعقيد ، مرتبطة بسلسلة من الاختبارات اجراها هذا الاقتصادي على عدة احصاءات لعدة بلدان رأسمالية ، وعلى مراقبة التطور التاريخي لهذه الاحصاءات على نحو جعل من تلك الدراسة واسعة في المكان ، متصلة في الزمان ٠

فماذا وجد سميث لدحض نظرية « الكينزية العسكرية » :

اولا : لاحظ سميث من خلال جدول خاص اعده معتمدا على احصاءات دائرة التجارة (لعام ١٩٧٥) والاحصاءات العسكرية الاخرى ان هناك علاقة **عكسية** بين **الانفاق العسكري ومعدل العمالة** او ان البطالة تزيد فوق معدلاتها المألوفة حيث يتجاوز الانفاق العسكري حدودا معينة ٠

البطالة والنفقات العسكرية

عام ١٩٧٣

البلـد	نسبة النفقات العسكرية من الناتج القومي	معدل البطالة ٪
الولايات المتحدة	٦	٤ر٩
فرنســـا	٣ر٨	٢ر٧
المانيا الغربية	٣ر٤	١ر٠
ايطاليـا	٣ر٠	٣ر٨
المملكة المتحدة	٥ر٠	٣ر٠
الســـويد	٣ر٤	٢ر٥
اليابان	٠ر٨	١ر٣
استراليا	٢ر٧	١ر٩

لا بل يلاحظ سميث ان انخفاض معدل البطالة في بلد كالولايات المتحدة الى ما دون الـ ٤٪ انما كان يتم فقط في ايام الحروب كالحرب العالمية الثانية حتى عام ١٩٤٨ ، الحرب الكورية (١٩٥١ ـ ١٩٥٣) ، والحرب الفيتنامية (١٩٦٦ ـ ١٩٦٩) ، ويستنتج من ذلك ان **الحرب** لا **النفقات العسكرية** هي التي كانت وراء انخفاض معدل البطالة ٠

وذلك امر منطقي لان الرأسمالية تميل بشكل عام الى ابقاء جيش واسع من العاطلين عن العمل من اجل التحكم في الاجور النقدية والفعلية والسيطـــرة بشكل عام على العلاقات الصناعية ـ العمالية ، وهذه الرأسمالية لا تتنازل عن هذا الامر الا حين تكون رغبتها في احكام سيطرتها العالمية هي الاساس وحين تكون هذه السيطرة مهزوزة ومعرضة للضياع ٠

ولكننا حتى ولو افترضنا ان العمالة الكاملة والاستقرار الطبقي والاجتماعي هما لمصلحة الرأسمالية في تحقيق المزيد من الارباح ، فان العلاقة بين النفقات العسكرية والعمالة الكاملة والاستقرار ليست واضحة ٠ فصناعة الاسلحة وهي صناعة تحتاج الى الرأسمال اكثر مما تحتاج الى العمال لا تصب في زيـــادة العمالة ، كما انها كصناعة تعتمد على عقود طويلة الاجل نسبيا لا تسهم بشكل مباشر في عملية الاستقرار التي غالبا ما تهددها ازمات مفاجئة في هذا القطاع او ذاك ٠

وفي هذا المجال يعود السؤال الرئيسي ليطرح نفسه : لماذا لم تتبن الولايات

المتحدة السياسات الاجتماعية والاقتصادية الموصلة الى (دولة الرفاه) على غرار بعض بلدان الغرب حيث يكون الانفاق العسكري اقل ، والبطالة اقل ايضا · ان اتجاها من هذا النوع قد برز في الولايات المتحدة ابان الحرب الفيتنامية حيث اطلق على المجتمع الاميركي لقب (دولة الرفاه الحربي) او (دولة الحرب المرفهة) Welfare - Warfare State لكن هذا الاتجاه بقي محدودا لان موازين القوى الطبقية الاميركية منعته من التطور بشكل جدي ·

ثانيا : لاحظ سميث ايضا ان العلاقة بين حجم النفقات العسكرية ووضع ميزان المدفوعات ، الذي يعكس صورة للوضع الدولي لاقتصاد البلد ، هي ايضا علاقة عكسية وحاول ان يثبت ذلك ايضا بالتحليل وبالارقام في وقت واحد ·

فعلى صعيد التحليل يلاحظ سميث بأن النفقات العسكرية الكبرى غالبا ما تكون مرتبطة بالتزامات خارجية كبرى ايضا وما ينتج عنها من مصاريف وغيرها مما يؤثر سلبا وبشكل مباشر على ميزان المدفوعات ، رغم انه يغفل هنا الاثر الكبير غير المباشر لهذه الالتزامات العسكرية الخارجية (قواعد ، حروب ، تدخل الخ) في حماية المصالح الامبريالية الضخمة في الخارج ودور هذه المصالح الايجابي على ميزان المدفوعات والاقتصاد الامبريالي عموما ·

ويضيف سميث سببا آخر ، وهو ان البلاد التي تستطيع انتاج السلاح المتطور قليلة جدا مما يعني ان اغلبية البلدان الاخرى تجد نفسها مجبرة على استيراد نسبة عالية من تسلحها رغم ان هذا العامل يربكه في بعض الاحيان التنافس الحاد بين البلدان المصدرة للسلاح نفسها ·

ومن اجل المزيد من توضيح الآثار التي يتركها الانفاق العسكري العالي على ميزان المدفوعات ، يحاول سميث ان يشير الى ان مصادر هذا الانفاق ، في ظل مستوى محدد من الطاقة الانتاجية القومية ، ستكون اما على حساب الاستهلاك ، والاستثمار ، والنفقات الحكومية الاخرى ، او على حساب ميزان المدفوعات من خلال النقص في الصادرات او الزيادة في الواردات ·

ونشاط الدولة هو الذي يحدد نوعية المصادر التي يعتمد عليها الانفاق العسكري ·

ويظهر الكاتب من خلال دراسة خاصة بالاقتصاد الانكليزي كيف ان مصادر صناعة الاسلحة غالبا ما تكون على حساب موازد معدة اما للاستثمار او للتصدير او للاثنين معا ، مما يعني ان التوسع في صناعة الاسلحة غالبا ما يكون على حساب التوسع في الاستثمارات او الصادرات ·

جدول خاص بالتجهيزات العسكرية (٨)
في الاقتصاد البريطاني عام ١٩٧٢

النوعيـــة	قيمة الانتاج المخفض للصناعة العسكرية (مليون جنيه)	النسبة المئوية من الانتاج معدة لاغراض عســكرية	النسبة المئوية من الانتاج معدة لاغراض استثمارية	النسبة المئوية من الانتاج معدة لاغراض تصدير
معامل صناعية وفولاذ	٢٠ر٤	٢ر٨	٧٢ر٠	١٩ر٥
ادوات اخـــرى للهندسة الميكانيكية	١٢٢ر٣	٧ر٠	٣٦ر٥	٥٨ر٣
ادوات هندسية	٤١ر٥	٧ر٩	١٩ر٣	٤٣ر٩
الكترونيات وادوات لاسلكية	٢٢٦ر٦	١٩ر٣	٤١ر٩	٢٩ر٣
آليات كهربائية	٣٤ر٩	٥ر٨	٣٨ر٧	٤٣ر٤
صناعة السفن	٢٢١ر٩	٣٩ر٤	٢٣ر١	٣٢ر٨
سيارات وناقلات (مركبات)	٣٧ر١	١ر٦	٣٣ر٧	٣٧ر٣
ادوات الطيران	٣٢٨ر٢	٤١ر٨	١ر٣	٤٠ر٤
الاقتصاد الشامل	٣٠١٥ر٠	٤ر٠	١٥ر١	١٧ر٤

ثالثا : وعلى هذا الاساس فان التوسع في الطلب لغايات عسكرية سيؤدي الى خلق نقاط اختناق الذي يقلل من الاستثمارات والصادرات ٠ واذا كان هذا الامر يبدو صحيحا في ظروف التعبئة السريعة لكنه غير مفهوم عـلى المـدى الطويل حيث يمكن توفر العرض الذي يحقق الطلب لجميع الاغراض ٠

ذلك انه عبر الوقت فانه يمكن ان تنتج الموارد الاضافية لغايات التسلح من خلال عملية النمو ذاتها ، لكن هذا الامر يعتمد على الآثار التي يتركها الانفاق العسكري على معدل النمو ذاته ٠

فمن جهة يكون للانفاق العسكري آثاره الايجابية على معدل النمو من خلال زيادته للطلب ، وتعميقه للثقة بالاقتصاد ، والتطوير العلمي والتقني الـذي يساعد في خلقه ٠ وبالمقابل فان لهذا الانفاق اثره السلبي الذي يتمثل بتحويل الموارد من الاستثمار والتصدير ، مما يخلق صعوبات لميزان المدفوعات والطاقة الانتاجية ، كما انه يزيد من عدم الفعالية في الصناعة باعتباره يوفر للصناعات عقودا حكومية مريحة ومغرية ٠

ان الظروف العامة هي التي تقرر فيما اذا كان الاثر الذي يتركه الانفـــاق

العسكري ايجابيا ام سلبيا ، ففي بعض المراحل ، كتلك التي سبقت الحرب العالمية الاولى فان تطور الصناعة الثقيلة والانتاج الواسع المدى ، والادوات الدقيقة وبعض الانواع الخاصة من الفولاذ قد ارتبط بوضوح بتزايد الحاجات العسكرية · كذلك يمكن ان يقال بالنسبة للالكترونيات هذه الايام ·

وفي دراسة احصائية مقارنة اجراها سميث لخمسة عشر دولة رأسمالية على مدى عشر سنوات لمعرفة العلاقة بين المتغيرات الاقتصادية المختلفة ، وجد الاقتصادي الانكليزي ان العلاقة بين حجم الانفاق العسكري ومعدل النمو هي علاقة عكسية الى حد ما ، كما وصل من خلال تحليل العلاقة بين هذه المتغيرات جميعا ، ومن خلال المعادلات الرياضية المختلفة الى الاقرار : « اذا كان ميزان المدفوعات مسيطرا عليه ، فان الانفاق العسكري العالي يؤدي الى استثمار منخفض ، ونمو منخفض ، وبطالة عالية » ·

التبرير الآخر للانفاق العسكري

وعلى هذا الاساس ، واذا اعتبرنا ان الآثار الاقتصادية للانفاق العسكري ليست ايجابية كما يدعي ارباب النظرية « الكينزية العسكرية » ، فما الذي يدفع المجتمعات الرأسمالية كالولايات المتحدة الى الانغماس المتزايد في الانفاق العسكري ؟·

هنا تطرح (الاسباب الاستراتيجية) لهذا الانفاق والتي تتمثل في ثلاثة اوجه :

١ ـ الوقوف في وجه « الخطر الشيوعي » ، وهنا يلاحظ ان هذا الهدف هو هدف فئة في المجتمع اكثر مما هو هدف يتصل بمصالح كل الفئات ·

٢ ـ تأمين سيطرة المركز الامبريالي الرئيسي على بقية العالم بما فى ذلك ، المراكز الامبريالية الاقل شأنا (العلاقة بين الولايات المتحدة واوروبا الغربية واليابان) ولا ينسى منظرو الاقتصاد الرأسمالى (كند لبرغر) ان يربطوا بين الازمة الاقتصادية العالمية في الثلاثينات بمفردها · وغياب القوة العالمية القائدة والمسيطرة باعتبار ان الولايات المتحدة كانت منعزلة وبريطانيا كانت اعجز من ان تواجهها ·

٣ ـ توفير الضمانات الداخلية لاي تحرك داخلي يمكن ان يسهم في تغيير موازين القوى الطبقية والاجتماعية داخل المجتمع ذاته ·

ان هذه الضمانات لا تنحصر فقط بتوفير جهاز القمع المناسب ، وانما ايضا بالاستخدام الايديولوجي للقيم العسكرية عن طريق خلق مشاعر عنصرية

وشوفينية ومعادية للدول الاخرى بالاضافة الى تنمية الشعور بالعظمة مما يضعف من التناقضات الاجتماعية والطبقية ويسهم في تقوية التناقضات ذات الطبيعة العنصرية والشوفينية ٠

كما ان هذا التوسع في القطاع العسكري يسمح للدولة من خلال اشرافها على الموارد المخصصة لهذا المجال ان تكافيء او تعاقب فئات ومناطق داخل المجتمع الواحد ، كما ان حجم الانفاق العسكري يتطلب جيشا كبيرا من الموظفين والعاملين في هذا المجال ممن تتكون لهم مصالح ضالعة في تنمية « العسكرية » حتى على حساب مصالحهم الطبقية ٠ وفي هذا المجال يمكن الاطلاع على الدراسة المطولة التي اعدها ج٠ ادونافان سنة ١٩٧٠ عن «العسكرة في الولايات المتحدة » (٩) ٠

استـــدراك :

ان هذا التوسع في عرض حجم القطاع العسكري في الاقتصاد الاميركي وتأثيراته المختلفة ومدلولاته السياسية والاجتماعية يجب ان لا يخفي عن انظارنا حقيقة اخرى هي ان الاتجاه داخل مجتمع كالمجتمع الاميركي تجاه الانفاق العسكري قد بدأ يتراجع لاسيما بعد حرب فيتنام (كما سبق واشرنا) ٠

وفي دراسة مختصرة اعدها البرت سنريمانسكي في مجلة (نيولفت ريفيو في عددها المزدوج شباط ـ نيسان ١٩٧٧) يشير الى ان نسبة النفقات العسكرية الاميركية بالنسبة للنفقات العسكرية في العالم وعدد من المعسكرات الدولية اخذة في التناقص ٠

النفقات العسكرية (١٩٦٥ ـ ١٩٧٤) (١٠)

نسبة النفقات العسكرية الاميركية المئوية من النفقات الاخرى

	١٩٦٥	١٩٧٠	١٩٧٢	١٩٧٤
الانفاق العسكري في العالم	٣٢ر٥	٣٣ر٢	٢٩ر٧	٢٧ر٣
اوروبا الاطلسية	٢٠٣ر٠	٢٤٧ر٠	٢٠٦ر٠	١٨٣ر٠
حلف وارسو	٨٧ر٠	٩٠ر٠	٨١ر٠	٧٣ر٠
الاتحاد السوفياتي	٩٩ر٠	١٠٢ر٠	٩٣ر٠	٨٤ر٠
الصين	١١١٠ر٠	٧٤٠ر٠	٤٨٢ر٠	٤٥٨ر٠
الولايات المتحدة	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

ان هذا الجدول يعني ببساطة انه في حين كانت النفقات العسكرية الاميركية

تشكل عام ١٩٦٥ حوالي ٥ر٣٢٪ من نفقات العالم العسكريـة ووصلت الى ٢ر٣٣٪ عام ١٩٧٠ ٠ عادت لتتراجع في السبعينات لتصل الى ٣ر٢٧٪ عام ١٩٧٣ (العلاقة مع العالم) ٠ وبينما كانت النفقات العسكرية الاميركية سنة ١٩٦٥ تماثل النفقات السوفياتية (٩٩٪) ، تجاوزتها في سنة ١٩٧٠ لتصبح ١٠٢٪ لتعود بعد السبعينات لتنخفض عنها الى ٩٣٪ عام ١٩٧٢ و٨٤٪ عام ١٩٧٤ (العلاقة مع السوفيات) ٠٠٠ اما بالنسبة للعلاقة مع الحلفاء (اوروبا الاطلسية) فقد تطورت نسبة النفقات العسكرية من اكثر من ضعفي نفقات اوروبا الملتزمة بالحلف الاطلسي (٢٠٣٪) سنة ١٩٦٥ الى اكثر من مرتين ونصف المرة (٢٤٧٪) سنة ١٩٧٠ ، عادت هذه النسبة للتراجع الى ٢٠٦٪ عـــام ١٩٧٣ و ١٨٣٪ عام ١٩٧٤ ٠

أما اذا اخذنا حجم القوات المسلحة كمقياس لتطور القطاع العسكري فـي الولايات المتحدة بالنسبة الى العالم ، والى الحلفاء ، والى السوفيات ، والقوى الاخرى نجد امامنا الجدول التالي :

حجم القوات المسلحة (١٩٦٥ ـ ١٩٧٤)

نسبة القوات المسلحة الاميركية المئوية من القوات الاخرى (١١)

	١٩٦٥	١٩٧٠	١٩٧٢	١٩٧٤
القوات المسلحـة في العالم	١٢ر٨	١٢ر٨	٩ر٣	٨ر٤
اوروبـا الاطلسيـة	٨٦ر٠	٩٨ر٠	٧٠ر٠	٦٨ر٠
حلف وارســو	٦٤ر٠	٦٧ر٠	٤٨ر٠	٤١ر٠
الاتحـاد السوفياتـي	٩٦ر٠	٩٢ر٠	٦٦ر٠	٥٥ر٠
الـــصين	١١١ر٠	١٠٨ر٠	٧٦ر٠	٦٥ر٠
الولايـات المتحـدة	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

غير انه من الضروري التوضيح والتأكيد هنا الى ان انخفاض حجم الانفـاق العسكري الاميركي وحجم القوات المسلحة الاميركية لا يعني على الاطـلاق انخفاض صناعة الاسلحة في أميركا المعدة للتصدير الخارجي ٠ فمع تـطور الاستراتيجية الاميركية من مرحلة التورط المباشر في العالم بكل ما يمكن ان تقرد اليه هذه السياسة من اهتزازات داخلية في المجتمع الاميركي كما كان الامر مع حرب فيتنام الى مرحلة (الفتنمة) او استخدام الادوات المحلية وتشجيع الحروب الاهلية والمحدودة داخل العالم ، تطور بشكل واضح حجم الاستعمال الخارجي للاسلحة الاميركية وبالتالي حجم الصادرات الاميركية من الاسلحة لاسيما بعد عام ١٩٧٤ ٠

فوفق الاحصاءات الرسمية لوزارة الدفاع فان حكومة الولايات المتحـــدة الاميركية قد عقدت خلال عام ١٩٧٥ عقودا بمبلغ ٩٥١١ مليون دولار (حوالي عشر بليارات دولار) نتيجة مبيعاتها من الســـلاح في الخارج بما في ذلك الاسلحة الجوية · مما يعني ان الانخفاض الجزئي في الانفاق الداخلي قـد تحول الى ارتفاع ملحوظ في التصدير الخارجي وكأن السياسة الاميركيـــة الجديدة هي تصدير الدمار الى العالم وابعاد شبحه قدر الامكان عن مجتمعها·

واستنتاجـات :

ان هذا البحث يستهدف اظهار بعض الاتجاهات البـــارزة في التركيب الاقتصادي والاجتماعي والسياسي الاميركي قد تساعدنا على فهم السياســة الاميركية المنتظرة في العالم لاسيما في منطقة الشرق الاوسط ··

اولا : ان صناعة الاسلحة اصبحت صناعة ذات نفوذ متعاظم داخل المجتمع الاميركي وبغض النظر عن المبررات الاقتصادية والاستراتيجية لهذا النفـوذ المتعاظم فقد اصبح واضحا ان هذه الصناعة اصبحت تسهم بشكل فعال فـي معظم القرارات والاستراتيجيات التي تضعها الولايات المتحدة ·

ثانيا : ان هذه الصناعة بامتداداتها الملموسة داخل الاوساط السياسيـــة والعسكرية قد تحولت الى قوة رئيسية هامة داخل الدولة الاميركية ·

ثالثا : ان هذه الصناعة ، اذا كانت قد احنت رأسها مرحليـــا للضغوط الداخلية بتخفيض التورط الاميركي العسكري في الخارج ، فانها حاولت ان تجد لنفسها منافذ جديدة للتسويق متمثلة بتصدير الاسلحة الى العالم ·

رابعا : ان هذه المنافذ الجديدة تحتاج ، في ظل المخاطر الكبرى الناجمة عن حرب عالمية شاملة ، ان تلجأ السياسة الاميركية العليا الى المساهمة في ابقاء التوتر في مناطق متعددة من العالم مع الحرص على ابقاء هذا التوتر في الحدود التي لا يتطور فيها باتجاه حسم جذري للمواقف والاتجاهات لمصلحة الحركة الثورية العالمية ·

خامسا : ان منطقة الشرق الاوسط بقضيتها المركزية (القضية الفلسطينية) والقضايا الاخرى (الخليج ، خلافات الحدود ، الانقسامات ذات الطبيعـــة العنصرية والطائفية والقبلية) وبامكاناتها المالية المتزايدة تشكل المجال الخصب لتصدير السلاح الاميركي واستيعابه ·

ان هذا الاستنتاج تدعمه الارقام والحقائق التي ظهرت عن صفقات الاسلحـة المعقودة بين بلدان الشرق الاوسط ·

فمن ضمن الدول العشر الاولى على قائمة تصدير السلاح الاميركي تحتل خمس دول شرق اوسطية مواقع متقدمة بينها وهي : ايران (الاولى) السعودية (الثانية) ، دولة الكيان الصهيوني (الثالثة) الكويت (السابعة) والمغرب (الثامنة) ، وان هذه الدول العشر الاولى تستورد ما قيمته ٨ر٠١٩ مليارات دولار من الاسلحة الاميركية وما نسبته ٨٤ر٣١٪ من قيمة الصادرات الاميركية من الاسلحة ٠

وفقط ايران والسعودية وحدهما قد استوردا لعام ١٩٧٥ ما نسبته ٤١ر٤٤٪ من المجموع الكلي لصادرات السلاح الاميركي ٠

واذا اضفنا الحقيقة الاخرى المتصلة بالنزاع الذي انفجر بين كارتلات الاقتصاد الاميركي النفطية والصناعية بسبب الارباح الشاهقة التي حققتها احتكارات النفط من الزيادة المفاجئة والرهيبة في اسعار النفط سنة ١٩٧٣ والذي ادى الى تفاهم ضمني جرى بموجبه ايجاد « اسواق فسيحة » للمنتجات الاميركية الاخرى ، لاسيما الاسلحة ، في بلدان النفط ، نستطيع ان نرى بوضوح كيف يتحول تصدير السلاح الاميركي الى شكل اخر من أشكال مصادر الثروة في هذه المنطقة من العالم ٠

سادسا : على ضوء هذه الحقائق يمكننا ان نفترض ، وان يستند افتراضنا الى درجة كبيرة من الواقعية ، ان الادارة الاميركية غير جادة ، لا بل وغير مبالية ، في ايجاد حلول عادلة للمشاكل العالقة في العالم لاسيما في هذه المنطقة ٠ لكنها في الوقت ذاته حريصة جدا ، وجادة الى حد كبير ، في عدم افساح المجال لان ينجم عن عدم حل هذه القضايا والمشاكل اي تطورات تؤدي الى تجذير الموقف الوطني والقومي والى الالتزام بالخيار الثوري كخيار وحيد متاح امام الانظمة والشعوب على حد سواء ٠٠

من هنا فهي تتبع تكتيكا تضليليا يوحي « بنواياها الجدية » في ايجاد حلول عادلة للقضايا المطروحة (كزيارات وزراء خارجيتها المتكررة الخ ٠٠) لكنها في الوقت ذاته لا تمارس اي جهد حقيقي بهذا الاتجاه ٠٠

لقد توصلنا الى هذا الاستنتاج عبر تناول جانب واحد من الصورة ، وهو تأثير صناعة الاسلحة على السياسة الاميركية ، لكن تناول الجوانب الاخرى كالتكوين الامبريالي للرأسمالية الاميركية ، والصلة العضوية بين الصهيونية والامبريالية ، والخوف التاريخي من الامة العربية ووحدتها وتقدمها ونهضتها الحضارية الخ ٠٠ يؤدي بالتأكيد الى استنتاجات مماثلة ٠

المراجع

1 — Melnan S , 1974 *The Permenant War Economy* , 1974 New York Simon & Schuster .

2 — Rosens , ed . 1973 , *Testing the Theory of military - Industrial Complex* , Lexington , D.C. Heath .

3 — Allison , G. T. 1971 . *The Essence of Decision* , Boston , Little , Brown .

4 — Halperin M.H. 1973, *Bureaucratic Politics and Foreign Policy* , Washington , Brookings Institution .

5 — Purdy D, 1973 , The Theory of the Permenant arms economy , *Bulletin of the Conference of Socialist Economists* , Spring .

7 — Smith R.P. 1977 Military expenditure and capitalism , *Cambridge Journal of Economics* , Val 1 , No 1.

8 — U. K. Imput — Output , tables .

9 — Donavan , J. A, 1970 *Militarism U.S.A,* New York , Scribners ,

10 - 11 — U.S. Arms Control & Disarmement Agency , World Military Expenditures and Arms Transfer (1965 - 74) .

ميشيل كيلو

فلسطين في الاستراتيجيّات السياسيّة

هدف هذا البحث المقتضب تقديم بعض الافكار حول المكان الذي احتلته القضية الفلسطينية في التاريخ العربي المعاصر ، وعرض بعض القسمات العامة لمواقف القوى المختلفة مما عرف « بالمسألة الفلسطينية » ، وفحص بعض جوانب الوضع الراهن للقضية ، على ضوء خبرات التاريخ السياسي للسنوات التي تلت الحرب العالمية الاولى ، علنا نستطيع بعد ذلك تحديد ملامح اولية لعلاقة القضية الفلسطينية باستراتيجية النضال العربي ، على ضوء التطورات الممكنة لقوى الثورة الديمقراطية في الوطن العربي ٠

فلسطين والتاريخ المعاصر لما بعد الحرب العالمية الاولى

لو ألقينا نظرة أولية على تاريخ الواجهة الشمالية من الوطن العربي ، لوجدنا انها ، بعد الحرب العالمية الاولى ، تعرضت لاقتحام امبريالي كبير للقسم السوري من بلاد العرب ، ترسخ داخل أطر قامت على اقتسام سوريا الطبيعية بين انجلترا وفرنسا ، وعبر عن نفسه في خلق كيانات محلية ، قطرية ، قامت فوق الرقعة المهشمة والممزقة للمنطقة التي كانت تعرف باسم سوريا الطبيعية ٠ وقد ترتب على عملية الاقتسام هذه تفكك معين اصاب « الحركة » القومية العربية التي كانت معادية للسيطرة العثمانية ، والتي حملت ذات يوم طابعا فوق اقليمي ، وطمحت لاقامة كيان سياسي موحد عبر عنه أحسن وانضج تعبير حتى ذلك الوقت ، المؤتمر السوري الذي عقد في باريس عام ١٩١٣ ، ليقدم برنامجا

يتضمن صورة سوريا الطبيعية بعد تحريرها من الوجود التركي · هذا التفكك سار في اتجاهين رئيسيين :

ـ الاول تجلى في الارتداد الفعلي لقوى « الحركة » القومية نحو الاطر الاقليمية والقطرية للنضال السياسي ·

ـ والثاني تبدى في التأقلم ، التدريجي ولكن المتعاظم ، مع التقسيم الامبريالي لسوربا الطبيعية،والقبول بالعمل لاقامة « دول وطنية »تشكل الاطار العام لكل قوة سياسية · وقد عنى هذا ان اولوية توحيد البلدان التي عرفت باسم سوريا الطبيعية قد تراجعت لصالح تكوين « الدول » الوطنية ، على ان يعقب الاستقلال العودة الى محاولات توحيد الكيان السوري الممزق ·

وساعد على بروز هذا التيار وتبلوره انتصار الجناح الاقطاعي ـ الاقليمي في « الحركة » القومية ، وانحسار نفوذ الجناح البرجوازي الوليد ، الذي كانت قوته تتعاظم ونفوذه يتزايد ، قبل حدوث الاقتحام الامبريالي ، الذي جاء ليوقف ميلان ميزان القوى داخل الحركة القومية لصالحه ، ثم ليدفع بهذا الميزان ضده ، ولصالح الاقطاع ، لفترة ليست بالقصيرة ·

والواقع ان هذا التطور في « الحركة » القومية قد حدث ضمن اطار تاريخي تجلت ميزته في ان الانفكاك عن تركيا كان ، بحد ذاته ، مهمة ديمقراطية ·

الا ان المحتوى الفعلي لهذا الاطار العام كان سيتجاوز ، بعد انجاز تحرر سوريا الطبيعية من السيطرة العثمانية ، طاقة الاقطاعية السورية ، بل انه كان يهدد هيمنتها السياسية على « الحركة » القومية نفسها ، وهو أمر تجلى في بروز التوجه البرجوازي داخل هذه « الحركة » ، فلم يجد الاقطاع ما يفعله أمام هذه المهمة الديمقراطية التي اجهضها الاقتحام الامبريالي ، سوى التسليم بالامر الواقع ،الذي جاءه بحل للاشكال الذي كان يواجهه (التناقض بين الطبيعة الديمقراطية للتحرر،وبين الطبيعة الاقطاعية للطبقة المهيمنة في الحركة القومية) · وهكذا استسلم الاقطاع السوري في مسألة الاطار الديمقراطي للاستقلال ، مقابل ان تكون له الهيمنة السياسية على الاقطار السورية المختلفة ، فعقد حلفا مع القوى الامبريالية الانجليزية والفرنسية كان جوهره التخلي عن اقامة دولة واحدة فوق اراضي سوريا الطبيعية ·

في هذه الفترة صدر وعد بلفور ، وأخذت بريطانيا تفي بالتزاماتها لليهود في خلق الظروف المادية الضرورية لاقامة دولة لهم فوق أرض فلسطين · لقد كانت مسألة الدولة القطرية تتقدم ، في حين كانت مسألة عروبة فلسطين تتراجع · وكان تبلور الدول القطرية في أمر الساعة في كل مكان من سوريا

الطبيعية ، باستثناء فلسطين ، رغم ان قياداتها السياسية بذلت جهودا مماثلة لجهود القيادات السياسية في الاقطار السورية الاخرى ، سواء فيما يتعلق بمراضاة الاستعمار الانجليزي ، أو بخصوص تقديم تنازلات للحركة الصهيونية، ولكن هذه الجهود ذهبت هباء ، وتحولت بمرور الوقت الى عبء اساسي على النضال الجماهيري والوطني ، واسهمت ، بهذا المعنى ، في ترجيح ميزان القوى لصالح القوى الصهيونية التي شرعت في التبلور فوق ارض فلسطين كسلطة بديلة للسلطة العربية المنشودة وبالتالي للدولة العربية المأمولة ٠

هذه المفارقة حكمت التاريخ العربي المعاصر لسوريا الطبيعية برمتها ٠ وقد تجلت في ابتعاد القوى « القومية » السابقة عن الطابع القومي العام لتحرير سوريا ، وفي استغراقها داخل اطرها الاقليمية الخاصة ، حيث بدا ان تكوين دولها الخاصة هو المهمة التاريخية الاساسية والاستراتيجية ، وليس ردع الخطر الصهيوني وابعاده ٠ ومع الوقت تحول تشكيل هذه الدول القطرية الى غاية بذاته ، وتم تصويره للجماهير على أنه مكسب « قومي » ووطني من الطراز الاول ، لان انجازه يعني الاستقلال الوطني ، وهذا مطمح كل انسان ومراد كل نفس ٠

باختصار : لقد تحولت مسألة استقلال فلسطين من احدى القضايا المركزية « للحركة » القومية قبل الحرب العالمية الاولى ، الى قضية فلسطينية محلية من اختصاص القيادة السياسية الفلسطينية ، وصارت مسألة « خارجية » و « هامشية » بالنسبة لقادة « الدول الوطنية » المتشكلة ، وخرجت من افق نضالهم عمليا ، لانهم تصوروا ان اشتراكهم في النضال الى جانب الشعب العربي الفلسطيني ، وضمن استراتيجية قومية عامة للنضال المعادي للاستعمار ، سيدمر تحالفهم مع القوتين الاستعماريتين ، وسيهدد مصير دولتهم الوطنية نفسها ، وسيدخلهم في معركة تستنفذ قواهم ، وتضعهم عمليا بين سندان الاستعمار ومطرقة الجماهير ، فآثروا تغطية موقفهم العملي هذا تغطية لفظية ، ظاهرها وطني وقومي ، وجوهرها ترك شعب فلسطين لمصيره ٠

هذا الموقف استمر عمليا منذ العشرينات وحتى اواخر الاربعينات ، حين تحرك قسم من القيادات السياسية الاقطاعية العربية لتقاسم فلسطين مع الصهيونية ، بحجة انقاذ ما يمكن انقاذه منها ٠ وكان تحركها هذا مؤشرا على انتقالها من طور السكوت على ضياع فلسطين ، الى الاشتراك النشط في حرمان شعبها من ايجاد اشكال خاصة به للتعبير السياسي ، كما كان دليلا على ان تكون الدولة القطرية اصبح يتطلب ، في ميزان القوى الجديد في المنطقة بعد الحرب العربية الاسرائيلية ، ضبط الطاقات النضالية لشعب فلسطين ، وكبتها

كطاقات تتهدد الدول الجديدة ، التي ادعت انها ستعود الى مفهوم الوحـــدة العربية ، بعد حصولها على استقلالها ٠

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فقد برز خط آخر لبعض الدول القطرية كـان جوهره تحجيم الخطر الصهيوني أولا ، ثم حصره ومنعه من الانتشار في مرحلة لاحقة ، ليكون ما حدث لفلسطين الاستثناء ، وليس القاعدة ٠ والحقيقـــة ان اشتراك بعض الاقطار العربية في حرب فلسطين كان يهدف رسميـا ، علـى صعيد القيادات ، الى حصر الخطر الصهيوني في فلسطين نفسها ، ومنعه مـن الامتداد الى الاقطار المجاورة ، خاصة وان برنامج الحركة الصهيونية كان ينذر بمثل هذا الاحتمال ٠ أما الشعارات التي طرحت آنذاك ، رسميا ، حول التحرير ، فكان الهدف منها تضليل الجماهير وضبط حركتها ، وايهامها بان كل شيء قـد صنع لتحرير فلسطين ، ولكن ٠٠٠ ليس بالامكان أبدع مما كان ٠

تلك كانت المرحلة الثانية في موقف الدول القطرية من المسألة الفلسطينية ٠ في المرحلة الاولى ادى تفكك « الحركة » القومية ، الآيلة الى اقامة دولة قطرية ، الى ترك فلسطين تقاتل معركتها منفردة ، ضمن ميزان للقوى في غير صالح الشعب الفلسطيني ٠ وفي هذه المرحلة ، الثانية ، تم التسليم بضياع فلسطين ، وتركـز الجهد على حماية الدول القطرية من ان تلاقي المصير الفلسطينـي ، وهنـاك مرتكزات كثيرة تجت بها هذه السياسة ، أولها طريقة بناء الجيوش ، وليـس آخرها السلوك الدفاعي الثابت تجاه الاستفزازات والاعتـداءات ومحـاولات التوسع الصهيونية ٠

في نهاية هذه المرحلة انكشف الغطاء عما كانت تحتويه طنجرة السياسـات القطرية ، ورأى الناس بأم اعينهم ان سياسة اقامة الدول القطرية لم تكـن تعني تأجيل النضال القومي الى مرحلة لاحقة ، بل عنت عمليا التخلي النهائـي عنه ، وظهر أيضا ان الاقطاعية الحاكمة بالتحالف مع البرجوازيـة ـ وهـذه استسلمت بدورها للحلف الاقطاعي ـ الاستعماري بعد معاهدات ١٩٣٦ ـ لـم تعجز عن انقاذ فلسطين لانها كانت تريد تحرير اقطارها اولا ، بل عجزت ، لانها رأت في الاستعمار منقذها العام ، حتى داخل اقطارها نفسها ، فلم تتحرر هـذه الا شكليا ، وبقيت في الواقع تابعة وخاضعة ٠

مرحلة ما بعد ١٩٤٨

كانت حرب ١٩٤٨ الامتحان الذي رسبت فيه تحالفات الاقطاع والبرجوازية ، وظهر جليا ان مهمات الثورة الديمقراطية ، وفي مركزها الموقف من الامبرياليـة وفهم التناقضات المترتبة عليه ، لا تحلها الا قوى ديمقراطية معادية للامبريالية ،

ولقد كانت التبدلات السياسية التي شهدتها بلدان التماس مع المشكلة الفلسطينية فرصة لبروز هذه القوى ووصولها الى السلطة · وكان مميزا لهذا البروز انه جاء على يد قوى عسكرية اشتركت اشتراكا مباشرا في حرب ١٩٤٨ ، وخبرت ، بتجربتها المحسوسة ، نقاط الضعف العملية لسياسة الحلف الاقطاعي ـ البرجوازي حيال هذه المسألة الهامة ، وفي مقدمتها نظرته الى المعركة في فلسطين بوصفها محصلة للتناقض مع اليهود والحركة الصهيونية ، وليست أحد اشكال التناقض الاوسع والاعم ، مع الامبريالية نفسها · وبما ان الحلف الاقطاعي البرجوازي خاض « معركته » مع الصهيونية على ارضية تحالفه مع الامبريالية ، على الرغم من أن هذه هي التي أقامت الكيان الصهيوني ، او خلقت له ، على الاقل ، شروط الحياة والوجود ، فان مجيء القوى الجديدة الى السلطة عبر بوابة فلسطين رافقه تقدم في النظرة الى التناقض الرئيسي ، كتناقض بين الامة العربية والامبريالية العالمية وفرعها الصهيوني المحلي · ولكن هذا التقدم لم يلبث ان عانى من نقطة ضعف اساسية ، حين توسعت المعركة مع الامبريالية واشتدت ، ثم امتدت الى الطبقات الداخلية الموالية لها ، وانتشرت لتشمل مشكلة التجزئة العربية · فقد سارت هذه القوى على خط أساسه تأجيل حل التناقض مع العدو الصهيوني ، ريثما يحل التناقض مع القوة المعادية الرئيسية، وهي الامبريالية · هكذا سارت القوى الجديدة ، رغم ضربة ١٩٥٦ ، التي برهنت على ان حل التناقض الرئيسي مع القوة الاساسية يجب ان يشمل حتما الفرع المحلي للامبريالية ، والا استخدم كاحتياطي ميداني ضد حركة هذه القوى الجديدة ، في سياسة حصر الخطر الصهيوني ، وجعله مقتصرا على فلسطين ، وعدم استفزازه بأي شكل جدي ، ريثما تكون المنطقة قد تحررت من الامبريالية ، ومال ميزان القوى لصالح الحركة الثورية الديمقراطية العربية · هذا الفصل العملي ، يذكرنا بالفصل السابق الذي اجرته القوى الاقطاعية والبرجوازية ، حين تحالفت مع الامبريالية وخاضت معركة دفاعية ضد الصهيونية ، وان اختلفت طبيعته عن الفصل السابق ، اذ لم يقم هنا حلف مع الامبريالية ، بل قامت جبهة ضدها ، وان بقي النضال ضد العدو الصهيوني سلبيا وفي طور الدفاع ·

وعلى الرغم من ان القوى الجديدة كانت ترى بأم عينيها كيف تتحول معركتها في المنطقة مع الامبريالية الى معركة مع مرتكزاتها المحلية ، وخاصة مع الكيان الصهيوني ، فانها لم تنجح في نقل سياستها الهجومية المباشرة حيال الامبريالية الى المجال الفلسطيني ، بل بقي وضعها هنا متسما بالجمود والسلبية · لكنه سيكون من قبيل التضليل الزعم بأن سياستها لم تكن تؤثر على الموضوع الفلسطيني ، او تصب فيه بصورة من الصور ، اذ ان معركة هذه القوى مع الامبريالية كانت ، في حال نجاحها ، ستخلق الاساس الوطيد لمعركة اخرى تؤدي الى حسم الصراع العربي ـ الصهيوني لصالح الامة العربية ، بمرور الزمن ،

ان لم يكن مرة واحدة · لكنه من الضروري القول ، من جهة اخرى ، بأن نقاط ضعف هذه القوى ، كانت تترجم عمليا لصالح الامبريالية ، وبالتالي لصالح الكيان الصهيوني · صحيح ان هذه القوى طرحت مهمات مركزية لثورة ديمقراطية معادية للامبريالية ، ولكنها طرحتها بصورة ناقصة ، وطرحتها طرحا غير جذري ، فكان موقفها الاجتماعي وسطيا ، حين سمحت للقوى المضادة بان تنمو في احضانها ، في وقت كانت تحجم فيه حركة الجماهير وتقيدها عن وعي ، وموقفها من الامبريالية نفسها لم يكن جدليا ، فلم تر في حركة الطبقات داخل المجتمع العربي أبعادها الدولية ، بل رأت فيها أمرا يضعف او يعزز سلطتها هي · كما انها نظرت الى مسألة الوحدة العربية من زاوية « تجمع القوة » ، ولم تناضل في سبيلها كمسألة تحتوي مسائل أخرى ، مع انها هي نفسها متضمنة فيها · انها لم تر جدل العلاقة بين مهمات الثورة الديمقراطية ، كما لم تعتبر هذه المهمات رافعة لتغيير اجتماعي ثوري ، يؤول الى مجتمع اشتراكي موحد ، بل رأت فيها مهمات قائمة بذاتها ، فأخذت تفتش لها عن أطر تنظيمية تكيسها بداخلها ، وعن قوى سياسية واجتماعية تتبناها ، فلم تجد سوى تلك الطبقات البينية ، التي لم تلبث ان انقضت على الجانب الراديكالي والمعادي للامبريالية في التجربة كلها ، وأخذت تجهز عليه خطوة بعد أخرى ·

جملة القول : ان هذه القوى لم تر ايضا جدل العلاقة بين الامبريالية والصهيونية ، بل اعتبرت هذه العلاقة مجرد علاقة سيد بتابع ، دون ان تلاحظ الانتقال الذي حدث في الحركة العامة لمعركتها مع الامبريالية ،حين عجزت القوى المحافظة العربية عن التصدي ، وانتقل مركز ثقل التصدي الى اسرائيل منذ عام ١٩٦٥ تقريبا ، وفي حرب ١٩٦٧ بخاصة ·

مدلولات حرب ١٩٦٧

اظهرت حرب ١٩٦٧ ان المصير الذي واجهته فلسطين لم يكن استثناءا ، بل كان القاعدة التي ستخضع لها كل الاقطار العربية · فقد اقتحم الجيش الاسرائيلي حدود ثلاث من الدول العربية ، لينقل اليها « المشكلة الفلسطينية » ، ويفرضها عليها كمشكلة داخلية ايضا · لقد واجهت الاقطار العربية خلال أيام ستة حقيقة طالما تجاهلتها وفرت منها ، وهي ان التناقضات العدائية لا تحسم بالتأجيل ، وان أحد اطرافها يجب ان يخرج خاسرا منها · كما واجهت خلال أيام الحرب القصيرة مسألة جدوى الدول القطرية نفسها ، وفتحت عينيها على أربعة انواع من الاسئلة :

ـ سؤال حول صحة الاطار العام الذي خاضت فيها معركتها مع الامبريالية ·

– وسؤال حول الادوات الدولية التي استخدمتها خلال هذه المعركة ٠

– وسؤال ثالث حول برنامج عملها الذي ترجمت فيه طموحاتها القومية والطبقية ٠

– وسؤال اخير حول القوى التي تصدت لتنفيذ هذا البرنامج ، وخوض المعركة ٠

وكانت الفاجعة ان الاجوبة على هذه الاسئلة الاربعة لم تكن في صالحها ، وان معركة حزيران قد أكرهتها على مراجعة نشاطها كله ، وهي في وضع المهزوم ، وبعد ان ديست قدسية الدولة القطرية بصدمة عسكرية قاسية من الخارج ، نقلت الى داخل كل قطر مهزوم "الجرثومة" الفلسطينية ، ومعها السؤال التالي : ما جدوى كل ما فعلناه ، اذا كان مهددا بالانهيار ، اثر ضربة عسكرية اسرائيلية خارجية ؟٠ ان اسرائيل لم تعد مشكلة خارجية بهذا المنظور ، بل غدت قوة داخلية عربية قادرة على حجز التطور الديمقراطي والثوري العربي ٠ ولقد كان عدوان حزيران ، بهذا المعنى ، البرهان القاطع على ترابط مهمات الثورة الديمقراطية أولا ، وعلى خطأ الفصل بين وجهيها الداخلي والخارجي ثانيا ، وعلى صعوبة انتزاع تقدم في أحد مجالاتها ، ان لم يؤمن بما فيه الكفاية في المجالات الاخرى ثالثا ٠ ولقد اكتشفت القوى الجديدة ان تغيرا عميقا كان يجب ان يصيب بنى دولها القطرية ، لتتناسب قدراتها مع المهمات النضالية المطروحة عليها ، وان الطريق القديمة التي سارت عليها ، والنهج الذي مارسته ما عادا صالحين ، ان هي شاءت مواصلة النضال ٠ وانها مكرهة على اتخاذ قرار حاسم تتخلص به من سياستها الوسطية ، او تعود بعده الى الارضية التي وقف عليها حلف الاقطاع والبرجوازية في سياساته حيال مسألة الامبريالية والقضية الفلسطينية ، علها بذلك « تنقذ ما يمكن انقاذه » ٠

بعد مرحلة قصيرة من المقاومة ، انهار الجناح الراديكالي الديمقراطي ، ذو الاصل البرجوازي الصغير الفلاحي ، وحلت محله في السلطة تلك الشرائح التي صعدت معه في الحكم ، ووصلت الى وضع صار حسم الصراع فيه يلحق اشد الضرر بمصالحها ، ومصالح الطبقات والقوى الوسطية والبينية في المجتمع برمته ٠ مع سقوط القوى من النمط الراديكالي سقط الخيار الجذري ، وانسدت المساومة والتكييف، كما عبر عن نفسه فر حرب ١٩٦٧ ، وما تلاها من تطورات عسكرية وسياسية ٠

كان صعود التيار الجديد الى مركز القرار السياسي تطورا هاما في الحياة السياسية العربية ، كما كان حدثا نوعيا بالنسبة للقضية الفلسطينية بالذات ،

التي شهدت قواها مع تقهقر التيار الاول ، وصعود التيار الجديد عمليات قمع وتصفية وصلت حد الابادة عسكريا وسياسيا ٠

هذا الصعود مثل ارتدادا الى سياسة الاقطاع والبرجوازية التقليدية في مسألتين :

الاولى : الايمان بان القضية الفلسطينية لا يمكن ان تجد لها حلا خارج اطار التحالف مع الامبريالية ٠

والثانية : هي ان القضية الفلسطينية لا تعدو كونها خلافا بين كيانات سياسية داخل المنطقة العربية ، وليست موضوع استراتيجية للنضال ضد الامبريالية ، وهي بهذا المعنى غير صالحة لان تكون محكا لجدارة الدولة القطرية في الوجود ، لان مبررات هذاالوجود يجب ان تتجاوزها ، بعد أن كانت القضية الفلسطينية هي القضية الوحيدة التي خسرت بهاالدولة القطرية ، وكانت المسألة الاساسية التي امتحنت بها ، وساقتها من فشل الى آخر ٠

المهم ، ان هذه السياسة التقليدية قد صاحبها تبدل جذري في موقع القضية الفلسطينية من مهمات النضال ، كما رأته القوى الجديدة ، التي صعدت بعد ١٩٦٧ ، فلم تعد القضية التي تقاس بها عروبة هذا النظام أو ذاك ، بل صارت قضية خارجية وهامشية بالنسبة لمعظم الانظمة ، لانها فقدت تلك الدرجة من التمفصل مع المهمات الداخلية والقومية للنضال ، التقدمي والمعادي للامبريالية ، وتحولت من « قضية » الى « مشكلة » ، ودرجت تسميتها الاخيرة فعلا ، على كل لسان رسمي وشفة ٠ وكان الستار الذي مررت من تحته هذه العودة عن الطابع النضالي للقضية الفلسطينية هو ذلك الفصل بين مهمات التحرر الوطني التي وزعت على مرحلتين سميت الاولى منهما « ازالة آثار العدوان » والثانية «تحرير الارض المغتصبة » ٠ ونحن لا نعترض على هذا الفصل اعتراضا شكليا ، لانه لا مانع لدينا ان يمرحل النضال العربي ، لكننا نؤمن ان ازالة آثار العدوان ليست مهمة منفصلة عن « تحرير الارض المغتصبة » ، وان قوة العدو داخل هذه الارض المغتصبة هي التي تحمي العدوان في اراضي الاقطار العربية المجاورة لفلسطين ٠ وان تدمير هذه القوة شرط ضروري لازالة آثار العدوان ، ولكن تدمير القوة المعادية سيعني ، او يجب ان يعني ، تحرير الارض المغتصبة ٠ هذه المرحلة التي تتحدث عنها قوى ما بعد ١٩٦٧ ، بحجة ان العالم يفهمها اكثر مما يفهم شعارات التحرير ، لا تريد الوصول الى العالم حقا ، بوصفها المرحلة الاولى من تحرير الارض ، بل تريد امرا آخر ، هو الايحاء بان مشاكل الانظمة ومهماتها (ازالة آثار العدوان) ، تختلف جذريا عن القضية الفلسطينية (تحرير

الارض المغتصبة) ، ولهذا فانها لا تفهم « ازالة آثار العدوان » كمفهوم يعادل في الواقع مفهوم « تحرير الارض المغتصبة » ، بل تطرحه كشعار مضاد لمفهوم التحرير ، لان ازالة آثار العدوان قد يتم بصورة سلمية ، عبر المفاوضات والتسويات ، والتحرير لا يتم بالمفاوضات ولا بالتسويات السلمية ، بل بالقوة دون سواها ، ربما ان « ازالة آثار العدوان » تتم هذه الايام بالمفاوضات ، فانها تتم عمليا على حساب التحرير ، خاصة بعد ان منعت سائر القوى العربية من النضال في سبيله بالقوة ، باي حجم كان ولاي سبب كان ٠ ان « ازالة آثار العدوان » قد غدت نقيض « تحرير الارض » ، ولان الاراضي التي سيزال العدوان عنها هي اراضي الدولة القطرية ، فان مطلب ازالة آثار العدوان يعني بالنسبة لها « الانسحاب الاسرائيلي الكامل من كل شبر منها » ، اما « التحرير » ، هذه المسألة القومية العامة ، فهو لا يعني شيئا بالنسبة للبعض (نوافق على ما يوافق عليه شعب فلسطين ، وهذا مسلوب الارادة غدا اكثر من اليوم ، وبعد غد اكثر من الغد !!) ، او انه يعني « قرارات الامم المتحدة » ، ولكن دون تحديد كاف لها ، مع اننا أول امة تربط قولا وفعلا حقوقها القومية بارادة دولية ، بدل أن نربطها بارادتنا القومية نفسها ، ونجعل منها بالتالي رائزا لتبلور كياننا ووجداننا القومي نفسه !!٠

هكذا تحولت ارادتنا في القضية القومية ، قضية فلسطين ، الى الحق الدولي عالميا ، والجغرافيا محليا ، بينما بقيت القضية الوطنية منصبة على هدفها الاساسي ، وهو المسألة السياسية المرتبطة باندماج الشخصية الدولية القطرية واستكمال قوامها التاريخي الذي ورثته مرة اخرى ٠ وقد قال احد زعماء العرب ذات مرة ما معناه : ان حدود بلاده مهددة بان تتغير لاول مرة منذ عدة آلاف من السنين ،ولم يخطر بباله ان تسليمه في المسألة القومية يهدد **وجود أمته** ، وليس حدود بلاده ،لعدة مئات قادمة من السنين ، ويضع حدود بلاده نفسها تحت رحمة الغزاة الذين سمح لهم بامتهان كرامة امته من اجل حدود بلاده ٠

وقد بلغ التراجع في المسألة الفلسطينية حدا صرنا نرجو معه الامبريالية ان تجد حلا لمشكلتنا هذه ، بعد ان خضنا معها معارك لا ترحم طوال العقدين والنصف الماضيين ، لانها هي التي تسببت بغرز الاسفين الصهيوني في عمق صدر أمتنا ٠ ولم يعد أحد يحس بالجرح ، حين يقول علنا ان حل القضية برمتها قد صار في يد واشنطن بنسبة تقارب ١٠٠٪ (ترى ما هو دورنا نحن كأمة وكارادات واعية ان القت اميركا بدورها لصالح اسرائيل ، هل نقول عندئذ ان دورنا لا زال هو الصفر ؟!٠ في هذه الحالة ما معنى كلمة « التحرير » و « المعركة » ؟!) ٠

بل ان بعضنا اخذ يحاول شراء قسم من الاراضي المحتلة من الصهاينة

أنفسهم ، حين حاول اغراءهم بالايدي العاملة العربية الرخيصة ،وفائض الاموال العربية ، اللذين يجب ان يقرنا « بالعبقرية الاسرائيلية المبدعة » ليتغير شكل المنطقة ، وتسير نحو التقدم والازدهار ٠

هذا التحول العميق نحو الاستراتيجية التقليدية للاقطاع والبرجوازية يعني عمليا العجز الكامل عن استرداد اية قطعة من الارض العربية المحتلة بالقوة ، وهو يعني المساومة التقليدية التي دخلها الاقطاع والبرجوازية مع الامبريالية ، ولكن على أرضية اكثر خطورة وعمقا من الارضية التي تلت الحرب العالمية الاولى ٠ وهو يعني ثالثا العودة بالعرب الى وضع ميؤوس منه حيال الامبريالية والصهيونية ، علهما يؤمنان للكيانات القطرية شيئا من الحماية العسكرية ، او جوا من الامن الخارجي يمكنها من الانصراف لقضاياها الداخلية والعربية ، في اطار من مصالح القوى المتحكمة بها : وهي الرأسمالية الدولية والكيان الصهيوني في فلسطين المحتلة ٠ ان التخبط الذي تعيشه الانظمة الان ليس نابعا من عجزها عن التقدم في القضية الفلسطينية ، كما يدعي بعض وجوهها ، بل هو عائد ، اولا واخيرا ، لعجزها عن التقدم في مسألة استرداد اراضيها ٠ والامبريالية لا تمكنها من انجاز اي تقدم حاسم على هذا الصعيد ، لانها تعلم ان هذا العجز هو مقتل الدولة القطرية ، وانه السبيل الى ابتزازها حتى النهاية، وتحويلها من كيان قد يرتبط بحركة قومية صاعدة ، الى اداة للتدهور والانهيار العام ، ومن تعبير عن الوحدة السياسية والاجتماعية كمجموعة بشرية ما ، الى تعبير عن التفكك والانقسام والعشائرية والطائفية ٠ وهي تدفع بالكيانات القطرية في هذا الاتجاه ، بعد أن استنزفتها بالوعود الكاذبة حول عزمها على تمكينها من استرداد اراضيها ، فلا هي اعادت لها الارض ، ولا هي تركت لها القوة لاستردادها ، وغدت روحها معلقة بيد رجل القرار الامبريالي ـ الصهيوني ، الذي يستطيع ان يجهز عليها ، متى رأى في ذلك مصلحة له ٠

ان العودة الى استراتيجية الاقطاع ـ البرجوازية في القضية الفلسطينية ، والتخلي عن النظر الى هذه القضية بوصفها أحد روافع التقدم والثورة العربيين، قد صحبهما صعود حقيقي لقوى شبه برجوازية الى السلطة في اقطار عربية عديدة ، وتخل عن الثورة والتقدم في معظم هذه الاقطار ٠ ومع ان هذه الرابطة بين الامرين تستحق دراسة خاصة ، فاننا اردنا التأكيد عليها فقط ، قبل ان ننتقل الى النقطة التي تليها ٠

قضية فلسطين ، في منظار مستقبلي

لم تنجح اية قوة عربية ، بعد الحرب العالمية الاولى ، في اخراج القضية الفلسطينية من وضعها الداخلي ، فقد تحولت هذه القضية الى عنصر من

العناصر الداخلية لحل مجتمع عربي ، وبهذا القدر أو ذاك ، لانها صارت أحد الاوجه الداخلية للموقف الخارجي من الامبريالية والصهيونية ، كما صارت احد الاوجه الخارجية للموقف الامبريالي والصهيوني من التطورات الداخلية للمجتمعات العربية المعاصرة · ان القضية الفلسطينية ، كفرع من المسألة القومية الاعم ، وكجزء مركزي من التناقض مع الامبريالية صارت تتجلى في كل فعالية سياسية ـ اجتماعية عربية ، وغدت متداخلة في مجمل تركيب المجتمع العربي المعاصر ، ومتفاوتة مع طموحاته وكوابحه ، مع تقدمه وتراجعه ، ومع تحرره وعبوديته ·

بهذا المعنى لن تجد القوى الثورية مهربا من القضية الفلسطينية ، فهي ان تصدت للمشكلة القومية وجدت أمامها القضية الفلسطينية ، وان تصدت للعلاقة مع الامبريالية ، وجدت أمامها القضية الفلسطينية ، وان تصدت لمسألة التقدم والتحرر ، وجدت أمامها قضية فلسطين · ان قضية فلسطين كانت ولا تزال مسألة لا تحتمل التأجيل ، وهي كانت ولا تزال مسألة تتسم بالشمول والاتساع · وستجد القوى الثورية نفسها ، في موضوع القضية الفلسطينية ، حيال الامرين التاليين :

١ ـ اذا كانت الامبريالية تحول القضية الفلسطينية الى عامل مساعد في يدها ، فماذا نفعل لكي ننزع منها هذا السلاح ، ونحوله الى عامل لصالحنا ، وضدها ·

٢ ـ اذاكانت القضية الفلسطينية قادرة على كبح تطورنا ، فماذا نفعل لكي نحولها الى عنصر من عناصر التقدم والوحدة العربيين ؟!·

هاتان المسألتان ليستا من طبيعة نظرية ، بل هما عمليتان حتى العظم · وهما ليستا عمليتين بمعنى ان حلهما ممكن مرة واحدة ، بل هما عمليتان بالمعنى الآخر الذي لم تمارسه السياسة العربية حتى الآن · فقد كانت هذه السياسة تعتقد ان « تحرير » فلسطين سيأتي بعد سلسلة من الاستعدادات ، تمهد له وتكون شرطه اللازم والضروري · وكانت تجيز لنفسها الحديث النظري عن التحرير ، ما دامت الاستعدادات العملية تتخذ من أجله · ذلك كان معنى « العملية » في السياسة · أما ما عنيناه هنا فهو مفهوم آخر يقوم على اعتبار تحرير فلسطين قضية يومية ، تدخل في البناء الداخلي للدولة والمجتمع ، وتتشابك مع العلاقة الدولية التي يقيمانها ، وتتقاطع فيها سائر الجهود المبذولة لوضع صورة بديلة ومستقبلية للتنظيم السياسي والاجتماعي للوطن العربي ، كما تتبلور فيها هذه الجهود ، يوما بيوم وساعة بساعة · ان المسألة لن ترتبط اذن بانتهاء عملية بناء المجتمع ، ولن تتوقف على هزيمة الامبريالية تماما ، بل ستكون جزءا من عملية بناء المجتمع البديل ، وقطعة من الدرب المفضية الى هزيمة الامبريالية ،

وهذا سينعكس بدوره على موضوع الاولويات السياسية بأسره ، فالاولوية لن تكون **للبناء الداخلي** الذي يعقبه تحرير خارجي ، بل ستكون للمعركة في أوجهها المختلفة ، ولمراكز الثقل الاكثر تأثيرا من سواها بين العناصر المختلفة لهذه الاوجه · هكذا لن يكون هناك بناء داخلي ومعركة خارجية كقطاعين منفصلين ، بل سيكون ثمة عملية واحدة مترابطة ، ذات مراكز ثقل متحولة من فترة لاخرى ، وضمن سيرورة متدفقة الى أبعد حد ممكن · لكن خلق مثل هذا الوضع يتطلب شرطا اوليا واحدا لامهرب منه :

فمن المعروف ان قضية فلسطين هي جزء من ثورة ديمقراطية عربية معادية للامبريالية ، وان هذه القضية هي احدى روافع التقدم الاشتراكي العربي ، والا فانها ، في الحالة المعاكسة ، ستصبح قيدا على التقدم ، وحاجزا امام الثورة الديمقراطية (بعضهم يريد بناء الاشتراكية وهو مستسلم ديمقراطيا امام الامبريالية !!) · لكن الثورة الديمقراطية تعني التحرر من السيطرة الخارجية أولا ، والتخلص من آثار هذه السيطرة على الصعيد الداخلي ثانيا · وهذه الآثار تتجلى في التجزئة والتخلف العربي الذي ينتج نفسه ويتكاثر · وقد كان شائعا حتى الآن ان حل هاتين المهمتين هو في الوقت نفسه حل ، غير مباشر ، للقضية الفلسطينية ، ولكن ضمن ترتيب للاولويات يضعها في نهاية لائحة المهمات · أما الآن ، وبعد هزيمة ١٩٦٧ ، فان هذه الفكرة قد اثبتت خطلها ، وصار جليا ان القضية الفلسطينية ليست ذات وجه عربي وحسب ، بل هي ذات بعد دولي ايضا تكمن وراءه قوى قادرة على ترجمته دوما الى هجوم معاكس صاعق على انجازات الثورة الديمقراطية في بعديها الخارجي والداخلي ·

لكن هزيمة ١٩٦٧ أثبتت امرا آخر ، وهو ان القوى القائدة للثورة الديمقراطية قد عجزت عن السير في هذه الثورة الى نهايتها ، بل وعجزت حتى عن حمايتها ، وعن رسم الخطط الصحيحة لمسارها ، وعن تصور مجرياتها ولو تصورا تقريبيا · والآن نجد انفسنا أمام قوى أخرى تتنطح لقيادة مهمات ثورة ديمقراطية « معكوسة » الى حد كبير ، تقوم على ان انجاز مهمات هذه الثورة ليس ممكنا ، من الناحية الواقعية ، الا بالاستناد الى نفوذ الامبريالية ، وهذا يدل عمليا على الطبيعة الطبقية لهذه القوى ، التي صرفت الثورة الديمقراطية عن طابعها المعادي للامبريالية ، وسارت بها في طريق **برجوازي** ، محولة اياها الى ثورة ديمقراطية (على الصعيد النظري ، مركوبة على الصعيد العملي) برجوازية سندها الاساسي هو الامبريالية ·

هذان التطوران ، على صعيد القوى القائدة للثورة الديمقراطية ، وعلى صعيد التحول الذي اصاب هذه الثورة ، ونقلها من رافع للتقدم نحو الاشتراكية الى بوابة للتطور البرجوازي ـ الرأسمالي ، كان وراء الهبوط الذي شهدته

القضية الفلسطينية في العقد الاخير ، وكانا وراء تحول هذه القضية من صاعق ثوري الى عبء يتهدد القوى الجديدة ومخططاتها ، وجب بالتالي الخلاص منه ٠ وعلى كل حال ، فاننا لا نريد ان نثبت هنا ان صعود القضية الفلسطينية مرتبط بصعود قوى طبقية ثورية الى السلطة في البدان العربية وحسب ، بل اننا نريد ان نثبت ان التشوه الذي أصاب القضية الفلسطينية نابع بالاساس من التشوه الاكبر الذي اصاب الثورة الديمقراطية ومهماتها ، وحولها الى ثورة ضد مستقبلها ، والى تطور مقطوع الرأس ، يتعارض حاضره مع غده ، وتتناقض قيادته مع جماهيره ٠ وبكلمات اخرى : ان القضية الفلسطينية قد غدت جزءا من ثورة ديمقراطية منفتحة على الاشتراكية وآيلة اليها ، وبما ان هذه ليست ممكنة (بدليل فشل سابقتها) ان لم تكن قيادتها للطبقة العاملة وحلفائها ، فان انتصار الثورة الديمقراطية برمتها قد غدا جزءا من انتصار الثورة الاشتراكية وقواها، كما صار انتصار الثورة الديمقراطية مرهونا بانتصار قوى الثورة الاشتراكية ، لان الحديث عن انتصار الثورة الاشتراكية التام ، ينقلنا مرة اخرى الى مفاهيم البرجوازية التقليدية حول ضرورة وجود مرحلتين للنضال من أجل فلسطين ، واحدة غير فلسطينية ، والثانية فلسطينية تبدأ بعد نهاية المرحلة الاولى (الاستعدادات) ٠ هنا ، ستسير مهمات الثورتين الديمقراطية والاشتراكية يدا بيد ، وستتزامل مهمات التحرر الوطني والقومي مع مهمات البناء الاشتراكي ، وستنشأ علاقة جدلية بينهما ، ليس في المآل الاخير ، بل وفي المهمات اليومية ، وليس في العموميات ، بل وفي التفاصيل ، ولن يكون هناك من حاجة لانتصار الثورة الاشتراكية انتصارا تاما وناجزا ، بل سيكون بالامكان تصور تطور مركب ، يؤثر التطور الثوري الديمقراطي في شكل التطور الاشتراكي ، ويتحدد التطور الديمقراطي بالصورة التي تحل بها المهمات الاشتراكية ، وبآفاق هذا الحل ٠ انها مرحلة مركبة ومعقدة ، سيترافق فيها النضال من أجل تحرير فلسطين ، مع النضال في سبيل الوحدة العربية ، مع النضال في سبيل حل مشكلة التأخر العربي ، مع النضال في سبيل ايجاد حلول ثورية للمشكلة السياسية ، كما تتجلى في العلاقة بين الدولة والطبقة والجماهير ٠ وبمقدار ما نتقدم ، عندئذ ، على طريق حل المهمات الديمقراطية سينفتح الدرب امامنا لحل المهمات الاشتراكية للثورة وبالعكس ٠

ان السياسة الراهنة تقوم على فصل القضية الفلسطينية عن الاوضاع الداخلية للكيانات القائمة ، اما السياسة المستقبلية فستقوم على دمج القضية الفلسطينية بالاوضاع الداخلية ، وربط هذه بالقضية الفلسطينية الى ابعد حد وأكبر درجة ، بحيث تنشأ بينهما تلك الوحدة العضوية الوثيقة ، التي تقوم في العادة بين مهمات الثورتين الديمقراطية والاشتراكية ، كيما تصبح كل واحدة منهما شرطا للاخرى ، تفترضها وتتحقق بها ٠

محمد المجذوب

حياد لبنان : عزله وعزلته

النائب ادوار حنين ، امين عام « الجبهة اللبنانية ، كتب مرة عن الحياد اللبناني ، فاعتبر « الخارجين على الحياد خارجين على لبنان بالذات » ، وحدد مفهومه للحياد بالعبارات التالية :

« الحياد الذي ينشده اللبنانيون اصيل ومعقد ، فهو حياد عن الشرق والغرب ، حياد عن الابعدين والاقربين ، حياد في كل آن وحين ، في حالة حرب ، في حالة سلم ، وفي حالة تحضر وتحضير · حياد كامل ناجز ، لا ثغرة فيه ، ولا شائبة ، ولا عيب · حياد صادق ، مخلص ، نزيه ، حكيم ، محكم ، امين ··· حياد يكون حيادا وحسب · فلا هو حياد ايجابي ، ولا هو حياد عطوف ، ولا هو حياد جماعي · حياد يكون ، بالنسبة الينا ، حكومة وشعبا ، كنجم القطب، به نهتدي وعلى ضوئه نسير » ·

ورد على مآخذ المعارضين للحياد فقال اننا نطالب بالحياد ليصير من حقنا ان نقول : « ليس لبنانيا اي لبناني لا يكون الا لبنانيا » !! (١) ·

وفي البيان الذي وجهه رئيس الكتائب الى المؤتمر الخامس عشر للحزب ، طالب بحياد لبناني « يكون حيادا خاصا ، وليس كأي حياد اخر ··· » (٢) ·

وألقى النائب الكتائبي ، ادمون رزق ، محاضرة بعنوان : « في سبيل حياد لبناني » ، فطالب بحياد لبناني دون تعريف ولا حصر ولا تخصيص · واعتبر ان لبنان المحايد « هو الانفع لعياله ، والابر باخوانه ، يفتح آفاق المجد لشعبه .

والامان والبحبوحة ، ويخدم العرب ، بان يكون ملتقى لهم وموعدا ، يأتونه اصفياء ومتصافين ، يحفظونه خارج الخلافات والنزاعات ، ليوم مصالحة وتفاهم ، لمساع حميدة وجلسات انس ومودات » (٣) ٠

بهذه البلاغة الكلامية ، وبهذا الاسلوب العاطفي المنمق الغامض ، يعالج معظم اركان « الجبهة اللبنانية » وانصارهم فكرة الحياد اللبناني ٠ ومع ان هذه الفكرة ليست بالجديدة ، فهي تطرح علينا اليوم ، لاعتقاد انصارها ان الظروف السياسية الراهنة تسمح بتحقيقها ٠

ومشروع الحياد ، كمشروع التدويل او القوات الدولية او الكانتونات ، من وحي واحد ، ويستهدف اغراضا متشابهة ٠ وطرح هذه المشاريع في فترات معينة ، واثارة الجدل حولها ، وتجنيد بعض الاقلام للدعوة لها ، اصبح خطة معروفة ومفضوحة ٠ ولعل وضع الحركة الوطنية ، في لبنان وبقية الاقطار العربية ، هو المؤشر الصحيح لمعرفة توقيت ظهور هذه المشاريع او اختفائها ، فعندما تكون هذه الحركة في مرحلة مد وانطلاق تختفي كل دعوة مشبوهة ، فاذا ما اصيبت بنكسة او تعرضت لانحسار ، اطلت الافكار والمشروعات الخبيثة من جحورها وسعت الى فرض وجودها وترسيخ اقدامها ٠ وسنلمس هذه الحقيقة في القسم الثاني من بحثنا ، المخصص للحديث عن الدعوة للحياد كما ظهرت في السياسة اللبنانية والفكر الانعزالي اللبناني ٠ اما القسم الاول فسنكرسه لحديث موجز عن مفهوم الحياد وتطوره ٠

□

القسم الاول : لمحة عن مفهوم الحياد وتطوره

اولا ـ مفهوم الحياد قبل الحرب العالمية الاولى

الدولة الحيادية او المحايدة هي الدولة التي تمتنع ، بمحض اختيارها ، عن الاشتراك في حرب قائمة بين دولتين او اكثر ٠ وليس في القانون العام ما يلزم الدول بالتزام الحياد ، فلكل دولة ، بما تملك من سيادة ، مطلق الحرية في الاشتراك في الحروب المشروعة او البقاء بمعزل عنها والاحتفاظ بعلاقاتها السلمية مع الجميع ٠ غير انه يترتب على الدولة التي تفضل التزام الحياد اتباع سلوك معين تجاه الدول المتحاربة وتحمل بعض التصرفات الصادرة عنها ٠ وهذا ما يعرف بقانون الحياد ٠ ولا علاقة لهذا القانون بقانون الحرب الذي يحكم وينظم العلاقات بين المتحاربين ٠

ونظام الحياد يقوم على ركيزتين : واجبات المتحاربين التي تقضي باحترام

السيادة الاقليمية ، وحرية التنقل والاتصال للدول المحايدة ، وواجبات المحايدين التي تقضي بالامتناع عن كل تدخل في النزاع ، وبالتعامل مع المتحاربين دون تحيز او انحياز ٠

ومفهوم الحياد لم يتبلور ، قانونا وممارسة ، الا منذ زمن قريب ٠ ففي الفترة التي كانت فيها العلاقات الدولية تخضع لسيطرة القوى البحرية الكبـــرى (مثل انجلترا وهولندا) ، لم يكن للحياد وجود ، لان هذه القوى كانت لا تعترف بحياد الاخرين ولا تقيم وزنا لمصالحهم ٠

ومنذ نهاية القرن الثامن عشر ، ومع حدوث شيء من توازن القوى بين الدول الكبرى ، اخذ الحياد يظهر وينمو ويرتدي اشكالا مختلفة ٠ وكان لموقـــف الولايات المتحدة الاميركية ، في هذا الصدد ، اهمية خاصة ٠ فالبيانات التـــي صدرت عن الرئيس جورج واشنطن في عامي ١٧٩٣ و ١٧٩٤ ، وقانون الحياد الاميركي الصادر في ٥ـ٥ـ١٧٩٤ (والمجدد في العام ١٨١٨) تشكل العناصر الاساسية للممارسة الدولية في حقل الحياد ٠

وجرت محاولات لتحديد القواعد التقليدية للحياد ، وتقنين واجبات المحايدين، لم تكلل بالنجاح ، فبقيت هذه القواعد والواجبات مطاطة تسمح للمحايد بتقديم كل المساعدات الى المحاربين ، ومنها مرور جيوشهم في ارضه والتحاق مواطنيه بجيوشهم ٠ ان اعتماد الدول الاوروبية في حروبها على المرتزقة السويسريـــن قد استمر حتى العام ١٨٤٨ ، اي الى ان حرم ذلك الدستور الفدرالي ٠ وكـان اعلان باريس لعام ١٨٥٦ حول الحرب البحرية اول اتفاق دولي يعالج موضوع الحياد ٠ ولكن الفضل في اقرار التنظيم الدقيق والتفصيلي لحقوق المحايديـن وواجباتهم يعود الى المؤتمر الثاني للسلام ، الذي عقد في لاهاي فـــي العـــام ١٩٠٧ ٠

ثانيا ـ مفهوم الحياد في القرن العشرين

تعرض مفهوم الحياد ، في الحرب العالمية الاولى ، لانقلاب في القيم ٠ لقـد انتشرت فكرة جديدة تنادي بالزام كل دولة باتخاذ موقف من المعتدي ٠ فالحـرب لم تعد مجرد مبارزة دموية لا علاقة للمحايدين بها ، بل اصبحت موجهـة ضـد الاسرة الدولية جمعاء تحتم على كل دولة التعاون والتضامن لقمعها ٠

وتسربت هذه الفكرة ، ولو بشكل متواضع ، الى ميثاق عصبـــة الامـــم ٠ فواضعو الميثاق لم يجرؤوا ، في الحقيقة ، على اعـلان الغاء نظام الحياد لئلا ينالوا من مبدأ سيادة الدول ، فتبنوا حلا يعتمد مبدأ التمييز بين الحـــروب المشروعة ، اي الحروب التي يجيزها الميثاق ، والحروب غير المشروعة ، اي

الحروب التي تنتهك حرمة الميثاق · ففي الحالة الاولى يتم تطبيق المفهوم القديم للحياد التقليدي ، وفي الحالة الثانية يعمل بالمفهوم الجديد للحياد الـــذي سمي بالحياد « الموصوف » ، او الحياد الذي تنص عليه المادة ١٦ من الميثاق ، ومفادها ان اعضاء العصبة ، ممن يعفون من الاشتراك في انزال العقوبـــات العسكرية بالمعتدي ، ملزمون بالاشتراك في التدابير الجماعية ذات الطابـــع المالي او الاقتصادي ، وبالسماح للجيوش الاجنبية المتعاونة على قمع المعتدي بالمرور في اقاليمها · اما بالنسبة الى الدول غير الاعضاء فـــي العصبـــة فتستطيع التزام الحياد حتى في الحروب التي لا يقرها الميثاق ·

وفي بداية الحرب العالمية الثانية ، اصيبت الاصول التقليدية للحياد بنكسة من جراء العمل بقواعد تتعارض مع المفهوم التقليدي للحياد · لقد طرأ تغيـــر واضح على وضع بعض الدول المحايدة ، وفي طليعتها الولايـــات المتحـــدة ، فقامت ، في فترة حيادها في بداية الحرب ، بدور « اللامحارب » ، فلم تشتـرك فعلا في العمليات الحربية الدائرة بين المتحاربين ، ولكنها تدخلت في النزاع باتخاذها تدابير دبلوماسية واقتصادية لصالح احد الطرفين المتنازعيـــن ·

فقانون الحياد الاميركي الصادر في ٤ـ١١ـ١٩٣٩ اجاز ، مثـــلا ، تصديـــر الاسلحة للمحاربين مشترطا دفع ثمنها ونقلها بوسائلهم الخاصة ·

ومع ظهور الامم المتحدة خيل الى البعض ان المفهوم التقليدي للحيـــاد قد زال ، لان الميثاق الاممي قد تولى تنظيم الامن الجماعي الذي يجعل الرد على كـــل تهديـــد للسلام مهمـــة جماعيـــة تشترك فيها كل الدول الاعضاء · غير ان الفقهاء الدوليين على خلاف حول هذه الفكرة ·

ويبدو لنا ان احكام الميثاق نفسه ، بالاضافة الى الممارسة التي سارت عليها الامم المتحدة ، منذ العام ١٩٤٥ ، تثبت ان قانون الحياد التقليدي لم يطـــرأ عليه اي تغيير منذ توقيع اتفاقيات لاهاي · فمن حق الدول غير الاعضاء فـــي المنظمة العالمية الالتزام بحالة الحياد في كل حين · واذا عجز مجلس الامـــن عن اتخاذ قرار حاسم ضد دولة معتدية بسبب استعمال حق النقض ، فمن حـــق الدول الاعضاء اعتماد الحياد ، بل ان الامم المتحدة نفسها قد شجعت ودعمت موقف الدول الحيادية ، ففي اتفاقيات جنيف ، المبرمة فـــي ١٢ـ٨ـ١٩٤٩ ، عهدت الى هذه الدول بالسهر على تنفيذها · وعند ابرام الهدنة في كوريا ، دعت المنظمة السويد والهند (اللتين اعلنتا حيادهما) وسويسرا (ذات الحيـــاد الدستوري الدائم ، وغير العضو فيها) الى تأمين المراقبة على الهدنة ووقـف اطلاق النار · وفي العام ١٩٥٥ ، وافقت المنظمة على انضمام النمسا اليها بعد اعتراف الدول بحيادها الدائم (٤) ·

ثالثا ـ الحياد الدائم

والحياد ، في القانون الدولي العام ، نوعان : مؤقت ودائم ، فالمؤقت موقف تلتزمه الدولة ـ كما رأينا ـ تجاه حرب معينة · اما الدائم فوضع قانوني تتعهد فيه الدولة الحيادية بعدم اللجوء الى القوة ، كما تتعهد الدول الكبرى او المجاورة باحترامه وضمانه · والدول المحايدة ، بشكل دائم او مؤقت ، تخضع لنفس الواجبات وتتمتع بنفس الحقوق · وواجباتها على نوعين :

ـ **واجبات منع** تقضي بمنع اي من المتحاربين من القيام بأي عمل من اعمال الحرب في اقليم الدولة المحايدة ·

ـ **وواجبات امتناع** تفرض على الدولة المحايدة الامتناع عن تقديم اية مساعدة لاحد الاطراف المحاربة ·

اما حقوقها فتتلخص بما يلي :

ـ احترام سيادة الدولة المحايدة وسلامة اقاليمها ·

ـ وحرية العلاقات التجارية بين الدول المحايدة ، او بينها وبين المحاربين ·

ـ واحترام رعاياها وصيانة اموالهم في حال وجودهم في اقاليم الدول المحاربة ، او في الاقاليم التي تحتلها هذه الدول · واحترام الرعايا يستلزم عدم تحميلهم من الاعباء والقيود اكثر مما يتحمله الاشخاص الاخرون · الا ان الدول المحاربة تصبح في حل من احترامهم اذا قاموا باعمال تتنافى مع حياد دولهم ·

ومن الدول التي وضعت في حالة حياد دائم في القرن الماضي : سويسرا في العام ١٨١٤ ، وبلجيكا في العام ١٨٣١ ، ولوكسمبورج في العام ١٨٦٧ · وكان لكل حياد ظروفه واغراضه · ومع ان المانيا كانت من ضمن الدول الضامنة لحياد الدولتين الاخيرتين ، فلم تتورع عن غزوهما في الحرب العالمية الاولى ، مما دفعهما الى التخلي عن نظام الحياد · وفي السنوات الاخيرة فرض الحياد الدائم ، لاسباب تتعلق بالمساومات والخلافات بين الكبار ، على دولتين : النمسا في العام ١٩٥٥ ، واللاووس في العام ١٩٦٢ ·

والحياد الدائم نظام اوجدته السياسة الاوروبية في القرن التاسع عشر لتحقيق غرضين : حماية الدول الضعيفة التي يعتبر وجودها ضروريا للمحافظة على التوازن الدولي ، ثم حماية السلام العالمي باقامة حاجز عازل بين دولتين قويتين لتجنب الاحتكاك او التصادم بينهما (٥) ·

فالمصلحة الخاصة للدول الكبرى هي العامل القوي الذي يملي عليها فرض الحياد على بعض الدول الصغرى ، والتعهد بضمانه واحترامه · والتاريخ ينبئنا بان مصلحة المانيا هي التي كانت السبب في احترام حياد بلجيكا

ولوكسمبورج ، والسبب كذلك في انتهاكه · وحياد سويسرا ، ان كان قد حظي في البداية ، بشيء من الاحترام فلان جيرانها (او اثنين منهم على الاقل) كانوا اقوياء ، وكان لكل منهم مصلحة خاصة في الحفاظعلىهذا الحياد · ولكن ، ما ان تغير الوضع واستطاعت احدى الدول المجاورة (وهي فرنسا النابليونية) التغلب على الاخرين حتى اصبح حياد سويسرا ، بالنسبة اليها ، « كلمة جوفاء » ، فعمدت الى ضم قسم من الكانتونات السويسرية اليها · واحجام هتلر عن مهاجمة سويسرا لم يكن بدافع الاحترام لحيادها ، بل لانه كان يصعب عليه ، قبل اجتياح هولندا وبلجيكا وفرنسا ، احتلال بلد كسويسرا يتكون من جبال شاهقة ويتمتع بجيش شديد المراس · وبعد ان احتل معظم اوروبة لم يعاود التفكير في غزو سويسرا لانه لم يعد لها ولحيادها اهمية استراتيجية (٦) ·

رابعا ـ **الحياد والتحييد**

المطالبون بالحياد اللبناني يستعملون غالبا كلمة : تحييد · والفرق شاسع بين الحياد والتحييد في القانون الدولي العام · فالحياد يطبق على دولة مستقلة بكاملها ، بينما لا يطبق التحييد الا على جزء من اقليم دولة معينة · والحياد لا يعني حرمان الدولة من حق التسلح ، بينما يحتم التحييد تجريد الجزء المحيد من السلاح ·

وللتحييد اغراض ، اهمها : ابعاد الخصومات العسكرية عن منطقة متنازع عليها ، او حماية بلد من خطر الاعتداء المفاجيء عليه ، او توفير ضمانات امنية لدولة مجاورة ·· وقد ينشأ التحييد باتفاق جماعي · وقد يفرض احيانا على دولة دون ان تكون طرفا في المعاهدة · وكثيرا ما يكون التحييد من اجل تطبيق بعض الانظمة الدولية على القنوات والمضايق والانهار ·

ومن اشهر الامثلة على التحييد : تحييد منطقة السافوا الفرنسية (ما بين عامي ١٨١٥ و ١٩١٩) ، وتحييد جزر اولاند بين روسيا وفنلندا بعد حرب القرم ، وتحييد المنطقة الواقعة بين السويد والنروج بعد زوال الاتحاد بينهما في العام ١٩٠٥ ، وتحييد قناة السويس والمضايق التركية في بعض الفترات الزمنية ·

ومما لا شك فيه ان المنادين بتحييد لبنان لا يقصدون البتة تحييد قسم منه · انهم يجانبون التعبير الصحيح ، فهم يبغون تحييد لبنان كله ، اي تحويله الى دولة حيادية تعلن حيادها في دستورها ، وتعترف به وتضمنه بقية الدول · ان كلمة تحييد ، في مخيلاتهم وامانيهم ، مرادفة لكلمة حياد قانوني ·

القسم الثاني : فكرة الحياد في السياسة والفكر اللبنانيين

اولا ـ سياسة الحياد اللبناني بعد الاستقلال

فكرة الحياد اللبناني يعود تاريخها الى الايام الاولى للاستقلال · وقد اثيرت آنذاك بمناسبة البحث في تحديد معالم السياسة الخارجية · وتحمس لها زعماء الاستقلال لسببين : دولي وعربي · ففرنسا ، التي رضيت مكرهة بمنح الاستقلال للبنان ، ارادت تقييده بمعاهدة تحفظ لها بعض الامتيازات دون بقية الدول · ورفض لبنان ذلك واصر على عدم التمييز بين فرنسا وغيرها من الدول التي كان لها دور في نيل الاستقلال · وكانت فكرة الحياد وقتئذ تعني عدم التمييز ، من حيث التعامل الخارجي ، بين دولة واخرى ·

اما المبرر العربي لاتباع سياسة الحياد في لبنان فيتلخص في تجنب الصراع الذي كان قائما بين المعسكرين : الهاشمي (الاردن والعراق) والسعودي (السعودية مدعومة بنظام الملك فاروق) · فالخلاف لم يكن عقائديا ، بل تسابقا وتهافتا على الزعامة والسيطرة · ولهذا فضل لبنان التزام الحياد ازاء المعسكرين ، والقيام بدور حمامة السلام ، والاستفادة من خيرات العرب · وعادت هذه السياسة بالفوائد الجمة على الطبقة الحاكمة في لبنان فجعلتها شعارا للدولة ·

فالحياد اللبناني اذن « ليس حيادا ايديولوجيا ، بمعنى انه حكم على سياسة ما انها خير وعلى اخرى انها شر ·وهو ليس حيادا طموحا ، بمعنى انه مساهمة في حل مشاكل العالم عن طريق السياسة الحيادية ، كما هو الامر بالنسبة الى الهند مثلا ·وهو ليس حيادا قانونيا ، كالنمسا وسويسرا · ولكنه حياد عملي واقعي ، هو اشبه ما يكون بسياسة نفض اليد وعدم حرق الاصابع بنار الخصومات والمشاكل الدولية · فالعمل ، اي عمل ، مجازفة · والرأي ، اي رأي، يسبب مشاكل ومتاعب · والحكمة كل الحكمة في حركة باطنها سكون ، وكلمة باطنها التنصل » (٧) ·

غير ان هذه السياسة التي كان لها ما يبررها في السنوات الاولى لعهد الاستقلال لم تعد صالحة للاستمرار ، ولم تعد قادرة على مواكبة الاحداث المستجدة وارضاء الطموح اللبناني ، ولا سيما بعد بروز عاملين : قيام اسرائيل التي اصبحت تهدد ، باطماعها التوسعية ، لبنان وبقية دول المنطقة ، ثم تغير طبيعة الخلافات العربية التي اصبحت خلافات حول العقائد والمبادىء والاتجاهات السياسية والاجتماعية ·

وكان من المفروض ان تقلع الطبقة الحاكمة عن خطة الحياد السابقة ، ولكنها

لم تفعل ، لاسباب تتعلق بمصالحها ومكاسبها المادية · بل انها في منتصف الخمسينات ، حاولت خداع الرأي العام اللبناني والعربي وتمويه حقيقة انحيازها الى الغرب الامبريالي ، فادعت ان الحياد اللبناني ليس سوى امتداد طبيعي للميثا قالوطني الذي يدعو الى تخلي لبنان عن الارتباط العضوي بالشرق والغرب على حد سواء · وهذا الادعاء الذي يرمي الى ربط سياسة الحياد اللبناني بالميثاق الوطني ذكر زميلنا الدكتور جورج ديب بقصة عمرو ابن العاص وابي موسى الاشعري ، التي انتهت بخلع الامام علي وحده ، لان الحياد ، كما ارادوه وطبقوه ، ادى الى التخلي عن العرب فقط والانحياز الى الغرب ، وحافظ على الفكرة اللبنانية القديمة القائلة بان لا حماية للبنان بغير الضمانات الاجنبية (٨) ·

ثانيا ـ ارتباط فكرة الحياد بالاوضاع السياسة

وعندما تعرض الوطن العربي ، بعد نجاح الثورة المصرية وتحقيق التقارب بين مصر وسوريا الذي انتهى بالوحدة ، لاشرس هجمة امبريالية استهدفت تفتيت وحدته القومية والمصيرية وزجه في احلاف عسكرية غربية ، بادر البعض في لبنان ، متسترا بأقنعة براقة ، الى اقتراح تدويل حياد لبنان · وكان الرئيس شارل حلو (الذي كان يكتب في الصحافة في العام ١٩٥٨) اول من عالج هذا الموضوع معتبرا ان تدويل الحياد مخرج للبنان من المأزق السياسي الذي يتخبط فيه · والمأزق لم يكن ، في الحقيقة ، مأزق الشعب · لقد كان فقط مأزق الخائفين من نتائج اول خطوة وحدودية ، واللاهثين وراء الضمانات الاجنبية بأي شكل من الاشكال ·

ومنذ ذلك الحين ، ارتبطت فكرة الحياد اللبناني بالاوضاع والمتغيرات السياسية في المنطقة العربية ، فواكبت ، بخفر وحياء ، كل حدث مهم ، حتى اذا ما هدأ او زال ، اعتلت المنابر تقنع الناس بفضائلها · والحدث قد يكون انتصارا للحركة العربية ، وقد يكون انهزاما · لا فرق في ذلك ، ففي حالتي المد والجزر ينشط المنادون بالحياد · ان المد العربي يرهبهم فيتوهمون انه موجه ضدهم · والجزر العربي يريحهم فيسارعون الى اغتنام الفرصة لانتزاع لبنان من « الخلية » العربية وانقاذه من « الورطة » الفلسطينية ·

فطرح فكرة الحياد كان اذن ، منذ اواخر الخمسينات ، يعقب الاحداث العربية البارزة · ومعرفة هذه الاحداث مؤشر ضروري يساعدنا على تفسير سلوك المبشرين بالحياد · فرئيس الكتائب تقدم بمشروع رسمي لتحييد لبنان الى مجلس الوزراء عندما كانت الوحدة المصرية السورية في عزها · واثار فكرة الحياد في بيانه الافتتاحي للمؤتمر العاشر للحزب ، المنعقد في اواخر

ايلول (سبتمبر) ١٩٦٧ ، عندما كان العرب في فترة انهيار وتفكك على اثر هزيمة حزيران (يونيو) · والنائب الكتائبي ، ادمون رزق ، القى في مستهل العام ١٩٦٨ ، وفي النادي الثقافي العربي ، محاضرة دعا فيها الى تدويل الحياد اللبناني ، بعد موافقة الدول العربية والدول الكبرى ، ثم ابلاغ ذلك الى الامم المتحدة التي تعتبر موافقتها ضمنية بمجرد تسلم الاعلان الدستوري للحياد دون الاعتراض عليه (٩) · وقد فعل ذلك عندما كانت القضية العربية تمر بأحلك الظروف · والدكتور شارل مالك ، القى محاضرة في الجامعة اليسوعية ، بعد ضرب مطار بيروت بأقل من شهر ، طرح فيها ، باسلوبه « الفلسفي » المبطن ، فكرة الحياد اللبناني (١٠) · وامانة سر « لجنة البحوث اللبنانية » ، المنعقدة في جامعة الروح القدس (الكسليك) ، اصدرت في اثناء الحرب الاهلية ، دراسة تنادي بالحياد الدائم للبنان (١١) · وقد تبنى الكتائبيون ما جاء فيها ونشروها ، دون الاشارة الى مصدرها ، في كتاب « العمل » الشهري الذي وزع مؤخرا (١٢) ·

وكما تتأثر الدعوة للحياد بالاوضاع السياسية العربية فانها تتأثر ، كذلك ، احيانا بالاعتبارات والمصالح الشخصية · ويكفينا الاستشهاد بالرئيس حلو الذي اضطر ، في العام ١٩٦٤ ، اي بعد ست سنوات من طرح اقتراحه بتدويل حياد لبنان ، الى اعلان التراجع عنه واصدار بيان توضيحي نشر في صحيفتي (الاوريان والجريدة) وجاء فيه : « ان مشروع تدويل حياد لبنان قضت به ظروف معينة ، وقد انتفت هذه الظروف ولم يعد المشروع واردا في ذهنه بتاتا » · وتفسير هذا التراجع يكمن في ان الرئيس حلو كان ، في هذه الفترة ، مرشحا لرئاسة الجمهورية · « وبعد اذاعة هذا البيان بـ ٣٦ ساعة . وافق المجتمعون في فندق كارلتون على انتخاب شارل حلو رئيسا للجمهورية » (١٣) ·

والموضوعية تقضي بان نعترف بالتزام الرئيس حلو ، خلال مدة ولايته ، بالتعهد الذ يقطعه على نفسه ، وبتحذيره ، في بعض المناسبات ، من مخاطر فكرة الحياد في النزاع العربي الاسرائيلي · وقد ادلى مرة بحديث لمجلة « الاكسبريس » الفرنسية قال فيه : « كان البعض يتمنى ، امام مصاعبنا الحالية ، ان نعلن حيادنا في النزاع · ان ذلك وهم · موقعنا الجغرافي وروابطنا المختلفة مع العالم العربي تجعلنا ، بالطبع ، متضامنين مع العالم العربي · ان الانعزالية فكرة خاطئة وملجأ خاطىء · ان مصيرنا مرتبط ، الى حد كبير، بمصير المنطقة كلها » (١٤) ·

ولكن الموضوعية تقضي كذلك بالاعتراف بانه غير ، خلال الحرب الاهلية ، موقفه وعاد الى الحديث عن « لبنان سويسرا الشرق » ، والتساؤل : « ولماذا لا يكون لبنان سويسرا الشرق على الصعيد السياسي ؟ » (١٥) ، مما يثبت

تأثر دعوة الحياد ، احيانا ، بالعوامل والانفعالات الشخصية الآنية ٠

ثالثا ـ التشبه بحياد سويسرا

وعلى ذكر سويسرا نشير الى ان المنادين بالحياد اللبناني يضعون دائما نصب اعينهم واعين مواطنيهم المثل السويسري ، ويطالبون بالاقتداء به ، مع ان التشبه بسويسرا ، في هذا المضمار ، لا يجوز ٠ وذلك لاسباب عديدة :

ان حياد سويسرا كان نتيجة اوضاع اوروبية وحصيلة ملابسات سياسية خاصة لم يعرفها لبنان ٠ وحيادها لم يحمها من الغزو النابليوني ٠ ولا علاقة لحيادها بتعفف هتلر عن اجتياحها ٠ وحيادها سلبي انعزالي انكماشي يهدف الى التنصل من كل قضية دولية ، ولو كانت انسانية ، والى تجاهل كل خلاف دولي ، ولو كان فيه هلاك العالم ، والى تجنب المشاركة في اي مجهود بناء ، ولو كان الغرض منه توفير الرفاهية للناس وتأمين المزيد من السلام والوئام في الكون ٠ وهذا النوع من الحياد المقيت يتعارض مع ما يتمناه انصار الحياد للبنان من انفتاح على العالم لنشر رسالته « الحضارية » ٠ وحياد سويسرا مادي نفعي اناني ، غرضه الرئيسي اجتذاب الرساميل الاجنبية لتوظيفها في خدمة الامبريالية العالمية وصنع الاسلحة الفتاكة (١٦) ٠ ثم ان سويسرا ليست مهددة بخطر صهيوني جاثم على الحدود يترقب الفرص للانقضاض عليها ٠ ومع انها ليست مهددة بأي خطر في الوقت الحاضر ، فهي تحرص دوما على ان يكون لديها جيش نظامي قوي (١٧) ٠ ولعل ذلك يتنافى مع ادعاء البعض من انصار الحياد بان قوة لبنان في ضعفه ، وبان الصداقات الدولية قادرة على حمايته من كل اعتداء ٠

رابعا ـ حجج المنادين بالحياد اللبناني

ما هي الحجج التي يدلون بها لدعم موقفهم ؟ ان حججهم لا تتسم دائما بالوضوح والترابط ٠ انهم يخلطون غالبا بين الحياد كنظام قانوني وبين السياسة الحيادية التي تمارسها الحكومة في بعض المجالات وتجاه بعض القضايا ، مما يدل على عدم معرفة عميقة بقواعد الحياد واسسه ، وعدم وضوح في الصورة المرسومة للحياد ٠ والغريب ان بعضهم يتحدث عن الحياد اللبناني كأنه سياسة ينص عليها الدستور ، او سلوك متفق عليه من قبل الجميع، او امر مسلم به لا يقبل الجدل ٠ ولا نستبعد ان يكون ذلك من نتائج طغيان احلامهم وامانيهم على تفكيرهم ، وحجب معالم الواقع عنه ٠ ولو القينا نظرة على آرائهم لوجدنا ان حججهم تتلخص بالنقاط التالية :

١ ـ المطالبة بالحياد ليتمكن لبنان من تأدية دوره الاقليمي ورسالته الكونية ، « فأول ما يفترض فيه ان يكون امينا نحو نفسه ، غير متنكر لشخصيتـــه ، او مساوم عليها ، او متهرب منها ، او مزيف لها ، او خجول بها ! » (١٨) ٠

وتعابير : الدور الحضاري ، والرسالة الكونية ٠٠٠ تتردد كثيرا في كتابات البعض ٠ ولعل مصدرها حب المبالغة والاغراق في الخيال الجامح او المجنح ٠ وتلك صفة غير مستحبة تنطوي على عدم استقرار نفسي ٠ والمرحوم كمـــال يوسف الحاج كان يتحدث عن « رسولية لبنان » ويقول ان « لبنان مكلف اكثر من غيره ٠ لقد دعاه القضاء والقدر الى رسولية عاجلة في الوقت الحاضر ٠٠٠ ان يلعب الدور الحضاري الذي تحتاج اليه الشعوب انطلاقـــا من قضيـــة فلسطين » (١٩) ٠

٢ ـ اعتبار مبدأ الحياد اللبناني مبدأ يفرضه الواقع اللبناني ، ومبدأ كيانيا يرسخ قواعد الكيان ٠ « وعندما يكون الحياد مبدأ كيان يصير الحياد ، فـــي مراتب القيم ، مثله مثل كل قيمة اخيرة من اجلها يحيا ابناء الشعوب ، ومـــن اجلها يموتون » (٢٠) ٠

٣ـ الاعتقاد بان حرص لبنان على الحرية والديمقراطية ، والوضع الداخلي فيه يفرضان عليه الحياد (٢١) ٠

٤ ـ الايمان بان في الحياد « خير مخرج للبلاد من ازماتهـــا السياسيـــة والاجتماعية والروحية » (٢٢) ٠

٥ ـ المناداة بالحياد ليكون للبنان علاقات طيبة مع جميع الدول ٠

اننا نعتقد ان هذه الاهداف او المزايا التي ينسبها انصار الحياد اليه يمكـن ان تتحقق دون ان يكون لبنان دولة حيادية ٠ ان بامكان لبنان ان يوطد علاقاته بكل الدول ، ويؤدي مهمات خيرة على الصعيدين العربي والدولي ، ويعزز مكانة الحرية والديمقراطية في مؤسساته ، ويجد حلولا عادلة لازماته ، دون ان يضطر الى اتباع النظام الحيادي ٠ ولو افترضنا ان الحياد كفيل بتحقيق هذه الاهداف، فهل تتوافر الشروط المطلوبة للحياد في الوضع اللبناني ؟

خامسا ـ شروط الحياد

هل بامكان لبنان ان يصبح دولة محايدة ؟ او ما هـــي شروط الحيـــاد ؟ وللتبسيط نقول ان الحياد يتطلب ، بشكل عام ، اربعة شروط اساسية :

الاول هو موافقة جميع رعايا الدولة او غالبيتهم الساحقة على مبدأ الحياد ٠

وهذا الشرط غير متوافر ، حتى الان ، في لبنان · بل انه يصبح مستحيلا اذا اتبعنا رأي بعض الانصار الذين يشترطون ، بالاضافة الى موافقة لبنان والدول العربية ، موافقة دول العالم على الحياد ·

والشرط الثاني هو **موافقة الدول المجاورة على الحياد** · ومن الصعب ان نتصور قبول سوريا ، التي تخوض صراعا قوميا مصيريا مع اسرائيل ، بنظام حيادي للبنان من شأنه ان يعزله عن قضايا الامة العربية · واذا اعتبرنا الدول العربية دولا مجاورة فان موقفها لن يختلف عن موقف سوريا · اما اسرائيل فلن توافق على حياده لان هذا الحياد سيقف عائقا في وجه اطماعها التوسعية · ولو افترضنا انها تساهلت ووافقت فسيكون غرضها من ذلك انتزاع الاعتراف بها منه ، واخراجه من المجموعة العربية ، واستفراده عندما تسنح الفرصة ·

والشرط الثالث هو **قدرة الدولة المحايدة على حماية حيادها بنفسها** · وسويسرا هنا تقدم الينا المثل الصالح ، فقد قدر الخبراء العسكريون ان هتلر كان بحاجة الى عشر فرق على الاقل لاحتلال سويسرا · وفي التقرير الذي رفعه رئيس اركان الجيش السويسري الى حكومته ، عقب الحرب ، اعلن « ان سلسلة من الظروف المؤاتية جعلت الدول المتحاربة الكبرى تنتهي في حساباتها الى ان اي عمل عسكري ضد سويسرا يحمل بين طياته احتمالات للخسائر تفوق مجمل الارباح المبتغاة · وكان العامل الاهم في حساباتها ··· صلابة جيشنا ومزاياه القتالية » (٢٣) · واذا كان لبنان المتعاون مع الاشقاء العرب يجد صعوبة في الدفاع عن نفسه ، فكيف سيكون شأنه عندما يصبح محايدا ومسؤولا وحده عن حماية ارضه وصيانة حياده ؟

والشرط الرابع هو **ان يكون الحياد في مصلحة الوطن وملائما لحاجاته** · فالبعض يعتقد ان للحياد اللبناني ميزتين اساسيتين : تجنيب لبنان شر اسرائيل، وبالتالي تخفيف عبء الاستعداد العسكري عن كاهله ، ثم تأمين اسباب الازدهار له · ولكن الحياد الذي يستدعي المزيد من القوة العسكرية يزيد اعباء لبنان ولا يخففها · واما الازدهار المنتظر فلن يكون من نصيب لبنان الحيادي · فالرساميل التي تتدفق على لبنان عربية في معظمها ، وهي ستتوقف او تقل عندما يشعر اصحابها بابتعاد لبنان عن مسيرة العروبة · والدول الغربية تتعامل اقتصاديا مع لبنان لانه مركز انطلاق نحو المجالات العربية ، فان فضل العزلة بحثت عن منطلق اخر لنشاطها · ثم ماذا سيكون موقفه من المقاطعة العربية لاسرائيل ؟ وهل من مصلحته التخلي عن تعاطفه مع العرب ليعزل نفسه في حياد لا مبرر له سوى التهرب من مسؤولية الاستعداد لمجابهة الخطر

الاسرائيلي ، اي التضحية ببعض المكاسب الآنية في سبيل ضمان مستقبلـــه وكيانه وازدهاره في المنطقة ؟ (٢٤) ٠

فهذه الشروط كلها غير متوافرة بالنسبة الى لبنان ٠ وقد وافق الدكتـــور شارل مالك على ذلك عندما استعرض هذه الشروط واستنتج ان « ليس واحـد من هذه الاسس الاربعة قائما حتى الان بالنسبة للبنان » (٢٥) ٠

وابان اشتداد الدعوة للحياد ، كرس الصحافي ميشال ابو جودة احـــدى افتتاحياته لهذا الموضوع ، فعرف الحياد بانه الاستغناء او الاكتفاء الذاتي ، وتساءل عما اذا كان هذا الشيء الاساسي متوافر لدى الشعب اللبناني ليكـون على الحياد المطلق ٠ واجاب بالنفي مؤكدا ان لبنان ، منذ تكون الجمهوريـــة اللبنانية ، وخلال الانتداب ، وبعد الاستقلال ، وحتى الان ، لم يكن بلد الاكتفاء الذاتي اقتصاديا او اجتماعيا او ثقافيا او سياسيا (٢٦) ٠

سادسا ـ النزعة الانعزالية وراء دعوة الحياد

اذا كان المنادون بالحياد يدركون (على الاقل في اعماقهم) صعوبة الوصول الى هذا النظام ، فلماذا يصرون ، من وقت الى اخر ، على طرحه والدفـــاع عنه ؟ او ما هي الاغراض والدوافع الحقيقية الكامنة وراء دعوتهم ؟

الاغراض كلها تنطلق من مصدر واحد ، هو النزعة الانعزاليـــة القديمـــة المتجددة ٠ وغالبية اصحاب النزعة اناس متحجرون يعيشون ، فكرا ووجدانا ، في عصر غير عصرنا ٠ وهم يريدون عزل لبنان عن محيطه العربي ، ومنعـــه بالتالي من التفاعل مع الحركة القومية العربية والاسهام الجدي في حل القضية الفلسطينية ٠ وهم يسعون كذلك الى عزله عن قضايا الدول النامية والتيـــارات والتحركات الانسانية في العالم ، والحيلولة دون اسهامه في الانتفاضـــات التحررية التي يحفل بها العالم ، ودون تكتله مع الفئات الخيرة في مختلـــف الاقطار لتكوين قوة ضاغطة او رادعة تقف في وجـــه العابثيـــن بمستقبـــل البشرية ٠

ومحاولات الانعزاليين اخذت ، في الآونة الاخيرة ، تتجه شطر عزل لبنـان عربيا ، لان عزله عربيا ، اي قوميا ، يؤدي ، حكما وآليا ، الى عزله فلسطينيا ٠ اما مسألة عزله عن العالم النامي والتيارات التحررية العالمية فتتم ، في رايهم ، تدريجيا وبشكل طبيعي ، بعد قطع وشائجه وصلاته بمحيطه العربي ٠

وتهيبوا ، في البداية ، الكشف مباشرة عن نياتهم ، فعمدوا الى اسلـــوب ذكي يبعد عنهم الشبهات ٠لقد اخذوا ، خلال دعوتهم للحياد ، يطنبون فـــي

امتداح دور حمامة السلام الذي يقوم به لبنان بين الاقطار العربية ، ويؤكـــدون على ان حياده لا يتنافى مع عضويته في الامم المتحدة ، لان الميثاق الاممـــــي « يفسح للحياد مجالا اكيدا » (٢٧) ، ولان في الميثاق « ما يمكن تفسيره بانه تشجيع على اختيار النظام الحيادي » (٢٧) ، ولا يتعارض كذلك مع عضويته في جامعة الدول العربية « ما دامت الجامعة ليست منظمة وحدوية ولا اتحادية ، ولا خوف منها على استقلالنا ٠٠٠ » (٢٩) ٠

وذهب البعض الى ابعد من ذلك ـ بغية القاء المزيد من الاطمئنان او التخدير في قلوب الواجفين الحذرين ـ فاشترط موافقة الجميع (اللبنانيين والعـــــرب والعالم) على الحياد ، واوحى بان تحقيقه سيكون لخير العـــــرب وسيتـــم بارادتهم ٠ فعندما تحدث رئيس الكتائب في مؤتمر الحزب عن « الحياد اللبناني الخاص » ، سئل عن كيفية التوفيق بين هذا الحياد وكون لبنان عضوا في الاسرة العربية ، فأجاب : « ليس ما يمنع ان يكون لبنان حياديا بالاتفاق مع الـــــدول العربية ، فيكون الاخ المصلح بينها والترجمان بين العرب والخارج ، ولا احـــد غير لبنان يستطيع القيام بهذا الدور » (٣٠) ٠

وحاول البعض الاخر ايهام العرب بان حياد لبنان مؤقت او ظرفي ، وبانه لم يقم الا بسبب كثرة الخلافات بينهم ، وبان « لبنان سيتخلى عن حياده في العالم العربي يوم يصبح فيه هذا العالم على وئام ٠٠٠ » (٣١) ٠ وهذا الاجتهـــــاد في تفسير مبرر قيام الحياد اللبناني لا ينسجم مطلقا مع فكرة « الرسالـــــة الكونية » وضرورة الحياد لتعزيز الديموقراطية والحرية ٠ وفي ذلك برهان على اضطراب مفهوم الحياد لدى انصاره ٠

سابعا ـ موقف لبنان المحايد من الجامعة واسرائيل

وعندما اتسعت الحملة المنادية بالحياد ، طرح على رجال الفكر السؤالان التاليان : هل يؤدي حياد لبنان الى انسحابه من جامعة الدول العربية ؟ وهـــل يقود الى الاعتراف باسرائيل والتعامل معها ؟

وعبر بعضهم بصدق ووضوح عن رأيه ، فأجاب الاستاذ باسم الجسر ، مثلا ، بالايجاب عن السؤالين واعتبر « الحياد الذي لا يعترف باسرائيل ولا ينسحـــب من الجامعة من المفارقات والمضاربات الفكرية » (٣٢) ٠

وادرك العميد ريمون اده المغزى الحقيقي للحياد فأكد ان معناه « اقامـــــة العلاقات السياسية والتجارية مع اسرائيل ، وهذا ما لايمكـــن ان نوافـــــق عليه » (٣٣) ٠ ورفض شقيقه ، الاستاذ بيار اده ، فكرة « الحياد تجاه قضايا الدول العربية » مؤكدا ان « هذا ما لايقبله العقل والمنطق والمصير المشتـــــرك

بين لبنان والدول العربية » (٣٤) ٠

واضطر اقطاب الحياد الى الافصاح عن رأيهم ، فترددوا في البداية ثم قرروا مسايرة التيار المعارض مكرهين ٠ فالنائب ادمون رزق طمأن « المصابين بالهواجس العربية الشكلية الى ان الحياد لا يتعارض مع عضويتنا في الجامعة»، واكد ان موقف لبنان من اسرائيل ، عند اعلان حياده ، سيظل كما هو (٣٥) ٠ وكان الدكتور شارل مالك اشد صراحة عندما استنتج ان تحييد لبنان يحتم علينا « الخروج من عضوية الجامعة ، او على الاقل من الالتزام ببعض بنودها » ٠ غير ان نباهته جعلته يستدرك ويضيف : « وهذا شيء مستحيل ، وحتى اذا كان ممكنا فلا يجوز » (٣٦) ٠ ويبدو ان النتيجة كانت معبرة عما يدور في النفس اكثر من الاستدراك ٠ ولعل الدكتور منوال يونس كان اشدهم صدقا وذكاء عندما طالب الدولة اللبنانية بان تتبنى حيادا اقليميا ، قانونيا ، علنيا ، متكافئا ، ازاء جميع الدول العربية فقط ، دون ان يؤدي ذلك الى انسحابها من الجامعة (٣٧) ٠

والظاهرة الغريبة التي تطالعنا لدى دراستنا للتصريحات او البيانات الصادرة عن المنادين بالحياد هي التناقض بين الاقوال والافعال ، والتعارض بين مواقف المنتمين الى حزب او اتجاه واحد ، والتباين بين التصريحات التي يدلي بها الشخص الواحد في فترات زمنية متباعدة ٠ ولتقديم مثل واضح نكتفي باستعراض شيء مما جاء في كتاب « العمل » الشهري ، الصادر مؤخرا عن الكتائب ، والحامل لتاريخ آذار (مارس) الماضي ٠ وما يعنينا منه بيان ودراسة ٠ اما البيان فصادر عن احدى خلوات الكتائب ، المنعقدة في ١٧ـ٨ـ١٩٧٥ ٠ واما الدراسة فمتعلقة بالحياد الدائم للبنان ٠

في البند الثامن من البيان اكد الحزب « حرصه على الوفاء بالتزامات لبنان العربية ، كمقررات ومؤتمرات القمة ومجلس جامعة الدول العربية ومجلس الدفاع العربي المشترك ، وما انبثق عنها او تفرع منها » ٠ ولكن الدراسة تتناقض كل التناقض مع ما ورد في البيان ومع ما ورد في العديد من البيانات والتصريحات الحزبية ٠

ان الدراسة تطالب ، بصراحة متناهية ، بحياد لبنان لتحقيق غرضين . تحييد لبنان عربيا ، اي اخراجه من الجامعة ، وتحييده فلسطينيا ، اي نفض يديه من قضية العرب الاولى ٠

تقول الدراسة : « لا تستطيع الدولة ذات الحياد الدائم ان تكون عضوا في اية منظمة سياسية اقليمية ٠٠٠ » ٠ وبما ان جامعة الدول العربية ينطبق عليها هذا الوصف ، فليس بامكان لبنان ان يبقى عضوا فيها ٠ ان الدراسة لا تعلن ذلك

بوضوح ، بل تفضل استعمال جملة تؤدي الى نفس النتيجة ، لانها تحول لبنان في الجامعة الى عضو مراقب او مستمع عن طريق مسخ دوره وتقزيم وجوده · فهي تقول : « ··· وهكذا لن يكون بوسع لبنان البقاء فريقا في معاهدة الدفاع العربي المشترك او الاشتراك في اجتماعات اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية » ·

وبالنسبة الى علاقة لبنان باسرائيل ، تنص الدراسة على ان لبنان المحايد « لا يستطيع ان يعلن كونه في حالة حرب مع اسرائيل » ، وانه « لن يعلن بقاءه في حالة حرب مع اسرائيل ، ولكنه لن يكون في حالة سلم معها » · والدراسة تشير الى بعض احكام الميثاق الاممي التي تمنع اللجوء الى الحرب وتلزم اعضاء الامم المتحدة بتسوية نزاعاتهم الدولية بالطرق السلمية ، كانها تريد التأكيد على ان لبنان لن يخوض حربا ضد اسرائيل في المستقبل ·

وكل من يتأمل هذا الكلام السافر ، الذي لم يعترض عليه احد من المهللين للحياد او ممن زعموا ان حياد لبنان لا يغير شيئا من التزاماته العربية ازاء العدو الاسرائيلي ، يكتشف النتيجة التي يقود اليها تحييد لبنان ، وهي التخلص نهائيا من كل الالتزامات المترتبة على لبنان كعضو في الجامعة وطرف في معاهدة الدفاع المشترك وشريك في مهمة الذود عن المصير العربي · وكل ذلك تمهيدا لمصالحة اسرائيل بعد مهادنتها ، والتعامل معها بعد الغاء الهدنة وانهاء حالة الحرب ·

□

ويبقى لنا ، في ختام البحث ، ان نبدي بعض الملاحظات :

الاولى هي ان الحياد اللبناني الذي ينشده البعض ليس غاية لخير الوطن ، بل وسيلة لتحقيق حلم انعزالي · وبما ان الداعين له يريدون بلوغه بأي شكل او ثمن ، فقد اهملوا ، في معرض شرحهم لمحاسنه ، كل حديث عن مضمونه واسسه وتطبيقه ونتائجه · كل ما يهمهم من الحياد هو تحييد لبنان ليتسنى لهم «اقتلاع» جذور الفلسطينيين منه (كما يقول سعيد عقل في برنامج حزبه « التبادعي ») ، وقطع دابر العروبة فيه ، لان القومية العربية (كما كان يدعي كمال الحاج) تتساوى في خطرها على لبنان مع القومية الصهيونية (٣٨) ، ولان «كلمة عربي تعني الاسلام » ، ولان علماء التاريخ والجغرافيا لم يتمكنوا بعد من تحديد مسألة عروبة لبنان (كما يردد اليوم رئيس الكتائب) (٣٩) ·

ولشدة اندفاعهم في سبيل انجاز مخططهم بأقصى سرعة ارتكب معظمهم اخطاء جسيمة في معالجته لموضوع الحياد · بل ان غالبيتهم (كما لاحظ

الدكتور نعيم) لم تفهم تماما ما تعنيه كلمة حياد (٤٠) وفي غمرة حماستهم لمشروعهم لم يتنبهوا الى ان مبدأ الحياد يقضي بعدم الانحياز الى الشـــرق والغرب ، فبالغوا في هجائهم للشرق وتحاملهم عليه وبالغوا في ارتمائهم في احضان الغرب حتى طالبوا (بلسان بشير الجميل) باقامة « جسور صريحة ومتينة مع الغرب لكي تشعر دول الغرب اننا امتداد لحضارتها في الشرق ونمثل جزءا من القيم التي تمثلها هي ، وانها تمثل تطلعاتنا المستقبلية » (٤١) ٠

وعلى الرغم من كل هذه العثرات والهنات لا يسعنا الا الاقرار بوجود فئة من اللبنانيين تنادي بالحياد عن صدق وحسن نية لانها تتصور ان فيه كل الخير للوطن ٠ ولكن هذه الفئة قلة لا اثر لها في حياتنا السياسية ٠

والملاحظة الثانية هي ان معظم اللبنانيين يطمحون (وان كانت سياســـة حكوماتهم تخيب آمالهم في كثير من الاحيان) الى ان يتبع بلدهم سياسة حيادية ازاء المعسكرات والاحلاف الاجنبية ، وازاء الخصومات والعنعنات الشخصية التي تندلع ، من حين الى اخر ، بين الحكام العرب ٠ والتزام الحياد هنا هو الحكمة بعينها ٠ ولكن الحياد يصبح مرفوضا وينقلب الى اهمال وتقصيـــر وتهرب من المسؤولية عندما يكون سبب الخلافات او الانقسامات قضايا قومية او انسانية او تحررية ٠ ان الشعب اللبناني الذي يفاخر الدنيا بتعشقه للحرية يعز عليه ان يقف على الحياد عندما تتعرض الحرية للاضطهاد في اي بلد كان٠

ونستشهد هنا بتعليق دبجه الشهيد كمال جنبلاط ردا على تصريح منسوب الى رئيس الجمهورية (شارل حلو) نشرته احدى الصحف في العام١٩٦٧ (٤٢)٠ وكان التصريح يتحدث عن سياسة لبنان المحايد التي تسعى الى التوفيق بين جميع الاطراف دون انحياز لفئة ضد اخرى ٠ وبين الشهيد جنبلاط في تعليقه ان لبنان لا يمكن ان يكون على الحياد في المجال العربي « لانه كبلد وشعب ودولة ينزع الى توكيد الخط الوطني العربي المتحرر ، والى تحقيق سياســـة التطور الاجتماعي دون ان يدخل فريقا مباشرا في الخلافات العربية التـــي تخرج عن تأييد وتوكيد هذين الخطين الرئيسيين ٠٠٠ لا يمكن الانسان ان يكون على الحياد بين مجتمع التأخر والاسترقاق السياسي والاجتماعي وبين مجتمع الحرية والتقدم والكرامة البشرية ، اي لا يمكن للانسان ان يكون على الحياد بين سيف الاسلام الوارث للتراث التوراتي القبلي المتأخر حيث لا يزالون يبتاعون العبيد من البشر ، وبين الجمهورية الديموقراطية اليمنية (٤٣) ٠

والملاحظة الثالثة هي ان حياد لبنان ازاء اسرائيل مستحيل ٠ بل هو ، قوميا، وضميريا ، خيانة ٠ ويكفينا ان نسوق الفقرة التالية من كتاب الاستاذ هنري ابو خاطر :

« تنزع بعض الفئات في لبنان الى المطالبة بحياده سلما وحربا بضمانات

توفرها الدول ويستقر معها البلد واحة طمأنينة في بقعة مضطربة من الشرق، عله يباعد بين الخطر الصهيوني وبين نفسه ... ان الحياد لا ينقذ لبنان ، في عرفنا ، على المدى الطويل من خطر التوسع الصهيوني على ارضه ومياهه ، بل يفتح ثغرة في الجبهة الامامية بمواجهة اسرائيل ، تفك معها هذه الاخيرة قيود الحصار لتنفذ ، خطوة خطوة ، الى سوريا والاردن والعراق وما اليها ، والى وادي النيل ، تصطنع الدويلات العرقية والدينية تبريرا لوجودها وتحقيقا لنهم في السيطرة على مرافق الحياة في بقعة رحبة تمتد من النيل الى الفرات ، وما وراءه » (٤٤) ٠

والملاحظة الرابعة والاخيرة هي ان نجاح مشروع الحياد في لبنان (الذي ينطوي حتما على حياد تجاه اسرائيل والدول الامبريالية المناصرة لها) قد يغري الانظمة العربية الاخرى بالاقتداء بلبنان (حبا بالتقليد ، او رغبة في التملص من كل مسؤولية قومية) ، فماذا سيحل بالقضية الفلسطينية ان عمم الحياد ؟ وكيف ستكون طبيعة العلاقات بين الاقطار العربية ؟ وكيف ستصبح علاقات العرب بالولايات المتحدة ، الحامية لاسرائيل والضامنة لعنصريتها واطماعها ؟ لقد انحازوا اليها دون حياد ، فالتزمت هي الحياد تجاههم ، وانغمست في الانحياز لاسرائيل ٠ لقد اعطوها شيكا على بياض فأعطتهم شيكات بلا رصيد (٤٥) ٠ فماذا ستعطيهم اذا اختاروا فعلا نظام الحياد ؟

الحواشي :

---

١ ـ راجع مقاله في صحيفة **الحياة** ، ١١ـ٣ـ١٩٦٧ ٠

٢ ـ **النهار** ، ٢٣ـ٩ـ١٩٧٢ ٠

٣ ـ راجع نص محاضرته في مجلة **الثقافة العربية** ، عدد كانون الثاني (يناير) ١٩٦٨ ٠ والمجلة تصدر عن النادي الثقافي العربي في بيروت ٠

Louis Delbez

٤ ـ راجع ص ٥٦٤ ـ ٥٧٠ من كتاب :
Les principes généraux du droit int. pub. , Paris 1964.

٥ ـ **القانون الدولي العام** ، للدكتور علي صادق ابو هيف ٠ منشأة المعارف بالاسكندرية ، ١٩٦٢ ، ص ٢١٨ ٠

٦ ـ راجع مقال الدكتور ادمون نعيم عن **اسباب الحياد الدائم وشروطه** ، في كتابه :

Points de vue, Beyrouth, 1959 pp. 45 - 46.

٧ ـ راجع محاضرة الدكتور جورج ديب عن **استحالة الحياد اللبناني** ، في مجلة **الثقافة العربية** ، العدد المذكور، ص ١٥ ٠

٨ ـ نفس المرجع السابق ، ص ١٧ و٢٤ ٠

٩ ـ **الثقافة العربية** ، المذكورة ٠

١٠ ـ **العمل** ، ٢٩ـ١ـ١٩٦٩ ٠

١١ ـ نشرتها الصحف في ٢٩ ـ ١١ ـ

١٩٧٥ ٠

١٢ ـ يحمل تاريخ اذار (مارس) ١٩٧٧ ص ٣٤ ـ ٣٩ ٠

١٣ ـ الحوادث ، ٤ـ٧ـ١٩٦٩ ٠

١٤ ـ النهار ، ٢٣ـ١٢ـ١٩٦٩ ٠

١٥ ـ راجع تصريحه لاذاعة هولندا في السفير ، ١٢ـ٨ـ١٩٧٦ ٠

١٦ ـ راجع بحثنا عن نظام الكانتونات السويسري ، في شؤون فلسطينية ، عدد ٦٤/٦٣ ٠

١٧ ـ راجع مقالنا عن : التدويل والتحييد والبوليس الدولي ، في مجلة الطريق ، عدد شباط (فبراير) ١٩٦٩ ٠

١٨ ـ راجع محاضرة ادمون رزق ، المذكورة ، في الثقافة العربية ، ص ٨ ٠

١٩ ـ راجع محاضرته عن : قوميات ازاء القومية اللبنانية ، في كتاب : ابعاد القومية اللبنانية ، من منشورات جامعة الروح القدس (الكسليك) ١٩٧٠ ، ص ٥٦٠

٢٠ ـ راجع مقال ادوار حنين المذكور٠

٢١ ـ راجع اجوبة د٠ جورج حكيم ، ود٠ منوال يونس ، في تحقيق مجلة الاسبوع العربي حول الحياد اللبناني ، في ١٧ـ٤ـ١٩٦٧ ٠

٢٢ ـ مقال ادوار حنين المذكور ٠

٢٣ ـ من محاضرة للزعيم شوكت شقير بعنوان : كيف ندافع عن وطننا تجاه اسرائيل ، نشرت المحرر ، في ٢٥ـ١ ـ١٩٧٣ ، مقتطفات منها ٠

٢٤ ـ راجع كتاب : لبنان والتحدي الاسرائيلي ، لباسم الجسر وداود الصائغ، من منشورات نادي ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ، بيروت ١٩٦٩ ، ص ١١٦ ـ ١١٩ ٠ وراجع ما كتبه باسم الجسر في الحوادث ، ١٧ـ١ـ١٩٦٩ ، ص ٦ـ٧ ، وما قاله في ندوة « قضايا الدفاع عن الوطن » المنشورة في مجلة الثقافة العربية ، عدد شباط (فبراير) ١٩٦٩ ، ص ٨٣ وما بعدها ٠

٢٥ ـ راجع محاضرته ، المذكورة ٠

٢٦ ـ راجع افتتاحية النهار في ١٢ـ٣ـ ١٩٦٧ ٠

٢٧ ـ العمل الشهري ، المذكور ، ص ٣٦ ٠

٢٨ ـ محاضرة ادمون رزق ، المذكورة، ص ٧ ٠

٢٩ ـ نفس المرجع السابق ٠

٣٠ ـ النهار ، ٢٣ـ٩ـ١٩٧٢ ٠

٣١ ـ راجع مقال الدكتور وليم حداد عن : الحياد في مفهوم السياسة اللبنانية ، في مجلة السياسة الدولية ، عدد ابريل ١٩٦٩ ، ص ١١٥ ـ ١٢٢ ٠ وقد سبق للكاتب ان ناقش ، في فرنسا ، في العام ١٩٦٧ ، اطروحة دكتوراه بعنوان : لبنان بين سياسة الحياد والسياسة العربية ٠

٣٢ ـ راجع ندوته في الثقافة العربية لعام ١٩٦٩ ٠

٣٣ ـ النهار ، ٢٩ـ٦ـ١٩٦٨ ٠

٣٤ ـ من محاضرة له القاها فيطرابلس بعنوان : الوجود اللبناني فيالمحيط العربي ودوره ٠ النهار ، ٣٠ـ٣ـ١٩٧١ ٠

٣٥ ـ راجع محاضرته المذكورة ٠

٣٦ ـ العمل ، ٢٩ـ١ـ١٩٦٩ ٠

٣٧ ـ راجع تحقيق الاسبوع العربي ، المذكور ٠

٣٨ ـ راجع محاضرته المذكورة ، ص ٣٦ ٠ ومع انه يزعم ان « القومية اللبنانية

هي وحدها الموجودة في لبنان فعـــلا وقولا » (ص ٣٢) ، فانه يناقض نفســه عندما يؤكد بعد ذلك ان لبنان حتى الان « هو البلد العربي الوحيد الذي اعتــرف رسميا بالفداء » و « ان لبنان اقوى عروبة من اي بلد عربي اخر » (ص ٦٠) .

٣٩ ـ راجع تصريحاته الاخيرة فـــي **السفير** ، ٩ و٣٠ـ٦ـ١٩٧٧ .

٤٠ ـ راجع كتابه المذكور ، ص ٤٥ .

٤١ ـ راجع نص خطابه في احـــد الاحتفالات الحزبية . **النهـــار** ، ١٢ـ٥ـ ١٩٧٧ .

٤٢ ـ راجع **الجريدة** ، ٦ـ٣ـ١٩٦٧ .

٤٣ ـ **الانباء** ، ١١ـ٣ـ١٩٦٧ .

٤٤ ـ راجع ص ٦٥ من كتابه : فلسطين والخطر المصيري .

٤٥ ـ راجع افتتاحية **النهار** ، ١١ـ٨ ١٩٧٧ .

ناجي علوش

بندلي جوزي
الفلسطيني الذي اعتبروه مستشرقاً

لماذا لم يكن معروفا :

لم يكن بندلي جوزي معروفا لكثيرين من القراء العرب ، خلال العقود الثلاثة الماضية · ويعود ذلك الى الاسباب التالية :

١ ـ ان بندلي من كتاب العقود الاربعة الاولى من هذا القرن (١٨٩٩ ـ ١٩٤٣) · وبالتالي فهو من جيل الرواد الثاني ، الذي خلف الافغاني والكواكبي والزهراوي الخ ··· وهذا الجيل الثاني لم يلق كثير من ابنائه الاهتمام اللائق بهم ، فأهملوا واهمل تراثهم ، ونسيتهم الاجيال التي تبعتهم ، فيما نسيت ·

٢ ـ ان بندلي عاش في روسية القيصرية في الاتحاد السوفياتي ، ولم يعش في البلاد العربية · ومع انه كان دائم الاتصال دائم الكتابة للمجلات العربية ، فانه لم يكن حاضرا · وحياته في الاتحاد السوفياتي ابعدته عن اضواء الثقافة والاعلام في الوطن العربي · وجعلت كثيرين يظنونه مستشرقا ·

٣ ـ ان بندلي توفي سنة ١٩٤٣ ، ومنذ وفاته لم يجد مؤسسة او دولة تهتم بتراثه · ولذلك ظل ذكره مطويا ، لولا بعض المريدين ، ولولا كتاب « من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام » الذي ظل متداولا · وهو الكتاب الوحيد الذي نشره من مؤلفاته في القدس سنة ١٩٢٨ اول مرة ، ثم اعيد طبعه في بيروت مرارا ·

٤ ـ ان بندلي لم ينشر اي كتاب آخر بالعربية ، ولا جمع مقالاته التي نشرها

في المجلات والصحف ، كما لم تنشر عنه الجامعات التي عمل فيها (باكووقازان) اية معلومات يمكن ان تكون مرجعا ٠

ونتيجة ذلك ظل بندلي جوزي مجهولا ٠

ولقد حاولنا ان نساهم في بعث تراثه ، فاصطدمنا بعقبات كبيرة ٠ اولها ان المادة غير مجموعة ، وثانيها أن مفاتيح معرفة تراثه مفقودة ٠ فلم يكن ممكننا حتى الآن التعرف على احد من ابنائه ، وان كنا قد علمنا ان له بنتا تسكن موسكو ، وتدرس في احدى جامعاتها ٠ ومع ذلك سرنا قدما ٠ وكان الصديق الشاعر الكبير ابو سلمى من المنبهين دائما للاهتمام بالاديب المؤرخ بندلي جوزي ، فأشار علينا ان نتصل بمعهد الاستشراق للتعاون في انجاز هذه المهمة ٠

ولقد فعلنا ذلك ، ووجدنا تجاوبا كبيرا ٠ وكان من نتيجة ذلك أن أرسل لنا معهد الاستشراق ما توافر لديه من آثار بندلي مصورة في افلام مصغرة ، ثم تم الاتفاق بعد ذلك على ان نحتفل هذا العام بذكرى بندلي جوزي وكلثوم عودة ٠

وبذلك خطونا خطوات الى الامام ، وضمن هذا الاطار اخرجت انا والزميل جلال السيد بعض كتابات بندلي في كتاب اسميناه : « دراسات في اللغة والتاريخ الاقتصادي والاجتماعي عند العرب » ٠ والكتاب يضم ما استطعنا الوصول اليه من الدراسات التي نشرت في الصحف والمجلات العربية ، او ضمن كراسات خلال العقود الثلاثة الاولى من هذا القرن ٠ وقد جاء نتيجة اوسع عملية بحث ممكنة لاثنين او ثلاثة ان يقوموا بها ، ومع ذلك فنحن لا ندعي انها تامة ٠

صار لبندلي الآن كتابان في السوق ، ومع ذلك فبندلي ما زال مجهولا ٠ اننا لا نعرف تاريخ حياته ، لا نعرف مؤلفاته ، العربية والروسية ، وليس لدينا كتاب مرجع واحد نعود اليه في دراسة هذا الرجل الكبير ٠

ولذلك فاننا ما زلنا نعمل لسد هذه الثغرات كلها ٠

فعلى صعيد حياته ومؤلفاته : قررنا ان نجري كل الاتصالات اللازمة لجمع اوفر المعلومات وادقها عن هذا كله ٠ ومن أجل ذلك كتبنا الى جامعتي باكو وقازان ، حيث عاش وعلم ، والى معهد الاستشراق حيث له اصدقاء ومحبون ٠

ونأمل ان تثمر هذه الجهود ، بما يقود الى ايفاء الرجل حقه ٠

ما نعرفه عنه :

ما زلنا لا نعرف اين ولد بندلي ، في القدس ام في بيت لحم ٠ وهناك مصادر مختلفة وآراء مختلفة ، وان كان المرجح انه ولد في القدس وهذا ما يؤكده اقاربه ٠ كما اننا لا نعرف في اية سنة ولد ، سنة ١٨٦٨ ام سنة ١٨٧١ ، وعلى هذا خلاف ايضا ٠ (١)

واذا كان هناك خلاف على هاتين القضيتين ، فهناك جهل تام بالمعلومات الخاصة بدراسته ٠ اين درس اولا ، ثم كيف انتقل الى روسيا القيصرية ٠ كانت هناك مدارس روسية في فلسطين ولبنان ٠ وتكاد تجمع المصادر على أنه درس في كليةالمصلبة (أو دير المصلبة) للروم الارثوذوكس ، ثم في مدرسة كفتين قرب طرابلس ٠

ثم انتقل بعد الدراسة الابتدائية والثانوية الى روسية ، حيث نال شهادة الدكتوراه على بحث عن المعتزلة سنة ١٨٩٩ ٠ ولو فرضنا انه انهى دراسته الجامعية خلال أربع سنوات ، على اساس انه درس الروسية من قبل ، ودراسة الدكتوراه خلال ثلاث سنوات ، فهذا يعني أنه سافر الى الاتحاد السوفياتي سنة ١٨٩٢ او ١٨٩١ ٠ ومن المفروض انه كان آنذاك في حوالي العشرين من عمره ٠ ولو صح ذلك لكان ميلاده سنة ١٨٧١ ٠ ولا نستطيع ان نحسم هذه النقطة ما لم نعرف تاريخ ميلاده بالضبط ، او تاريخ وصوله الى الاتحاد السوفياتي ٠

ولقد عين استاذا في جامعة قازان ، بعد تخرجه مباشرة ، حيث ظل الى سنة ١٩١٧ ٠ ثم نقل بعد ثورة اكتوبر الى باكو ٠

يقول انه زار فلسطين وسورية عام ١٨٩٤ ٠

ثم عاد الى الوطن سنة ١٩٠٨ حيث زار فلسطين وبيروت وبغداد (٢) وبقي حتى سنة ١٩٠٩ ٠ وفي هذه الزيارة تعرف الى الاب انستاس ماري الكرملي في بغداد وكراتشكوفسكي في بيروت ٠

ثم زار القدس مرة ثانية سنة ١٩٢٨ ، حيث طبع كتابه « من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام » ، كما زار بيروت والقاهرة ايضا ٠ كما عاد وزار القدس سنة ١٩٣٠ ٠

---

١ ـ بندلي جوزي : دراسات : المقدمة بقلم جلال السيد والمصادر المذكورة هناك ٠

٢ ـ بندلي الجوزي : دراسات ص ٢٥٢ ٠ اشار بندلي الى هذه الزيارة في مقالته : هل اللغة العربية مفتاح اللغات ٠

وكان خلال هذه المدة يراسل اصدقاء عديدين ومجلات وصحفا نذكر منهـــا الهلال والمقتطف والرابطة الشرقية والكلية التي تصدر عن الجامعة الاميركيـة وغيرها ٠

وكان خلال هذه المدة مكبا على دراسة التاريخ العربي بكل جوانبه ، وخاصة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، ودراسة اللغات وفقهها المقارن ٠

ما نعرف عن مؤلفاته :

ليس لدينا أيضا معلومات دقيقة عن مؤلفاته ، لاننا لم نستطع بعد احصـاء ما كتب ، لا بالعربية ولا بالروسية ٠ وبما أنه كتب بالعربية والروسية ، وترجـم الى العربية ، وربما من العربية ، فاننا سنقسم مؤلفاته الى :

١ ــ كتابات بالعربية ٠
٢ ــ كتابات بالروسية ٠
٣ ــ ترجمات ٠

أــ الكتابات بالعربية :
لبندلي بالعربية ما يلي :

١ ــ من الحركات الفكرية في الاسلام : نشرة اول مرة سنة ١٩٢٨ ، واشار اليه بندلي باسم « من تاريخ الحركات الاشتراكية في الاسلام » (١) وتذكر معظم المصادر ان طبعته الاولى الصادرة في القدس سنة ١٩٢٨ ، تشير الى انه الجـزء الاول ، وانه يتناول الحركات الاجتماعية ٠ (٢)

٢ ــ المقالات المنشورة في الصحف والمجلات ، وقد نشر منها فـــي كتابـــه الجديد المشار اليه ٠

ــ الجزية والخراج في اوائل الاسلام ــ دراسة نشرها في المقتطف مايـــو ، يونيو ١٩٢٩ ٠

ــ الجزية والخراج دراسة نشرها في الكلية تشرين الثاني ١٩٣١ ٠

ــ حنين العرب الى بني امية ودراسة نشرت في المقتطف يونيو (حزيران) ويوليو تموز ١٩٣١ ٠

ــ السفياني : دراسة نشرت في المقتطف يونيو (حزيران) ويوليو (تمـوز) ١٩٣٣ ٠

---

١ ــ بندلي جوزي : دراسات : اشار لذلك اكثر من مرة ص ٤٨ وفي اماكن اخرى ٠
٢ ــ مكسيم ردونسون : الاسلام والرأسمالية، ترجمة نزيه الحكيم ص ١٢٥ دار الطليعة٠

ـ من خرافات العرب قبل الاسلام : دراسة نشرت في مجلة الآثار (ايـار) ١٩١٣ ٠

ـ من المصيب ؟ : دراسة نشرت في المقتطف نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٢٩ ٠

ـ هل اللغة العربية مفتاح اللغات : دراسة نشرت في مجلة الكلية ، نوفمبـر ديسمبر ١٩٢٩ المجلد ١٦ ٠

ـ حقائق وخواطر في اللغة : دراسة نشرت في الكلية ايار (مايو) ١٩٣١ ٠

ـ مواد لغوية : دراسة نشرت في الكلية (ايلول) ١٩٣٢ المجلد الثامـــن عشر ٠

ـ تاريخ الالفاظ : دراســة نشــرت في الهلال (نيسان) ١٨٩٧ مجلد ٥ جزء ١٥ ٠

ـ تاريخ الالفاظ (شلبي او جلبي) : دراسة نشرت في الهلال مجلد ٥ جـزء ١١ ، ١٥ نيسان ١٨٩٧ ٠

ـ صفحة من تاريخ التمدن عند العرب : المفردات اللاتينية في اللغة العربية : الهلال ، المجلد ٣٦ ، جزء ١٠ اول آب ١٩٢٨ ٠

ـ المستشرق الروسي كراتشقوفسكي واشهر آثاره في خدمة الادب العربي : دراسة نشرت في المقتطف نوفمبر ١٩٣١ ٠

٣ ـ رسالته التي نال عليها شهادة الدكتوراه حول المعتزلة ٠ وهي مـــا لا نعرف عنها شيئا حتى الآن ٠ ويرجح ان نسخة منها موجودة فـــي جامعـة قازان ٠

وهناك اشارات الى مقالات وعد بكتابتها ولكننا لم نجدها ٠ لقد وعد مثـلا في نهاية دراسته عن الجزية والخراج بمقال عن الاقطاع في اوائل الاسلام ، ولكننا لم نعثر عليه ٠ (١) كما اشار الى مقالة اخرى له عن بناء مسجد علـــى قبر النبي ، نشرها في الشرق المسيحي ، ج ٦ ص ٢١٠ ٠ ولم نهتد بعـد الى هذه المجلة ٠ (٢)

وهو يشير في مقالته : « هل اللغة العربية مفتاح اللغات » التي نشرها فـــي الكلية (نوفمبر ـ ديسمبر ١٩٢٩) الى انه ارسل دراسة اخرى في المـــوضوع

---

١ ـ بندلي جوزي : دراسات : ص ٥٨ ٠

٢ ـ بندلي جوزي : المرجع السابق : ص ١٠٩ ٠

عينه الى المقتطف (١) · ولم نجد هذه الدراسة الى الان ·

ثم ان بندلي يعد بكتابة دراسة عن القصاص عند العرب ، ولم نجد هذا المقال ايضا · (٢)

كما أن صحيفة الشورى اشارت الى انه يعد الجزء الثاني من كتابه من تاريخ الحركات الاجتماعية عن الحركات الفكرية السياسية في الاسلام · (٣)

ب ـ الترجمات ·

ما عرفناه من ترجماته الى العربية يتلخص بالتالي :

١ ـ امير اموي من سلالة مسيحية : ترجمها عن الروسية ، وهي للعلامة بارتولد ، ونشرها في المقتطف ، اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٣١ ·

٢ ـ الامومة عند العرب : بحث ترجمه عن الالمانية ، مؤلفه (G. Wilken) الهولندي الاستاذ في كلية ليدن · وقد قدم بندلي له ، ونشره في قازان سنة ١٩٠٢ في كراس مستقل ·

٣ ـ القران والبحر : ترجمها عن الروسية ، وهي للعلامة بارتولد المشار اليه اعلاه ونشرها في المقتطف ، يوليو (تموز) ١٩٢٩ ·

٤ ـ مسيلمة الكذاب ، ترجمها عن الروسية ، وهي للعلامة بارتولد ، نشرت في الرابطة الشرقية ، الاعداد الثاني والثالث والرابع ١٥ـ١٢ـ١٩٢٨ ، ١٥ـ٢ـ٢٩ و١٥ـ٣ـ١٩٢٩ ·

٥ ـ الامراء الغساسنة من بطن جفنه : مؤلفه المستشرق الالماني نولدكه ، وقد ترجمه بالاشتراك مع قسطنطين زريق · ويقول الدكتور زريق ان الترجمة صدرت سنة ١٩٣١ في بيروت · (ويظهر من ملاحظات الدكتور زريق انه راجع الترجمة فقط ، لانه لا يذكر انه تعرف الى بندلي جوزي او قابله) · وصدر الكتاب عن المطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٣١ · (٤)

أما ترجماته من العربية الى الروسية ، فلم نعرف عنها شيئا بعد ·

---

١ ـ بندلي جوزي : المرجع السابق : ص ٢٥٣ ـ ٢٥٤ ·

٢ ـ بندلي جوزي : المرجع السابق : ص ٢٨٩ ·

٣ ـ محمود علي الطاهر : الشوري : ٢٦ـ١٢ـ١٩٢٨ ·

٤ ـ نجيب العقيقي : المستشرقون : ج ٣ ص ٩٣١ ·

جـ ـ مؤلفاته بالروسية ٠

ان ما عرفناه يتلخص بالتالي :

١ ـ تعليم اللغة الروسية لاولاد العرب ، (١٦٤ صفحة) الفه سنة ١٨٩٨ ـ ١٨٩٩ ٠ وهو من جزئين ، كما يشير في مقدمة الجزء الثاني ، ويسميه : « مبادىء اللغة الروسية » ٠ يقول في مقدمة الجزء الثاني : « كنت اشرت في مقدمة الجزء الاول من مبادىء اللغة الروسية الذي صدر في العام الماضي في كازان ، بأني عاقد النية على الحاقه بجزء ثان يتضمن قواعد اللغة الروسية ، فلم يكد ينشر هذا في انحاء سورية وفلسطين ، حتى وردتني منها عدة رسائل ، تظهر شدة احتياج البلاد المذكورة في الوقت الحاضر الى مثل هذا الكتاب ، وتلح علي بسرعة اظهار الجزء الثاني الى عالم الوجود ٠ فقياما بما وعدت ، وتلبية لطلب بعض الاصدقاء ، وخدمة للوطن العزيز ، بادرت الآن الى نشر الجزء الثاني من مبادىء اللغة الروسية ، على امل ان ينتفع طلاب هذه اللغة به مهما فيه من النقصان ٠

هذا وقد كان في الخاطر ان اضيف اليه معجما جامعا لمفردات الجزئين ، فأخذت في اعداد المواد وهيأته للطبع ، لكني رأيت بعد اعمال الفكر ان انشره على حدة ، بعد توسيع حجمه ، وموعدنا ان سمحت الظروف وشاء المولى ، العام الآتي ٠ قازان ١٢ ايار ١٨٩٩ بندلي بن صليبا الجوزي » ٠

٢ ـ تحفة العروس في لغة الروس : وهو معجم روسي عربي : عنوانه بالروسية : « قاموس عربي روسي تام » ، وبالعربية كما هو مذكور اعلاه ٠ وعلى الغلاف : تأليف العبد الفقير : بندلي صليبا الجوزي ٠ طبع في قازان ، في مطبعة كلوجينكوف ، سنة ١٩٠٣ ٠ وعلى الغلاف : « الى حضرة الاديب الفاضل الاستاذ الشهير سعاتلو جورجي اف مرقص صاحب الجود والكرم ٠ تذكار اقامتنا في موسكو ومحاربتنا عجوز الشؤم ٠ قازان من مؤلفه » ٠

٣ ـ مقالة نشرها سنة ١٩٠٧ حول عروبة رسالة محمد وانه ارسل للعرب خاصة ٠ (١)

٤ ـ الاسلام والعلم : مقالة نشرها بالروسية على ما يبدو سنة ١٨٩٨ ، لانه يشير في كتابه من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام (٢) انه نشرها قبل ثلاثين سنة ٠

---

١ ـ بندلي جوزي : دراسات : صفحة ٢٠٦ ٠

٢ ـ بندلي جوزي : من تاريخ : صفحة ١٥ ٠

٥ ـ بابك والبابكية : اشار اليها في الفصل الخاص ببابك في كتابه « من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام » (١) ويذكر انها نشرت سنة ١٩٢١ ٠

٦ ـ المطابع الاسلامية في روسية : دراسة نشرها سنة ١٩١١ ، بطرسبرج ، روسيا ، بالروسية ٠

د ـ مؤلفات متنوعة

وهناك مؤلفات وجدنا اشارات عنها ، ولم نعرف بأية لغة صدرت ، وربما كانت بالعربية :

١ ـ علم الاصول في الاسلام ٠
٢ ـ اصل الكتابة عند العرب ٠
٣ ـ جبل لبنان ، تاريخه وحاله الحاضرة ٠
٤ ـ ديوان لغات الترك محمود الكاشغري (١٩٢٦ ـ ١٩٢٧) ٠
٥ ـ قضية المصطلحات العلمية عند العرب المعاصرين (١٩٣٠) ٠
٦ ـ رباعيات ابي العلاء ونقلها الى اللغات الاوروبية (المقتطف « ٢٩ : ٧٥٦ ») ٠ (٢)
٧ ـ أصل سكان سورية وفلسطين المسيحيين ٠
٨ ـ خطبة في الاسلام والتمدن ٠
٩ ـ رسالة في الطاعون : اعراضه والوقاية منه ٠
١٠ ـ رحلة البطريرك مكاريوس ابن الزعيم الى بلاد الكرج ٠ (٣)

ما يجب ان نذكره لبندلي :

هناك مزايا لبندلي لا بد من ان نذكرها هنا :

اولها : قناعته الراسخة بالامة العربية ، وحديثه المستمر عنها ٠ وانه لا يلجأ الى محاولة اثبات وجودها ، كما فعل العريسي مثلا ، او الحصري بعده ، بل يتحدث عنها وعن وجودها بثقة كاملة ٠

---

٢ ـ بندلي جوزي : من تاريخ : صفحة ٩٠ ٠
٢ ـ نجيب عقيقي : المستشرقون : الجزء الثالث ص ٩٣١ ، دار المعارف بمصر ٠
٣ ـ يوسف اسعد داغر : مصادر الدراسة الادبية : ج ٢٠ ـ بيروت ، ١٩٥٥ ـ بندلي ٠

يقول بندلي : « فقد عرف عنا نحن العرب انا ميالون الى التطرف في كل شيء الى تضحية النفس ، الى الانانية الزائدة ، الى الحب العذري والى التهتك ، الى الصداقة النادرة والى الحقد اللانهاية له ، الى التاله (Idealism) والى الشغف بالماديات ، الى الديمقراطية الحقة والى عبادة الشخصيات البارزة، الى الاعتداد بالنفس وشدة الاعتماد عليها ، والى سرعة اليأس والسقوط في القنوط عند اول صعوبة نجدها في طريقنا · وبعبارة اخرى ان في الامة العربية قوى عظيمة تارة تدفعها الى اشرف الاعمال وطورا الى اسفلها واخسها ، وسبب ذلك على ما يظهر لي ان هذه الامة العظيمة الذكية العاقلة على الاطلاق ، تعيش وتتمسك بعواطفها القوية اكثر منها بعقولها ، وتسير في حياتها واعمالها اليومية بقوة المصالح الشخصية التي لا تترك سبيلا للحصول عليها الا طرقته » · (١)

وبندلي لا يتحدث عن وجود الامة العربية المعاصرة فحسب ، انه يتحدث عن العرب والامة العربية ، خلال تاريخها الطويل ، من ظهور الاسلام ، وخلال عهوده المختلفة · فهو يشير مثلا الى « تشعب المؤامرة ضد السلطة العربية » في عهد المعتصم ، وان الغاية الكبرى من هذه المؤامرة هي سحق السلطة العربية في تلك البلاد » ويشير الى « ضعف العاطفة القومية في قلوب عرب ذلك العصر ··· » · (٢)

وعندما يتحدث بندلي عن أسباب فشل البابكية يقول « واهمها في نظري أن البابكيين حصروا دعوتهم في الامة الايرانية ، ولم يشركوا فيها الامة العربية ، ولا التركية ، وهما يومئذ اعظم الامم الاسلامية » · (٣)

ويرى بندلي « أن الامة العربية تتحفز اليوم للدخول في دور جديد من حياتها التاريخية الطويلة ، تأمل ان تستعيد فيه وحدتها القومية المنشودة ، وتوحد كلمتها المفقودة التيفرقتها شتى العوامل بين داخلية وخارجية ··· » ·

ويضيف بندلي : « فمن أراد ان يؤمن مستقبل هذه الامة الذكية الغبية ، الغنية الفقيرة السعيدة الشقية ، وضمن لها وحدتها القومية ، وجب عليه ان يبين لها بكل اخلاص وصراحة اسباب سقوطها المستمر ، حتى اذا تم لها ما تريد لا تقع مرة اخرى في ما وقع فيه اجدادها من الاغلاط التي أدت بها الى حالتها الحاضرة · هذا ولما كنت اعتقد ان من اهم الاسباب سقوط الدولة العربية ، بل

---

١ ـ بندلي جوزي ـ تاريخ ٥٠ ـ ٥١ ·

٢ ـ بندلي جوزي : المرجع السابق : ص ٨٠ ·

٣ ـ بندلي جوزي : المرجع السابق : ص ١١٦ ·

اعظم هذه الاسباب هو سياستها الاقتصادية ، رأيت ان افتتح ابحاثي في اسباب سقوط الدولة المذكورة ، بمقالة عن سياسة الخلفاء الاقتصادية ، ومـــا نتـــج عنها » ٠ (١)

وهكذا يكون بندلي من رواد النهضة الاوائلالذين كان وجود الامة العربية ، بالنسبة لهم امرا مقضيا ٠ انها قضية ليست بحاجة الى اثبات ، ولا الى بحث ، وهذا الوجود تاريخي قديم ٠

وهو عندما يتحدث عن كراتشقوفسكي ويذكر فضائله يضيف «واهم من ذلـك في نظري ان الاستاذ العزيز لا يفرق في حبه بين الآداب العربية والامة التـــي انتجت هذه الآداب ٠ فهو يحب امتنا حبا جما ، لا يقل عن حبه لآداب لغتنـــا وثقافتنا ، ثم هو يحبها حبا فعالا عمليا لا نظريا فقط ٠ فكم له من اياد بيضـــ على بعض افراد هذه الامة ، وكم له من دفاع مجيد عن مصالحها الحيوية وحسن سمعتها ٠٠ » ٠ (٢)

ثانيها : منهجه العلمي وروحه العلمية : ان بندلي من اوائل مؤرخينا وبحاثينا الذين التزموا المنهج العلمي في البحث ٠ فهو اولا ليس باحثا تقليديا ، ولا جامع معلومات ، ولا مدعيا ٠

انه :

أ ــ حريص دائما على المعرفة ، يلهث وراءها ، ويقرأ المؤلفات المختلفة ، فهـو ذو علم واسع ٠ والذي يقرأ كتاباته يلمس هذا الحرص على المعرفة ، وهذا الدأب على القراءة ، وهذا الاطلاع الواسع ٠

ب ــ انه باحث مدقق ، يقرأ ويقارن ويبحث ، ويحاول دائما أن يصل الـــى الحقائق ٠

جـ ــ انه باحث يتسم بالتواضع الجم : فهو يقول مثلا : « ان نبين ذلك على قدر ما تسمح لنا به معارفنا والنصوص التي توفقنا الى جمعها ودرسها » ٠ (٣)

كما يقول في مكان آخر : « واني اوكد لحضرته باني لا اقصد من كل مـــا

---

١ ــ بندلي جوزي : دراسات : ص ٢١ ــ ٢٢ ٠

٢ ــ بندلي جوزي : دراسات ص (٣١٦ ــ ٣١٧) ٠

٣ ــ بندلي جوزي : من تاريخ : ص ١٤١ ٠

اكتبه الا الحقيقة ، على قدر ما تنكشف لي وتساعدني معارفي وحالة العلم على ادراكها » ٠ (١)

د ـ انه يلتزم « بالنواميس الطبيعية التي يقبلها العقل » وليس لحضرته (يقصد عبد اللطيف الطيباوي) الذي : « يميل الى الماوراء طبيعي كما يؤخذ من بعض عبارته » (٢) وهذه القوانين العلمية التي يقبلها العقل ، هي التي يؤمن بها ٠

ولهذا كله اكب على الدراسة ، واشتغل بالبحث ، ولم يكن له هدف غير الحقيقة ٠ وكان مثالا للباحث الامين ، المكب على المعرفة ، الجاهد في التحصيل٠

وثالثها : معرفته بالعديد من اللغات ٠ فلقد اتقن الى جانب العربية ، الروسية والفرنسية والانجليزية والالمانية واليونانية ٠ ومن اللغات القديمة السريانية والعبرية ٠ وهو يشير في دراساته المقارنة في فقه اللغة الى الآرامية ، كما يشير الى اللاتينية ٠ (٣) وهذا يدل انه كان يعرف شيئا منهما ٠

ان معرفة العديد من اللغات ، تساعد على سعة الاطلاع ، وبالتالي غزارة المعرفة ٠ ولهذا نجده يترجم من لغات مختلفة ٠ ٠ويكفيه ان يكون متقنا لاهم اللغات الاوروبية الحديثة ٠

ورابعها : اهتمامه بدراسة التاريخ العربي : لقد كان بندلي من اوائل الذين درسوا التاريخ العربي دراسة علمية ، واهتموا بجوانبه الاقتصادية والاجتماعية ٠ ان دراساته حول الجزية والخراج ، وحنين العرب الى بني امية والسفياني وخرافات العرب قبل الاسلام وترجماته عن الاومة عند العرب وغيرها تبقى من الدراسات الهامة في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي العربي ٠

وقراءتها اليوم تفتح العديد من المجالات للدراسات الاقتصادية والاجتماعية المختلفة ٠ ومن الجدير بالذكر أن بعض هذه الدراسات قد كتبه بندلي ، ليساهم في تبيان اسباب سقوط السلطة العربية ، وليكون ذلك دليلا للاجيال القادمة ، فلا يتهدم ما يبنى ، وكأنه اراد ان يقول : ان الظلم والاضطهاد لا يبنى عليهما سلطان ثابت ، وان العدل اساس العمران ، ولا عمران دون سياسة اقتصادية صحيحة ٠

---

١ ـ بندلي جوزي : دراسات : ص ٢٠٢ ٠

٢ ـ بندلي جوزي : دراسات : ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤ ٠

٣ ـ بندلي جوزي : دراسات : ص ٣٠٠ ٠

بندلي يثير ردودا :

كانت مقالات بندلي بجرأتها في الاهداف والاسلوب ، وبما تطرحه من قضايا، تثير مناقشات وردودا · فالاستاذ عبد اللطيف الطيباوي يرد على بندلي وتفسيره الاقتصادي للتاريخ · يقول الطيباوي : « وقد مهد (اي بندلي) بمقدمة قال فيها ان اعظم اسباب سقوط الدولة العربية هي سوء سياستها الاقتصادية · فلم نستغرب منه ذلك ، لان هذه ليست المرة الاولى التي يقف فيها الاستاذ مدافعا عن التفسير الاقتصادي للتاريخ ، ونحن نعرفه جد ميال الى هذه النزعة ، متطرفا بتطبيقها قسرا على مختلف نواحي تاريخ العرب ، منذ نشر كتابه في الفكر الاسلامي » · (١)

وتناقشه المقتطف في باب الاخبار العلمية ، حول كلمة خراج · (٢)

وتعلق الرابطة الشرقية ، على ترجمته لبحث بارثولد حول مسيلمة الكذاب ، بتعليقات متعددة جاء في احدها : « تلك كلمة تخرج من افواه الذين لا يؤمنون اذا ما عرضوا للبحث في دين الاسلام » · (٣)

وقد علق عدد من المجلات على كتاب : من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام · وهذه مجلة الزهراء (٤) تعرض الكتاب باختصار ثم تعلق عليه قائلة : « والكتاب على الاجمال يكاد يكون سلسلة من تاريخنا المنشور ، لولا انه نظر اليه بعين اخرى ، ومع اختلاف وجهة النظر ، فانه لا غنى لقارىء هذا الكتاب عن مراجعة الاصول المعتمدة في التاريخ الاسلامي ، والا وقع في خطأ الحكم على الوقائع تبعا لوجهة نظر المؤلف » ·

وهاجمت مجلة الكلية الصادرة عن الجامعة الاميركية الكتاب بسبب تحليله المادي وقالت : « وقد رأينا هنا ايضا ان الاستاذ يؤثر التعليل الشيوعي على غيره ، حتى في نشوء الآراء ونمو المعتقدات بين تلك الجماعات السرية والفئات الفلسفية · ولسنا ندري فلعل ذلك نتيجة ما يحيط بنا اليوم من تأثير الدعاية الشيوعية الروسية » ·

---

١ ـ عبد اللطيف الطيباوي ـ المقتطف ، يونيو ١٩٢٩ ، ص ٨٥ـ٩٨ ·

٢ ـ عبد اللطيف الطيباوي ـ المقتطف ، يونيو ١٩٢٩ ، ص ١١٨ ·

٣ ـ بندلي جوزي : دراسات : ص ٢٢٨ ـ ٢٣٣ ·

٤ ـ الزهراء ـ المجلد (٥) ذو القعدة ١٣٤٧ هـ·

وتنهي المجلة نقدها بقولها : « على ان هذه الملاحظات لا تقلل من قيمة الكتاب الذي يشكر عليه مؤلفه الفاضل » · (١)

ولقد علمنا انه ابدل عنوان كتابه من الحركات الاشتراكية الى الحركات الفكرية ، لان سلطات الانتداب لم تسمح بنشره بذلك العنوان ·

ان النقد الذي وجه الى بندلي ودراساته في ذلك الحين كان مختلفا عن مستواها وجديتها ، حتى من حيث الدراسة الاكاديمية ·

ملاحظات حول افكاره ودراساته :

ان دراسة افكار بندلي وتقويم دراساته قضية كبيرة ، لانه كتب في التاريخ والاجتماع والفلسفة وفقه اللغة · واذا كان خطه علميا واتجاهه تقدميا ، فهذا لا يعني انه لم يخطىء احيانا ، كما ان دقته وأدبه لا يعنيان انه لم يرتكب هفوات في دراساته وابحاثه ·

الا ان هذا كله لا يمكن ان يمس أهمية اعماله وجديتها ، او ان يطعن في منهجه العلمي واتجاهه التقدمي ·

ان تناول قضايا التاريخ العربي ، من اكثر القضايا تعقيدا وحساسية · ومع ذلك فقد تناول بندلي اكثرها حساسية وهي قضايا البابكية والاسماعيلية والقرامطة · ولقد كان هؤلاء اعداء للخلافة العباسية ، ولمذهبها الرسمي : السنة · وقاد ذلك الى اعتبار كل من يتحدث عنهم بغير اللغة من الرافضة ، ان لم يكن من الكافرين ·

ومع ذلك فقد عالج بندلي هذه القضايا بدقة ، وبموضوعية ، رفعت ابحاثه ، على الرغم من بعض الثغرات فيها ، الى مستوى الابحاث الجادة ، العظيمة الفائدة · ونستطيع ان نقول بان كتابه من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام ، من أهم الدراسات حول القضية المعينة ·

هذا بالاضافة الى ان تعدد المجالات التي طرقها : سياسة ، اقتصاد ، اجتماع، لغة ، دين ، فقه ، لغة مقارن ، جعلت ابحاثه تتسم بالشمول والتعدد ، مما يحتاج بحثه وتقييمه الى اكثر من تخصص ·

وهذا كله يجعل مسؤولية التحقيق والتقويم صعبة وكبيرة ، وتحتاج الى

---

١ ـ ع·ط : الكلية : المجلد (١٥) تموز ١٩٢٩ ·

الوقت والجهد ، وحتى الجهود المشتركة ٠

خاتمة :

اننا ما زلنا نبحث عن آثار بندلي جوزي ، وسنبذل كل الجهود للحصـــــول عليها ، ولاعادة نشرها ٠ ولنعترف ان المهمة شاقة ، لان الوصول الى آثـــاره بحاجة الى مراجعة العديد من الصحف والمجلات ، والجامعات والمكتبات فـــي العديد من اقطار العالم ٠

ولكننا مع ذلك سنسعى جهدنا لجمع هذه الآثار ولتحقيقها ولنشرها ، تقديرا واجلالا لجهوده وعلمه ٠ وسوف نعيْد نشر آثاره مع فهارس للاعلام والبلـدان وتعريفات للذين استشهد بهم أو ترجم لهم من الكتاب والمستشرقين ٠

يوسف ادريس

الكتابة اللهب

من الصعب ان تضبط الكاتب الكبير يوسف ادريس في سؤال · فهو المتدفق الرائع يحدد مساره وينطلق · بعد دقائق يبعثر الاسئلة الجاهزة ويفيض · زارنا في مركز الابحاث وقال : « ان المركز ساعدني على معرفة ابعاد في القضية الفلسطينية لم اكن اعرفها » · ويتحدث عن الادب الفلسطيني في شغف · لا تتواضع ! قل لنا من انت !

وكانت هذه المقاطع ، بلا عناوين لاننا رمينا الاسئلة في منفضة السجائر :

اذكر ، انه عام ١٩٥٦ ، وكنا خارجين في مصر من العدوان الثلاثي · جاء شاب فلسطيني ، وطلب مني ان اكتب مقدمة لرواية يريد اصدارها · فرحت بهذا الشاب ، لان قضية فلسطين ، كانت في ذلك الوقت قضية صامتة · ورغم ان الرواية كانت متوسطة القيمة ، لان مؤلفها كان يريد ان يكتب مثل طه حسين والعقاد ، ولم يكتب تجربته الخاصة · فقد فرحت بقيمتها المبدئية · ومن يومها بدأت اتتبع ما يمكن ان اسميه التهتهة المتقطعة للتعبير عن اعظم قضايا العصر · ثم ما لبثت هذه التهتهة ان انفجرت · وفجأة ولد جيل كامل في نفس اللحظة التي حمل فيها شعب فلسطين السلاح · حمل هؤلاء الاقلام كما يحملون البنادق · وابتدأت قصص غسان كنفاني تكشف كنه الانسان الفلسطيني · كنفاني ، في قصصه ، كشف ابعاد الانسان الفلسطيني واحلامه · وبعد ذلك ، جاء الشعر من حيث يجب ان يأتي · من الارض المحتلة · حيث نشأ ذلك الجيل

المجيد الذي رفض الهزيمة · هذه الانتفاضة الشعرية ، هي اعظم ثـورة ثقافية اجتاحت العالم العربي ·

وعندما نطقت القضية شعرا ، وتحولت الكلمة الى رصاصة ، بدأ مـا هو اعظم من الكفاح المسلح : تعبير الشعب عن نفسه · ومن المعروف ان الشكل الاول للتعبير هو الشعر ، لانه ابسط الفنون واكثرها صعـوبة · فهو اما ان يكون صادقا بشكل حقيقي فيصل الى القلـب ، او يكـون لا شيء ·

ان حقيقة الانسان هي ان يكتشف نفسه ، وان تتسع امامه مجالات الرؤيا · لذلك ، فأنا اعتقد ان القضية الفلسطينية حين نطقت شعرا ، ثم حين انطقت الامة العربية كلها ، فشملتها موجة من التعبير عن النفس ، فانها قد فتحت واحدة من اهم فترات تاريخنا · فالنصوص الادبية التي كتبت وتكتب في ظل هذه الثورة العربية بالغة القيمة والاهمية ·

والواقع ، ان النص الادبي يحمل بعدين مهمين : **البعد الآني** ، الـذي يحدث الاثر المباشر و**البعد الخالد** ، الذي لا يسعى اليه الكاتب لكنـه يحدث ، لانه ينفجر في داخله ·

من اجل ان اتعرف على شعب ما ، علي ان ألخصه · كيف ألخصه ؟· ان اخطر ما في الانسان هو عقله ووجدانه · وعندنا في « الشرقية » مثل يقول : « مصيبة في المال ولا مصيبة في العيال · مصيبة في العيال ولا مصيبة في الجسم · مصيبة في الجسم ولا مصيبة في العقل » · فالموت ينهي الحياة ، لكن العقل المضطرب يقود الاجيال القادمة الى هـوة سحيقة · وانا اعتقد ، ان النقطة التي يمكن ان يضرب منها العرب هي عقلهم ووجدانهم · اي ثقافتهم · نحن في المجتمع العربي ، جسم كبيـر جدا · من المحيط الى الخليج · اناس لا يعدون ولا يحصون · اجساد ، اجساد، اجساد، وعقل صغير جدا ومرهق ،وحس رغم ضآلته يضرب تقريبا في كل مكان · فالكلام حول الثقافة ، ليس نزهة فكرية ، انها عملية دفـاع مشروع عن النفس · المسألة الاساسية ، ليست مسألة ارض ، انها مسألة ضرب العقل العربي في الصميم · فنحن الذين نزعم اننا جزء من هـذا العقل ، او احدى خلاياه · نقف ضد ان نتحول الى اجساد بالاكوام ولا عقل · هذه هي المسألة التي تحدثت عنها في مقدمة كتاب كنفاني شـهيد كتاب العرب · كنت اريد ان اقول ، ان المسألة ليست في استشهاد كاتب ، الذي نخشاه ، هو الاطاحة بالعقل العربي · وللاسف ، فقد كانت تنبؤاتـي صحيحة · فنحن منذ سنة ١٩٦٧ ، نتراجع بخطوات فلكية الى الوراء ، الى درجة اننا وصلنا الى مرحلة العشائرية في اقل من سبع سنوات في

القرن العشرين · ويمكن ان نصل الى مراحل اكثر بدائية · وسنصل الى هذا المستوى طالما ان هذا العقل العربي الواحد غير موجود ·

ونحن لسنا في فراغ · هناك اوطان في العالم العربي · ورغم الاحتلال الاجنبي ، هناك تاريخ وتراث وثقافة · واستطيع ان ازعم ، ان لنا شبه ثقافة عربية موحدة · ففكرة انتمائنا العربي ، لم تكن محسوبة منذ عشرين سنة · اما الآن فهي حقيقة ، ويذهب من اجلها الشهداء والضحايا ، ويدور حولها صراع في العالم · وايضا ، عندما اتكلم ، اتكلم كمصري او كانسان ، ولد وعاش في مصر ، وهو يدرك ان وطنه اكبر من مجرد قرية البروج في محافظة الشرقية · اننا لم نصل بعد ، الى ادراك هذه الحقيقة البسيطة : حقيقة كوننا ننتمي الى وطن واحد · اما الحقيقة الثانية ، فهى ضرورة ان ندرك ، ان هذه الامة ، ارادت ذلك او لم ترده،وهي طرف في معركة واحدة : الصراع بين الشرق والغرب ،او الصراع بين العالم الثالث والعالم الاول ·

نحن لا نزال في مرحلة المقدمات · مرحلة ما قبل بدء تاريخ التفكير العربي · نحن في مرحلة الدويلات الفكرية والاقطاعيات الفكرية والمذهبية · وكان اعداؤنا من الذكاء ، بحيث انهم روجوا لخدعة بسيطة ·

لقد سموا العدوان الشامل على الامة العربية : القضية الفلسطينية · اي انهم فلسطنزا القضية العربية · نعم هناك قضية فلسطينية · وهناك قضية مصرية وسورية ··· لكن الموضوع هو عدوان شامل على امتنا · لانه لو كان هناك قضية فلسطينية بينما بقية جسد الامة سليم ، كان الحل بالغ البساطة · لكن المشكلة اساسا ، هي في ضرب العقل العربي حتى لا يدرك ابعاد مشكلته · فنحن نواجه مشكلة واحدة ذات ابعاد متعددة · والمشكلة الثانية هي في هذه الانظمة العربية التي تصادر فكر هذه الامة ، ونحن نعلم ان اتجاهها واضح واتفاقها مع العدو واضح كذلك ·

اي نحن نواجه عدوين · عدو في الداخل هو التخلف ، وعدو في الخارج هو تقدم الاعداء · وتخلفنا اشد خطرا من تقدم عدونا · لذلك فان للثقافة والمثقفين والمبدعين دور بالغ الاهمية · ولكن للاسف ، فان الرابط الوجداني بين المثقفين العرب غير موجود · وليس صدفة ان تكون مؤتمرات الثقافة العربية بالغة الهامشية · **فهناك محاولة جدية لعزل الثقافة عن الحياة** · وكأن الثقافة لا علاقة لها بالاستشهاد او الخبز او العمل · الخطير ، هو تحويل الثقافة الى تمارين ارادية يمارسها بعض المختصين · وتصبح مقياس شاعرية الشاعر فحولته وليس صدقه في التعبير عن لحظة معينة ·

عزل الثقافة عن الحياة ، ثم عزل الثقافة عن الفكر ، ثم عزل مثلث الفكر ، الثقافة الابداع عن الحياة اليومية والنضالات السياسية ٠

هذا هو الاشكال الخطير ، والتحدي الفعلي الذي يواجهنا ٠

ان حقيقة واقعنا ، الاكثر خطورة ، هي هذه الازدواجية في حياتنا العربية ٠ السياسة في ناحية ، والفكر في ناحية اخرى ، الكتابة في ناحية ، والقتال في ناحية ثانية ٠ الحياة اليومية في ناحية ، والشعر في ناحية اخرى ٠

انا احاول تشخيص الداء ٠ لذلك لا اتهم احدا ٠ ارى قضية كبيرة ورئيسية ٠ لا يوجد ، لا بين القادة ولا بين الجماهير اهتمام حقيقي بالفكر ٠ الفكر بوصفه حاجة شاملة بالنسبة لنا ٠ الاشكال الكبير ، هو في وجود امة لا تهتم بالفكر ٠ الفكر بالنسبة لي ، هو جميع مجالات الخلق والابداع والثقافة ٠ ان فصل الابداع عن الحياة ، وعدم النظر اليه بوصفه حاجة مصيرية هو الاشكال ٠ مثلا ، قصيدة « احمد الزعتر » لمحمود درويش ٠ قصيدة رائعة تركت صداها في جميع ارجاء العالم العربي ٠ ولكن كيف نعامل الشعر ؟ نعجب به ، وبعد ذلك لا شيء ٠ المفروض ان تعتبر هذه القصيدة نشيد امة ٠ هذا غناء امة ٠

من مآسي الحركة الوطنية العربية ، انها تتميز بمسألة خاصة ٠ تحارب عدوا وتعتنق ثقافته ٠ نحارب الانجليز ، واحمد لطفي السيد يؤلف كتابا يظهر فيه الانجليزي بوصفه سوبرمان العالم ٠ الجزائريون يحاربون فرنسا ، وثقافتهم هي الثقافة الفرنسية ٠ ان جيل طه حسين ينتهي الآن في العالم العربي ، ولكن ينبت بعده جيل اشد خطرا ٠ فالغرب في تطوره ، يعزز ادبا وفكرا مذهلين ٠ ونحن نقاد الى تقليدها تطوعا ٠ فكثيرون ممن يكتبون الشعر والقصة والرواية ليسوا سوى طاهات حسينات وتوفيقات حكيمات ٠ ولكن عوض تقليد موباسان يقلدون روب غرييه وساروت ٠٠ وهنا يكمن الخطر الحقيقي ٠ فأنا اعتقد ان اعظم ما ستنتجه هذه الفترة ، الفن الحقيقي النابع من الواقع ٠ **فالفن ، هو كالقوانين العلمية لا يمكن دحضه او الغاؤه ، انه نبض الكون** ٠ فالمكون الرئيسي للانسان ، ليس انتسابه الى ارض فقط ٠ لان الثقافة هي الازهار والثمار التي ينتجهاالجذع والساق ، الوطن والارض ٠ فنحن ، هذا القليل من الكتاب والشعراء ، الذين ندرك هذه الحقيقة نشكل كتيبة مبعثرة ، تكافح في الاتجاه نفسه : البحث عن ثقافة عربية حديثة ، حقيقية و اصيلة ، تصلح كي يحيا بها عقل الانسان العربي ٠

انا لا اعرف ماذا امثل بالضبط · لكني احاول ان اقول ما اشعر انه الحقيقة · يمكن ان تعتبرني ممثلا لرغبتي في قول الحقيقة ·

انا ضد التواضع المزيف · كان يجب ان يقوم احدهم بالدور الذي قمت به في مجال القصة العربية · انه لفت نظر المبدع العربي اولا والقارىء ثانيا ، الى ان الواقع نفسه يحمل منابع خصبة للجمال والابداع والانسانية · بين فلاحينا وكادحينا واطفالنا ، توجد الملهاة والمأساة · وتوجد طريقة تعبير مختلفة عن طريقة تعبير الغرب عن نفسه ، وهي طرائق واساليب يمكن ان تضاف الى التراث الانساني · كانّ مهما جدا للقصة المصرية ، ان تصبح مصرية · انا لم انشأ ككاتب قصة عندما ادركت ان رسالتي في الحياة هي الكتابة القصصية ، تساءلت اية قصة اكتب ؟ وقرأت القصص الموجودة ، فوجدتها قصص خواجات يتنكرون بثياب ابناء البلد · قرأت القصص الاجنبية فوجدت انها حدثت في بلاد اجنبية ، وابطالها اجانب يتكلمون بطريقة اجنبية · قرأت قصة السرد فوجدتها مختلفة عن الف ليلة وليلة ، وعن الطريقة التي يتكلم بها الناس · اذن علي ان اكتشف واقعي · وقد قال لي كتاب عرب منهم غسان كنفاني والطيب الصالح ، الى اني لفت نظرهم الى واقعهم · هناك اشياء لا يعرفها احد سوى الذين يعيشون هذا الواقع · فهم يستطيعون اكتشاف حقيقة الانسان وتقديمها للعالم · انا اعتقد ان حقيقة الانسان العربي حقيقة عظيمة جدا ، كل ما في الامر انها تقدم اليوم للعالم بشكل فردي وسخيف وغير صادق وغير حقيقي ومشوه ·

اذا كنت قد انجزت شيئا في هذا الاتجاه ، يكون هذا جيدا ·

انا لا اوافق على التقسيم النقدي بين شاعر وقصاص ومسرحي · الفواصل التي نضعها عادة بين الفنون ، اكتسبت مع الزمن ، نوعا من القداسة · مع انها كاذبة ومزيفة · النقد الجديد ، هو الذي يحاول ان يكتشف الرؤيا التي تصدر عنها الكتابة · هل توجد رؤيا او لا وجود لها · بعض النقاد يقسمون نتاجي الى ثلاث مراحل · المرحلة الواقعية ، التي كتبت فيها عن القرية · المرحلة التجديدية ، التي كتبت فيها عن المدنية · المرحلة الغيبية او الفوضوية · ولكن من الصعب ان نحكم على كاتب ما زال منتجا · ربما ، سوف نعتبر على اساس ما سيكتب ، ان كل كتابته السابقة كانت مجرد تمارين ·

من الصعب ان يجيب الكاتب على سؤال يتعلق بكتابته · لانه لا يعرف ماذا يفعل · الشاعر ، لا يجرؤ على القول ان ما يكتبه هو الشعر ، لانه يكتب من اجل ان يعرف ما هو الشعر · من اجل ان يصل الى روح

الشعر ونواته · كذلك في القصة · انت تكتب من اجل ان تعرف ما هي القصة · تكتب تحت الحاح البحث عن حقيقة القصة وحقيقة الشخصية التي تعالجها · وليس من المصادفة ان اكون قد بدأت بكتابة العديد من قصصي ، دون ان اعرف كيف سأنهيها او لماذا اكتبها · انا ، تحت الحاح قوي جدا ، اريد ان اكتب في هذا الموضوع · وكمن يدخل القصر المسحور اكتشف · واحاول ان استكشف عالما لا اعرفه مسبقا · التقسيم النقدي يكون صحيحا في حالة واحدة ، عندما يملك الكاتب وعيا مسبقا للذي يريد ان يقوله قبل ان يكتب ، عندما يكتب بناء على نموذج · انا اكتب بطريقة مختلفة · الكتابة عندي هي عملية بحث مستمرة عن شيء لا اعرفه · لكنه بحث مثمر لسببين : فأنا استمتع به اولا ، ثم اعثر على اشياء لم اكن اتصور انني سأعثر عليها ، وبالتالي فالقارىء يعثر عليها معي ·

احيانا ابدأ القصة وانا اعرف كيف سأنهيها · ابدأ ، ثم اصل الى نهاية ثانية · احيانا ، اعرف كيف تبدأ القصة لكني لا أعرف كيف ستنتهي ·

ففي قصة « الرحلة » كنت اعرف ان الرجل مصر على ان والده لم يمت وهو مصر على الباس جثته ربطة العنق · لكني لم اكن اعرف كيف سأنتهي · الاحساس العام هو الذي يبقى · هنا نختلف قليلا عن الشعراء · الشاعر يملك حساسية خاصة يسمونها الفصاحة · اي القدرة على التحكم في الدفقة الشعرية · اما بالنسبة للقصاص فالمهم هو التدفق ·

انا اكتب بناء على الحاح نغم او معنى او شيء مرهف جدا لا استطيع القبض عليه · اكتب من اجل الامساك به · احيانا تأتي الفكرة كاملة لحما وعظما ، وعندها تكون مهمتي كتابتها فقط · يكون العقل الباطني هو الذي كتبها · هناك حوالي خمس عشرة قصة حلمتها كاملة · انهض من الحلم واكتب الذي رأيته · انا اعتقد ان هذا الشيء الذي يسمونه موهبة ، حقيقي وموجود · هكذا نجد سمات مشتركة بين اشياء غريبة · بين اعمال مايكل انجلو وسمفونيات بيتهوفن · تشعر ان الطبيعة او القوى الحيوية تعبر عن نفسها في لحظات صدق · لذلك فالفن خالد · وهذا يعني ان الفن لو لم يكن خالدا ، لكانت اعمال القرن العشرين تقوم بنسخ الاعمال التي سبقتها · **العمل الفني مثل الكائن الحي ، الكائن الحي لا ينسخ** ·

الحقيقة ، انني قررت مرة ان اتوقف عن كتابة القصة · قلت سوف اكتب شيئا اسمه « من مفكرة يوسف ادريس » ، واتناول فيه مشاكلنا

بطريقة اكثر مباشرة · عوض اللف وخلق بطل وحكاية · نفذت المشروع لافاجأ بحالتين مذهلتين :

الحالة الاولى : استجابة شعبية لم ارها في حياتي · اي وصل بريدي الى ٥٠٠ رسالة في الاسبوع ·

الحالة الثانية : وهي المفاجأة الاعظم · جاء ناشر وقال لي انه يريد اصدار مفكرتي في كتاب · وطلب مني ان اعطيه اياها كما كتبتها انا اسبوعيا دون اعادة ترتيب · اخترت له اثنتي عشرة حلقة · عندما اخذت البروفات لاراجعها ، **اكتشفت انها رواية** · لقد ضحكت على نفسي وعلى الاخرين وسميت الرواية مفكرة · لكنها رواية بكل ما في الكلمة من معنى · رواية على شكل مقالة مباشرة · فهناك تيار واحد يمسك بها من بدايتها حتى نهايتها ·

هذا يدفعني الى التأكيد من جديد ان الاشكال التي اتفقنا على تسميتها رواية وقصة وقصيدة ومسرحية ، هي تقسيمات شكلية ، ومتى توفر وعي نقدي حقيقي ، سوف تصبح تصنيفات قديمة · فانا اؤمن ، ان كل لحظة صدق هي فن · كل لحظة صدق يعيشها الانسان هي الفن ، سواء سجلت على شكل قصيدة او قصة او مقال ، او لم تسجل · وكم من فن ضاع ويضيع على البشرية لانه لم يسجل ·

انا لا اختار ولا اصنع · هناك شيء في الداخل ، احساس بأني سأقوم بعمل ما في مكان ما ، في لحظة ما · عندما اصل الى هذا الاتجاه اتفاعل معه · تحصل اشياء واحداث وكأنها مصادفة ، لكنها تكون لا ارادية ، لا ارادية لاننا نأخذ الارادة بوصفها القشرة الارادية الظاهرة ، التي هي القشرة العقلية ، لكن الارادة اعمق بكثير من هذا · انها في العظم وليست في اللحم ·

انا لا اكتب القصة · ولم اختر ان اكون قصاصا ·

عندما اكتب ، لا يوجد شيء ثابت يقود كتابتي · هناك اشياء عديدة · هناك اولا ما اسميه **القيادة التناسبية** · اكتب سطرا في قصة ، لنفترض انه السطر الاول ، يخلق هذا حالة معينة من الشعور الذي يستدعي خلق حالة ثانية مناسبة تكمن في الاولى · هكذا · تقوم بعمليات لتكتشف في النهاية انك وصلت الى شكل لم يكن في ذهنك · هذا الذي اسميه **الشكل الموضوعي** ·

وهناك شيء اهم من هذا · انه كاحساس ماجلان وهو يقود مركبه ، مؤمنا انه اذا سار في هذا الاتجاه فسيصل · انه ما فوق حب الاستطلاع

اذ تشعر ، انه هناك في ركن قصي من الفكر او القصة شيئا ما · مغامرة ما · واذا تبعت هذا التيار سوف تصل · تذهب في رحلتك من اجـــل اكتشاف جزيرة صغيرة ، فتفاجأ بأنك اكتشفت قارة · انا في « الفرافير » اكتشفت المسرحية اكتشافا · كنت لا اريد كتابة مسرحية عادية · حوار بين فرفور وسيده · كنت اريد خادما يمازح سيده · « قوللي يا سيدي انت سيدي ليه » · عندما كتبت هذا السؤال على الورق ، توقفت عـن الكتابة ، واكتشفت مسرحية « الفرافير » · الناس تهزأ او تبتسم ، عندما نقول لها ان الكاتب ليس « كاتبا » بقدر ما هو « مكتوب » · هناك ناحية لم يبحثها احد · ما هو الكاتب ؟ هل هذا هو نوع من المزايا الفردية ، ام هو ظاهرة اجتماعية احصائية · اي كما ان نصف المواليد تقريبا هم من الاناث او الذكور · اعتقد انه في كل نسبة معينة من السكان يجـب ان نجد شاعرا وكاتبا · انها خاصية تفرزها الجماعة البشرية · انها قيمة اجتماعية ·

وقفت قرب الموت · لكن طبعا ، لم يحدث اننـي اردت ان امـــوت · الاقتراب الشديد من الموت يختلف عن تجربة القاتلين ، لانه يعني ان جميع الظروف قد تآمرت دفعة واحدة من اجل ان تقطع خيط الامل · المـوت لا يعني ان تموت · حين تموت تكون قد مت وانتهى الامر · الموت يعني ان تكون محاصرا تماما · الخطير هو ان تنفذ بعد هذه اللحظة · هنا تحدث تغيرات خطيرة جدا في شخصية الانسان · توقظ مشاعر كانـت كامنة ، وربما كانت بحاجة الى مثل هذه اللحظة كي تظهر · هنا يفقـد الجهاز العصبي في احايين كثيرة قدرته على الاحتمال ·

انا لا اخاف من الموت الفني · انا لست كاتبا محترفا · عندما اكتب اكون كاتبا ، اما حين لا اكتب فأكون انسانا عاديا جدا ، يتفرج على ما كتبه الانسان الآخر · لقد حاولت ان اربط بيني وبين انتاجي ، لـــم استطع · وحاولت ان اربط بيني ككاتب وبين يوسف ادريس ، ولم يكن هذا ممكنا · لذلك فأنا لا اخاف الموت الفني · الذي لم يعش لا يخـاف الموت ·

همنغواي لم ينتحر لانه شعر بالعجز الفني · همنغواي انتحر لسبب بسيط جدا · لانه اصيب بالجنون · كان في آخر ايامه يعالج بالصدمـة الكهربائية في احد مستشفيات الامراض العقلية · الانتحار لا علاقـة له بالمسألة الفنية · كاتب الرواية الحقيقي يبدأ انتاجه الحقيقي في سن متأخرة · بين ٥٥ و ٦٥ · وكلما تأخر الروائي في الكتابة ، كلما جاءت اعماله اكثر نضجا ···

حَيدر حَيدر

من هنا تمرّ الحَرب "قصّة"

١ ـ بيروت الحرب

من هنا تمر الحرب الآن · تأخذ معها الاطفال والشجر ، الرجال والحجارة ، الفقراء والخبز ، وسائر الذين ليست حربهم ·

وقبل اعوام مرت الحرب من هناك · اجتاحت الصحراء والمرتفعات ، ثم اغتالت الجنود والارض والفقراء ، والذين لم تكن حربهم ·

حزين انا لان حربي لم تشرق شمسها بعد · سألتها وهي تحاذيني : متى تكونين حربي ؟

عن اسنانها الدامية كشفت · سألتني : وكيف أكون حربك يا صغيري ؟ قلت وأنا أمتطي صهوة حصان من خشب : عندما تجتاحين عواصم الطغاة والتجار والكهنة والبوليس والكتب القديمة ·

ضحكت الحرب مني متابعة حصادها المجاني الاحمق ، واذ از رصاصها الاعمى قرب دمي اكتأبت · قلت لحصاني الخشبي المندفع : زمان طويل سيمر قبل أن يشرق فجرنا الارجواني الجميل ·

٢ ـ خبز بلون الشمس

الايدي التي امتدت كانت ترتعش · منذ الفجر الاول وهي ممدودة · الايدي التي تمتد لم تكن تستجدي خبزا · بين الاصابع كانت النقود تلوح امام باصرتي أبي حسن الفران المنتصب فوق منصة ·

امام الفرن احتشد البشر · كانوا يرتعدون خوفا وحقدا واشمئزازا ·

صوت : ابو حسن · رحماك · ·من جوعهم صار الاطفال يرسمون شكل الرغيف على التراب والحيطان ·

صوت : ابو حسن · انا بعرضك · والله · تحت الرصاص والقنابل من الخامسة صباحا · ستة اولاد ينتظرون ويتضورون ·

صوت جديد : ابو حسن · ابو بلوط · ابو ابليس · رد علينا يلعن ··· بين الحشد يضيع صوته · بعد لحظة يرتجل خطبة غريبة ، غامضة ، مفعمة بحنق : يا عمي ابن زانية من يتزوج ، **تشتهي رغبتك ثقبا فتفتحه** · بعد فتحه ينفتح لك الف ثقب يطلب خبزا · من اين تطعمهم ؟ يقولون لك رزق الغد يأتي مع الغد وابن آدم يأتي الى الدنيا ومعه رزقه · آ · رزقكم في السماء وما توعدون · هوذا وعد السماء يمطركم بآيات الرصاص · هذا رزقكم الدائم ·

صوت : طول بالك · الرزق من الله · واما بنعمة ربك فحدث ·

ـ وعندما يكون رزقك من ابي حسن ولا يرد عليك ؟ يا عمي العربي مغفل · حياته أكل ونوم ونسوان · أرنب يلد ويرمي في الازقة · رأس فارغ محشو بالخبز والجنس ولا حساب لايام الضيق ·.

كان يزحف ويزحم من آخر الحشد وهو ينادي بعد أن نفد صبره : يا عمي من يأخذ هؤلاء الاطفال ويريحني · لا السماء تنعم ولا العبد يرحم · ثم هذه الحرب الملعونة · آه · آه · الحمد لله الذي جاءتكم ايام الضيق اخيرا ·

صوت : ما لك يا عم ؟ جننت ! الصبر مفتاح الفرج · الوقت وقت حرب والناس كلها محروقة ·

كان الصوت يوجه كلامه لجاره الخطيب ، للرجل الغاضب اجتماعيا · انفجر الفيلسوف الغاضب : مصيبة · يا عمي لا دخل لنا بهذه المحنة · حرب انتخابات وزعامات وعرب وامريكان واسرائيل وطوائف · الشعب خارجها · من لم يمت بالرصاص منا سيموت بالجوع · لبنان صار اخيرا مخبر تجارب لجثث الفقراء · ليذهبوا الى اسرائيل ويقاتلوها · عربان امريكا عجزوا عن تحرير فلسطين · حولوها ضد لبنان والفدائيين · انظر · انظر · العسكري وحامل البندقية وابن العائلة يأخذون الخبز امام عيوننا ونحن نتفرج ، ومع ذلك تقول لي : طول بالك · الحمار والحجر من لا يثور في هذه الايام السود ·

بدا الآن في قمة غضبه وهو يخترق الحشد ويصيح :·يا أبا حسن · يا أبا كلب · يا ابن الزانية · رد علينا ·نحن بشر أم حيوانات ؟ ابو حسن الفران صامت · أخذته الضوضاء والزحام · عيناه تبرقان وهو يرى النقود ترفرف ·

خلال ساعات استمر يوزع أكياس الخبز الورقية · وزعها على مراحل : الاولى للعساكر والشرطة ، والثانية لرجال الامن والمخابرات ، والثالثة لحاملي الكلاشنكوف بعد أن أطلقوا رشقة رصاص ارهابا وانذارا ·

الاصوات تعلو · الاصوات تمتزج محتدمة : الخبز · الخبز · الخبز ·

الايدي المرتعشة ما تزال ممدودة ·

همهمات تحتج على توزيع الخبز غير العادل ·

ابو حسن يخرق الصمت : لم يبق الا الكعك ·

اصوات : اعطنا كعكا ·

الشمس الآن في الضحى ·

فجأة انفجرت المدينة · القنبلة التي سقطت وسط الحشد ، اخمدت الاصوات، بترت الايدي الممدودة · رسمتها اشكالا سريالية فوق الخبز والجدران التي تصدعت ·

كان الخبز الآن منثورا كأزهار القرنفل فوق الجثث ، بينما كان اطفال الآباء المقتولين يحلمون بخبز حار ، يرسمون اشكالا له بلون الشمس ·

٣ ـ غابة الفزع

الرجل الذي ينهب الشوارع جريا ، رجل عريب · وفي هذه المدينة الغرباء مكروهون أو مقتولون · الرجل الغريب المستتر بالليل وجدران الابنية ، قتيل مؤجل ·

كانت جراثيم الكراهية ، تنمو وتنتشر طيلة اشهر الرعب والحقد الاعمى ·

كانت تتغلغل في الشوارع والاحياء والنفوس ، ثم تنطلق لتسمم الريح ، تاركة بصمات الدم على بطاقة الهوية ·

صمت · سكينة المدينة هدوء مقبرة تدفن موتاها بلا طقوس · لقد تحولت المدينة الى غابة ·

بين الثانية والثانية ينبثق برق في جسد كان انسانا ، فيتشظى · هوذا الموت اله المدينة الاعمى يطوف الليل باحثا عن احبائه · الرجل الغريب ، عابر الشوارع يتوجس البرق في الثانية القادمة ·

ان ليل المدينة المرتجف ، يعزف موسيقا جنائزية يرتجف القلب منها ·

ـ في غير مكانها وغير أوانها تندلع الحرب · حربهم !

افكاره وهو يندفع هاربا نحو البيت السعيد ، كانت مفككة · لقد شوشـــه الفزع والشعور بأن طلقة الموت المجاني جاثمة في منعطف ما · فـي المنعطـف القادم : أن يموت في غير معركته ·

وفكر بأن أسعد المخلوقات الآن : الخفافيش والجرذان والصراصير · وداهمته حالة تحول · صار صرصارا ·

كان يدب الآن على الجدران المظلمة · ينعطف نحو الاخاديد والثقوب ، ثم لا يلبث ان يتشمم رائحة البالوعات : لا بد انها اكثر أمانا الآن · ينحدر على حواف البواليع متحسسا بقرنيه مواقع الخطر والامن والمياه الملوثة · بعد أن يعبـر الجدران الملساء العارية ، يفكر بأنه ربما اخطأ طريق النجاة ·

وهو يعبر حافة البالوعة ، يبهره ضوء فيهرب نحو ظل حصاة · يسمع وقع اقدام قادمة فيندفع نحو جذع شجرة · من عب الشجرة يثب هر نحو الارض مذعورا · الصرصار الهارب يملؤه الجزع ·

كان الرجل يهرول الآن ، فارا نحو خرابة مهجورة · عندما يقترب منها تنفجر الارض بدوي هائل يغطيه بترابه المتناثر ·

٤ ـ المسيح يتبرأ

صباح يوم الاحد نزل المسيح ليتفقد المدينة الهلعة ورعاياه · كان قلقا طيلة اعتكافه في صومعته · لقد جاءه الاطفال العراة الجياع والامهات الثكالـى ، والمشردون ، والمشوهون الجرحى ، والذين ليست حربهم · قالوا له : ان كنيستك قد تقوضت ·

دهش يسوع واصابه حزن عميق ، فقرر مغادرة صومعته والنزول الى المدينـة التي تحترق ·

تجول المسيح في الاحياء والساحات والشوارع ، ورأى بعينيه البريئتين كيف تهدمت المدينة واحترقت · بكى ابن الله حتى بلل الدمع وجنتيه الوديعتين ولحيته الجميلة · قال كسيفا : أبي الذي في السماء كيف تحولت المحبة الى رصاص ؟

عندما عاد من المدينة نحو صومعته ، كان وقت منع التجول قد بدأ · انطلـق الرصاص · سار المسيح هادئا باتجاه احد الجدران ليحتمي من النار ·

من الطابق العاشر كان القناص الفاشي يسدد بندقيته ، عندما تطابق صليـب التسديد الاسود مع رأس المسيح ، ضغط القناص على الزناد ·

بالجدار ارتطم جسد يسوع الضعيف · زحف ، ثم تكوم على نفسه فرأى دمه يسيل · مد أصابعه فغمسها بدمه الحار وكتب على الحائط : انا لست مسيحيا · اغفر لي يا أبي الذي ····

طلقة القناص الفاشي الثانية ، أسقطت يد يسوع قبل أن يتمم جملته فهـــوى ميتا ·

٥ ـ الرأس المطلـــوب

القنبلة التي انفجرت في أحد شوارع المخيم ، صهرت الوحل بالدم · تبعتهـــا قنابل راحت تتساقط كقناديل ·

كان المخيم يصد الآن الهجوم المشترك ، مشرعا صدره العاري ورأسه في وجه أحقاد الفاشيست ·

المخيم الصامد صمود ستالينغراد ، يرسم في هذه البرهة المضيئة من الوقت ، علامة النصر بالدم ، ثم يرسم بالوحل تاريخ العار ·

كانت الارض تهتز تحت عنف ووحشية الدوي ، بينما رؤوس الاطفال وأذرع النساء تتناثر كبذار في حقل يحرث ·

بعد هدأة من القصف ، تخترق الطائرات جدار الصوت في سماء بيـــــروت الناصعة ·

شظايا القنابل التي أطلقها الفاشيون ، جمعها من بقي من أطفال المخيـــــم ، قرؤوا عليها : صنعت في اسرائيل ·

بقوة الرعد ينطلق رصاص وزغاريد وراء نعوش شهـــداء كفنـــوا بعلـــم فلسطين ·

يسأل طفل امه التي تزغرد : لماذا بدل البكاء يطلقون النار في جنازة الشهداء يا أماه ؟

تقول الام : نسي الفلسطينيون البكاء · دمعهم تحول الى رصاص يا بني ! يدهش الطفل · يجتاحه انفعال كموج البحر · يرنو الى الجنازة ثم يرفع بصره الى السماء · بابهامه وسبابته يشكل مسدسا ، يســـدده نحـــو الطائـــرات التي تخترق الفضاء : دي · دي · دي · الفلسطينيون لا يبكون ·

باريس ١٩٧٧

معين بسيسو

دفاتر فلسطينية "٢"

الدفتر الثاني

وصلت الى غزة في صيف ١٩٥٣ ، والمناضلون الشيوعيون الذين حوكموا ، كان من المقرر ان يحكم على بعضهم بالسجن المؤبد ، لولا الضابط المصري الوطني (ل٠و) الذي اعتبر في حيثيات الحكم ان عصبة التحرر الوطني في قطاع غزة ، منظمة وطنية وانه يحكم على مسؤولها الاول بخمس سنين وعلى بعض اعضائها بأربع سنوات وسنتين وعلى البعض الاخر ببضعة اشهر ، لانهم لم يتقدموا بترخيص لطباعة وتوزيع النشرات ـ هؤلاء المناضلون الفلسطينيون كانوا جميعا خارج ارضهم في سجون مصر ٠ وعقوبة الفلسطيني الدائمة كانت وما تزال النفي خارج ارضه ، ان يخرج الفلسطيني من ترابه ٠

وغزة التي لوت ذات يوم قرني « شمشون » وأرغمت هذا الثور الاعمى الصهيوني الذي كان في عضلاته اول بذور الصهيونية ، ارغمت هذا ـ القوة الهمجية ـ الذي كان يربط قصاصات النيران في ذيول بنات آوى ويطلقها في زمن الحصاد ، لتحرق قمح اجدادنا الفلسطينيين القدامى ٠

غزة ارغمت هذا الشمشون على ان يفعل رغم ارادته شيئا مفيدا ، ان يجر طاحون المعصرة ، وان يكتب معادلة موته :

ـ الدم الصهيوني ضد الزيت الفلسطيني ٠

وعلى كعب من الكاوتشوك ظهر الكليشيه الاول لنشرة « الشرارة » ٠ وبدأ الحزب نشاطه ٠

هم في دمي ابدا ، فقد كانا كسنبلتي قمح في حقل من الجراد (س٠ب) و

(م٠ن) ٠ فمن يدي هاتين السنبلتين ومن يدي تألفت في غزة اول خلية شيوعية، بعد ان تحولت عصبة التحرر الوطني في فلسطين الى (الحزب الشيوعي الاردني) ، بعد الحاق الضفة الغربية بالاردن ، وتحول اجمل واشجع الشيوعيين الفلسطينيين الى شيوعيين اردنيين :

ـ فؤاد نصار ، عبد العزيز العطي ، فائق وراد واخرون كثيرون ٠

وهكذا كان علينا في قطاع غزة ، المحاصر بين الماء والاسلاك الشائكة ، ان نكون شيوعيين فلسطينيين في قطاع غزة ٠

مسألة التحول من حزب شيوعي فلسطيني (ع٠ت٠و) ، الى (ح٠ش٠أ) اتركها الان وانا في زنزانة في الطابق الثاني من السجن الحربي ـ الطابق الثاني والاخير ـ ٠

□

انا الحائز على شهادة ليسانس الاداب من الجامعة الاميركية بالقاهرة قسم الاداب ، كان علي ان انتظر شهرين لكي اقبل مدرسا للغة الانجليزية في مدرسة « البريج » الاعدادية التي تشرف عليها وكالة التعليم للاجئين الفلسطينيين في قطاع غزة ، ورغم هجرة الاصابع التي تكتب الى الخارج ٠ بدأنا نكبر كشيوعيين ، وانضم الينا عامل كان يوزع مسحوق الحليب المجفف المخلوط بالماء على اطفال المدارس في مخيم « البريج » ، وبعده انضم الينا عامل كان يخلط الاعشاب بالتراب ويصنع القرميد الاحمر في مخيم (النصيرات) ، ورفض أن يلعب بالتراب ٠

فلسطيني من غزة كان اسمه (نمر هنيه) ، كان يحب المطر ويكره الوحل ٠

لم يكن يريد ان يخترع حجرا ، ولكنه كان يريد ان يقول لهم :

ـ ان الحجر المزور اكثر خطرا من ورقة البنكنوت المزورة ٠

ولقد كافأته وكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين في قطاع غزة بالطرد من عمله لانه رفض ان يزور التراب وان يحوله الى حجارة قرميد ٠

بدأت اعلم ابناء الفلسطينيين اللاجئين في مخيم البريج اللغة الانجليزية ٠ ولكنني كنت اعلمهم لغة اخرى ٠

المؤامرة ضد الفلسطيني بعد ١٩٤٨ كانت تبدأ دائما بالمخيم ، كانت المخيمات حتى وهي خالية من السلاح ، تشكل خطرا دائما على اولئك الذين يريدون ان يشطبوا هذه الرقبة الفلسطينية ، تلك الاصابع ، وهذا الفم ٠

ففي المخيم علق الفلاحون المطرودون من قرى الجنوب ، والذين جردهم « المواوي باشا » من اسلحتهم ، علقوا شراشرهم في سقوف الطين المزورة وانتظروا طويلا ان يعودوا الى اشجارهم واخذوا يحتالون على انفسهم ، فزرعوا الاشجار في المخيم ، زرعوا الدالية ولكن عنقود العنب في قرية (بربرة) يختلف عن عنقود العنب في مخيم (المغازي) · والمفاتيح الخشبية والحديدية التي حملوها معهم من بيوتهم القديمة ، طال الوقت عليها ، لقد تحولت الى مسامير في عظامهم ·

وبدأوا يتكلمون · بدأ صوت الشرشرة ، وصوت المفتاح الخشبي ، وصوت عنقود العنب المزور يرتفع · لقد تم طرد شعب من ارضه · صحيح ان القرى والمدن تحولت الى مخيمات ، ولكن اللاجئين قد تجمعوا · ولقد حاولت وكالة الغوث ابادتهم بالماء ، ولكنهم في الشتاء عرفوا كيف يحولون اجسادهم الى سفن صغيرة ·

كانوا يعرفون دائما ان اعداءهم ضد الاصابع الفلسطينية ، الاصابع التي تضغط على الزناد او الاصابع التي تضغط على اصابع الطباشير ·

وارسلوا اولادهم لكي يتعلموا في العراء ، وارتفع صوت اليد الفلسطينية التي تعلم · تحولت الصحارة الى لوح ، وبقطعة من الكلس كان المدرسون يكتبون على تلك الالواح التي صبغوها بأيديهم · وبدأوا يعلمون الاطفال · وبدا الامل يدب · فحينما كان الطفل الفلسطيني في مخيم (البريج ، النصيرات ، المغازي ، الرمال ، جباليا ، رفح وخانيونس ، دير البلح وبيت حانون) ، حينما كان الطفل يمسك بالقلم ويظهر صوته فوق الورقة ، كان الاب يحس ان لحمه قد بدأ يخضر وان يده ستحمل السلاح ذات يوم · الابن يضغط على القلم والاب اصبح يحلم بالضغط على الزناد ·

آخر الشهر كانت مكافأة المدرس : حزمة من البصل ولفة من السمك المقدد · ورغم ذلك فقد واصل المدرسون في المخيمات الكتابة بالكلس · ولم يتركوا اصابع الاطفال الفلسطينيين قصاصات من الاوراق في الهواء ·

من قطعة الكلس ، ومن الواح الخشب الرديئة ومن الدفاتر الرديئة ومن الحليب المخلوط بالماء ظهر المدرسون الفلسطينيون الذين مضوا يعلمون بالقلم في شرق وغرب وشمال وجنوب الارض العربية · لم يموتوا ولكنهم تحولوا الى تلاميذ · وعند العصر وحين كان يعود التلاميذ بكتبهم ودفاترهم ، كانوا يعلنون انتصارهم على الجراد الابيض الآتي في الصناديق الاميركية ·

وكان على المؤامرة ان تأخذ وجها جديدا ، وبدأت الصحف المصرية تكتب عن المخيمات ، عن مستشفى السل في البريج ، عن هذه العصافير الفلسطينية التي

تشبه رقابها الخيوط · لقد بدأ التحضير لتنفيذ المؤامرة · وهنا بدأ عصر الغارات الاسرائيلية على المخيمات ، في الوقت الذي اكتشف فيه قباطنة وكالة غوث اللاجئين جزيرة وسط رمال سيناء تصلح لتوطين واسكان اللاجئين في قطاع غزة ·

وهكذا بدأت اول غارة اسرائيلية على مخيم البريج · كان لا بد من تفكيك المخيمات وترحيلها الى سيناء · وهكذا حينما توقف بنا الباص في ذلك الصباح امام بوابة مدرسة البريج الاعدادية للاجئين كانت الغارة الاسرائيلية قد تم تنفيذها : ٣٦ قتيلا وعشرات الجرحى والبيوت التي تم نسفها · ومن بوابة مدرسة البريج الاعدادية خرجت التظاهرة الاولى · طردنا الشرطة من مركز بوليس البريج واندفعنا الى مخيم النصيرات ، وجردنا جنود المباحث من اسلحتهم ، كانوا يكتبون التقارير بأقلامهم ضد المخيمات في حماية بنادقهم ·

وحينما رأت الفلاحات في مخيم النصيرات البنادق في ايدينا ، انطلقت الزغاريد ·

الفلاحة الخرساء ، جعلتها البندقية تنطق حينما رأتها في يد ولدها · في اليوم الثاني ظهر جاويش المباحث « العكاوي » وقد ربط وجهه ، اصابه حجر احد الاطفال فوق انفه تماما ، هذا الانف الذي كان يكره دائما رائحة اللحم الفلسطيني · ظهر في مخيم النصيرات وكنا في سجن غزة المركزي · كانت المرة الاولى التي ادخل فيها السجن · وهكذا جمعتني الزنزانة مع طلابي بعد ان جمعتني بهم حجرة الدراسة ولمدة شهرين في مدرسة البريج الاعدادية ·

ـ التهب دمهم فتظاهروا ·

هكذا كان يقول بعض المعتدلين ·

ـ معركتنا ليست من اجل المخيمات ولكن من اجل القرآن ·

ـ كانوا ضد القرآن وضد « فتحي البلعاوي » ايضا ·

ـ اطلقوا سراحهم ولكن ابعدوهم عن المدارس ·

وهكذا وجدت نفسي مطرودا من مدرسة البريج · ولكن الحزب كان قد اخذ يمشي في المخيمات ·

الشيخ « عز الدين » كان اخا مسلما ولكن من طينة اخرى ، فقد جمع طلاب الفصل الابتدائي وقادهم من شط النصيرات الى شط غزة وهو يخاطبهم :

ـ انها رحلة في سبيل الله واخيكم « معين بسيسو » ·

واعتقلوا الشيخ « عز الدين » وتركوا التلاميذ ، لم يتعلموا في ذلك الوقت

كيف يعتقلون الطفل الفلسطيني في السابعة او الثامنة من عمره ٠

غير ان الاطفال الفلسطينيين الذين علمهم الشيخ عز الدين كيف يقطعون المسافة بين شط النصيرات وشط غزة ، اطفال تظاهرة البريج ، اصبحوا فيما بعد يقطعون نهر الاردن والبنادق في ايديهم ٠

وهكذا بعد تظاهرة البريج وجدت نفسي كاتبا في ورشة سيارات الوكالة في غزة ـ الاميون ـ خلعوني من بين التلاميذ وزرعوني بين العمال ٠ وهكذا بدأت علاقتي بطيور البجع ٠

في عربة « لوري » ، كنت امضي في الخامسة والنصف صباحا الى الورشة ، مع العمال الميكانيكيين ، وكان علينا ان نسبق موعد انطلاق الباصات ، لحمل المدرسين والمدرسات الى مدارس الوكالة ٠

كنت ألف الفطور في ورقة جريدة وامضي لانتظار اللوري على رأس الشارع المواجه لبيتنا في منطقةالرمال بغزة ٠ وكمن يخبىء ديكا في صدره ، علمني العمال الميكانيكيون كيف اصحو تماما عند الخامسة ٠

على كومة من الرمال ، كنا نجلس ، نفتح اوراق الجرائد ونتناول طعام الفطور ، وهكذا اصبح يجمعنا معا رغيف واحد ٠

كان الميكانيكيون يحاولون ان يخففوا عني الى اقصى حد وطأة عذاب العمل في الورشة ، ولكنني افهمتهم انني سعيد بوجودي معهم ٠

بعضهم كان لا يفهم ، كيف اقبل بوظيفة كاتب في ورشة ، وانا خريج الجامعة الاميركية والطريق مفتوحة امامي الى خارج القطاع ٠

في ذلك الوقت كان « سعد حمزة » حاكم غزة العسكري ، ومدير المباحث العامة ايضا ، يذهب الى المخيمات الوسطى ـ البريج ـ النصيرات ـ المغازي ـ ويصرخ في اللاجئين :

ـ الافضل ان تذهبوا الى سيناء في اللوريات بدل ان تذهبوا اليها مشيا على اقدامكم ٠؟

وقلت للعمال ، ان ذهابي الى الخارج كذهاب اللاجئين الى سيناء ٠

واخذ العمال يصغون الي اكثر ٠ احدهم كان ميكانيكيا بارعا ، ولكنه لا يعرف الا اللغة العربية ٠ فطلبت منه ان اعلمه اللغة الانجليزية ، فوافق بفرح ٠ وانضم اليه عاملان ، وهكذا تحولت الورشة الى حجرة دراسة ٠

اعطيت لاحدهم نشرة « الشرارة » كنا لا نزال نطبع الكليشيه بواسطة كعب الكاوتشوك ، ولا نزال نكتب بقلم الكوبية . وكنا ما زلنا نستخدم الكربون ، في

اليوم التالي ارجع لي « النشرة » ـ كنا دائما نسترجعها ـ حتى لا تتسرب نسخة الى البوليس ٠

مد يده بها وقال :

ـ هل الى هذه الدرجة تحبون العمال ، وانا اقرأها أحسست بالخوف ، فكيف الذي يكتبها ويوزعها ٠٠؟

اجل ايها الرفيق ، لقد اصبح نصف لحمنا من الورق ، من اجل ان تقرأ مـا نكتب ٠ وكان الورق عزيزا وصعبا ٠ فالمكتبات كلها تحت الرقابة البوليسية ، وكان المطلوب من كل صاحب مكتبة ، ان يبلغ البوليس عن اية لفة مـن الورق يبيعها ٠

وحل الرفاق المدرسون المشكلة ، فصرنا نستورد الورق والحبر والكربـون واقلام الكوبية ، من مخازن مدارس الوكالة ٠

اربعة اشهر في الورشة ، كان يناضل فيها ـ خليل عويضة ـ المشرف على التعليم في مدارس اللاجئين ، هذا الصافي والصلب كحجر الماس ، من اجل اعادتي ثانية الى الطلاب ٠ ونجح اخيرا ، صدر القرار بنقلي من الورشة الى مدرسة « جباليا الاعدادية » ٠

كانت نشرة « الشرارة » قد طارت في ذلك الوقت الى مصر ، وقدمت تظاهرة البريج ، اوراق اعتمادها الى الشيوعيين الفلسطينيين والشيوعيين العرب ، وقرروا مساندتنا ٠

وجاء (خ ٠ ش) من القاهرة ، وكان يحمل اجمل هدية ، يمكن ان يحملهـا شيوعي الى شيوعيين في مثل ظروفنا ، وكانت الهدية ، آلة رونيو بدائية ٠ ومع ذلك فقد كانت شجرة الحزب ، التي تم بها طبع منشور الحزب التاريخي والذي تنبأ فيه بمذبحة ٢٨ فبراير ١٩٥٥ ٠

واتخذنا قرار عقد اول مؤتمر للحزب ، فعصبة التحرر الوطني ، اصبـح اسمها ، الحزب الشيوعي الاردني بعد الحاق الضفة الغربية بالاردن ٠ واعضاء العصبة في الارض التي احتلتها اسرائيل اصبحوا في حزب (راكاح) ، ولم يبق غير الشيوعيين الفلسطينيين في قطاع غزة ٠

واعددنا اللائحة الداخلية للحزب ، والبرنامج المرحلي ، والذي كان على رأسه اسقاط مشروع سيناء ، والذي كان وقد وقعه وزير الخارجية المصري : محمود فوزي ، وبالحروف الاولى ، مقابل حفنة من الدولارات ٠

وانعقد المؤتمر الاول في اواخر عام ١٩٥٣ ، في بيارة (خ ٠ ش) ٠ كنـا

خمسة مندوبين ، وتمت الموافقة على اللائحة الداخلية ، وعلى البرنامج السياسي المرحلي ، وشكل المندوبون الخمسة ، لجنتهم المركزية الاولى ، وانتخبت سكرتيرا عاما لها ، وهكذا تم التحول التاريخي من (ع٠ت٠و) الى (الحزب الشيوعي) في قطاع غزة ٠ وتم الانتقال من ورق الكربون الى ورقة « الستانسل »

ودارت آلة الرونيو ٠ وقدمت الطاحون التي كنا نلقي فيها ورق الستانسل والحبر ، الرغيف الجديد للحزب وانضم رفيقان جديدان للحزب ، انهيا مدة الحكم عليهما : الرفيق « فايز الوحيدي » ، هذا المناضل العزيز ، الذي حينما توقف به القطار عند محطة رفح الفلسطينية ـ بعد الافراج عنه ـ نزل من العربة يستند الى ذراع سجانه ، وسقط فوق الارض ، وراح يمسح وجهه بالتراب وهو يصيح :

ـ آه ايها التراب الفلسطيني ٠

اما الرفيق الآخر فكان « عبد الرحمن عوض الله » ، لقد عاد من السجن ، دخله طالبا صغيرا ، فعاد يحمل شهادة التوجيهية ، درس في السجن ونجح ، كان ابن مخيم النصيرات ، واجمل من شهادة التوجيهية التي عاد يحملها ، كان صوته الشيوعي ٠ وفور الافراج عنه ، جاء الى الحزب ، وقدم يده وصوته ودمه ، هذه شهادة ٠ اجل ، فالقبطان فوق السفينة هو الذي يقوم بمراسم الزواج ، والسفينة تمضي الآن في البحر ٠

□

الحصار اخذ يشتد من اجل تمرير مشروع سيناء ، وكالة الغوث من جهة ، ومعها بعض المخاتير في بعض المخيمات ، والذين اختاروا ان يقدموا عيون الاطفال الفلسطينيين في المخيمات ، بيضات مسلوقة للمخابرات المصرية وغيرها ، والحزب الشيوعي واصدقاؤه الوطنيون ، ومنهم ـ عبد الله ابو سته كان المسؤول عن اللاجئين الفلسطينيين ، اعطوه مكتبا من الخشب في مواجهة مركز البوليس ، لكي يظل في حالة تهديد دائم ٠ كان علينا ان نذهب الى المخيمات ، والى الفلاحين الذين تحولوا الى « متسللين » وكانوا من فلاحي غزة ٠ كان الواحد منهم ، حينما يرى الزرع ينمو في ارضه ، وراء الاسلاك الشائكة ، كان يمضي ويقص بأصابع يده الاسلاك ، ويمضي لزرعه ٠

حينما تتوقف الطاحون ، فهذه ليست ابدا دليلا على خيانة القمح ٠

صهيوني دبر حالك نفدوا الثوار ٠

معهم فوزي القاوقجي ، البطل المغوار ٠

اشرعة السفينة تطرد هذا الصوت :

ـ ما اكثر ابناء وبنات آوى ، في تاريخ الشعب الفلسطيني ٠

عبد القادر الحسيني ، يعود من دمشق ، في اصعب الايام عام ٤٨ ، كل ما اعطوه له كان رصاصا فاسدا كعيونهم تماما ، رصاصا فاسدا كعيونهم ، وقنابل فاسدة كقلوبهم ، كان معه : ـ فخري مرقه ـ جر كيس الذخيرة الفسدة والى جانبه كان فخري مرقه ، وراح عبد القادر الحسيني يصيح :

ـ لا بد ان يموت شيء معروف للناس ، لكي يعرف الشعب وجه ويد المؤامرة ٠

كان يردد تماما ما كان يقوله لنا فؤاد نصار ، كان ينظر الى عامل مصـــري مسحوق من العريش :

ـ انهم سيدخلون « بجيوشهم » من اجل ان نتحول الى لاجئين ، تماما مثل هذا العامل من العريش ٠

الفلاح من غزة ، يقص بأصابع يديه الاسلاك الشائكة ، ويذهب لزرعه ، يعود بحزمة سنابل ويسقط مثقوبا بالرصاص ، وفي صباح اليوم التالي يعلنون : عن قتل متسلل ٠

لم يكن كل شيء هادئا في الميدان الغربي في غزه ٠

اول لقاء بالفلاحين من غزة ، كان في بيارة : الشيخ علي دلول ٠ كان مصابا بصداع دائم ، ولكنه كان يريد ان يكون شيئا جديدا ٠ وعرفني من خلال تظاهرة البريج ، فأراد ان يلتقي بي ٠ والتقيت به ، كنت مع رفيق ، كان اباه وجده لامه وابيه من الفلاحين في غزة : (أ٠ج٠م) ٠ كان الشيخ علي دلول قد احضر شاعرا بربابته الى ديوانه في البيارة ٠ حينما يشتد العذاب يذهبون الى الشعراء ، تماما كما نمشي الى الله حينما نركب الطائرة ٠

وبدأ الكلام عن مشروع سيناء ، وبالنسبة الى الفلاحين ، فالارض التي تحت اقدامهم ، الارض التي يروونها ، الارض التي يشقونها بالمحاريث ، ويلقون فيها بالبذور ، الارض التي يترعرع فيها الزرع ، الارض الموجودة برائحتها ، هي الارض المقنعة ، كانوا فلاحين من غزة ، ولكنهم كانوا ضد ان يذهب اي فلاح ـ خارج قدميه ـ ٠

ـ انه الموت بالنسبة للفلاح ، ان يمشي خارج قدميه ، وخارج يديه ٠

والفلاح دائما كالديك ، يصيح بحوصلة مملوءة بالقمح ، ويصيح بحوصلـــة فارغة ، وما اكثر ما علموه الصياح وحوصلته فارغة ٠

الفلاحون كانوا ، مع كتابة مذكرة ضد مشروع سيناء ، كانوا مع المذكرة التي

كتبتها ، وكانت موجهة الى الحاكم الاداري العام في قطاع غزة ٠

ورفع « الشاعر » ربابته وصاح :

ـ هذا لا يجوز ، لا يمكن مخاطبة اصحاب الامر بهذه اللغة ٠

كان يرهب الفلاحين بربابته ، بصوته ، بحركات يديه ، وفوق كل هذا فقد كان يرهبهم « بالزير سالم » ٠ عندها صرخت :

ـ لو كان الزير سالم معنا ، لوقع هذه المذكرة ، ضد مشروع سيناء ٠

وسقطت الربابة من يد الشاعر ، كان يريد ان يظل يعيش بصوته على امجاد الزير سالم ٠ من يدري ، ربما كان الزير سالم ضد مشروع سيناء ٠ ووقع الفلاحون على المذكرة ، بعضهم « بصم » ، وبعضهم اخرج « الختم » ، والقليل وقع ٠

وعدت في منتصف الليل ، تحت المطر ، وانا احمل بصمات واختام وتوقيعات الفلاحين ، فوق اول مذكرة ترفع لمسؤول مصري ، وهو الحاكم الاداري العام لقطاع غزة ، ضد مشروع سيناء ٠

بعد ايام ، رأى الفلاحون توقيعاتهم ، رأوا اسماءهم واختامهم ، وفرحوا رغم تهديد المباحث والمخابرات لهم ، بشطب اسمائهم من المذكرة ٠

وبدأت عملية جمع الاسماء ضد مشروع سيناء ، واذا كان المخيم هو الرئة ، فالمدرسون في المخيم هم الهواء ٠ وبدأ تجميع الهواء ضد مشروع سيناء ٠ بدأ التحضير لجمع المدرسين والمدرسات في مدارس وكالة غوث وتشغيل اللاجئين في نقابة واحدة ٠

الهواء والرئة ، وكان علينا ان نتنفس وبشكل علني ٠ ورحنا نحضر لاول نقابة للمدرسين والمدرسات في قطاع غزة ٠

فتحي البلعاوي ، كان قد وصل الى قطاع غزة ، كان الاخوان المسلمون يراهنون عليه كحصان ذي جناحين يطير ولا يمشي ، ولكن ـ فتحي البلعاوي ـ حينما كان عليه ان يقرر ان يقف فوق الارض او فوق الهواء ، اختار الارض ٠ وهكذا اصبح فتحي البلعاوي في القلب ٠

مثل اخي ـ ابن امي وابي ـ كنت احبه ـ ولا زال ـ وكنت امسك بيده واذهب الى امنا واقول لامي :

ـ يجب ان يتزوج فتحي البلعاوي ٠

كان الحزب قد اتخذ قراره ان يخوض انتخابات نقابة المعلمين ، وبصوته

الخاص ، بيده الخاصة ، وعلى ارضه ، رغم اننا كنا نعلم جميعا ، ان الانتخابات ستاتي بأغلبية « فتحي البلعاوي » · ونجحت في انتخابات النقابة ، المدرسون من الاخوان المسلمين اعطوني صوتهم ، لانهم كانوا يريدون صوتا ما يرتفع باسمهم ، فلقد اختاروا ـ فتحي البلعاوي ـ صوتا لهم ، لان المطلوب في ذلك الوقت ، لم يكن الوقوف ضد معاوية بن ابي سفيان ـ في التاريخ ـ ولكن ضد مدير المباحث ـ في الجغرافيا ـ في قطاع غزة ·

واخترنا مقر النقابة ، في مواجهة ادارة الحاكم لقطاع غزة · كان البيت الذي اخترناه منخفضا ، فقررنا ، صنع سارية طويلة ، نعلق فيها العلم الفلسطيني ·

التنظيمات الاخرى ، لم تكن ، قد خرجت من البيضة بعد · كانت لا تزال في « دور التفريخ » · بعدها ، خرجت تلك الصيصان من البيض عام ١٩٥٩ ، لتشعل النار في مدارسنا ، ولكي تطالب بهتاف ضد « عبد الكريم قاسم » وضد الشيوعية ··· ؟

□

وانعقد المؤتمر الثاني للحزب ، اصبحنا ثلاثة عشر مندوبا في المؤتمر ، وخلايا الحزب اصبحت في كل المخيمات ·

والمؤتمر الثاني انعقد ، في بيارة ايضا ، في بيارة الرفيق « فايز الوحيدي »· وللمرة الثانية ، انتخبت ، سكرتيرا للجنة المركزية · وفي ذلك الوقت ايضا ، اصبحت ناظرا لمدرسة جباليا الاعدادية ·

وطني لن نهاب
الصعاب والعذاب

هكذا كان التلاميذ يقفون فوق منصة الاسمنت في ساحة مدرسة جباليا وينشدون ، اول نشيد كتبته لهم · « خليل لبد » ، كان يقود تلك الجوقة ، اين هو الآن ··· ؟

وكان يوم افتتاح نقابة المعلمين لمدارس اللاجئين يوما مشهودا في تاريخ غزة ·

ارسمي من دمي ومن اصفادي
يا ايادي خريطة لبلادي ···

كان رجال المباحث والمخابرات يحيطون بالدم وبالخريطة ، وفي ايديهم الاصفاد حول مبنى سينما السامر في غزة ، حيث اقمنا يوم الافتتاح ·

الضحايا قد عانقتها الضحايا
والايادي تشابكت بالايادي

فنهـــوضا الـــى النضـــال نهـــوضا
لا يعيـش البركـــان تحـــت الرمـــاد ...

بعدها خرج المدرسون والمدرسات في تظاهرة من بوابات سينما السامر في غزة ، وحينما رأى جنود المباحث والمخابرات الدم فـوق الاصـابع ، سـقطت الكلبشات من ايديهم ، وهربوا ٠

كان عصرا فلسطينيا كبيرا ٠

لم ترض المباحث ولا المخابرات ، على نتيجة الانتخابات لنقابة المعلميـن ، ورغم ان اومباشي المباحث « موسى ابو قنيبه » كان هو المشرف على صناديق الانتخاب ، وكان يتولى عملية الفرز ٠

اطلق لحيته بعد ذلك ، ربما احتجاجا على انتخابي ، او انسجاما مع طلـب العضوية للاخوان المسلمين ٠

غير ان الناس في القطاع ، كرهوا هذا الاومباشي اكثر ، وبالذات بعـد ان اطلق لحيته ٠ فالفلاحون يحبون لحية الارض ، يحبون ان تطلق الارض لحيتها او شواربها ، ولكنهم لا يحبون لحية جندي المباحث ٠ لا يحبونه ، لا عريان ، ولا مكسوا بالشعر ٠ فالمباحث كانوا دائما قمل الفلاحين ٠

□

كنت احمل « نشرة الشرارة » ، الى الشيخ ـ محمد خلوصي بسيسو ـ ليرحمه الله كثيرا ، فقد علمني الكثير ٠ فعمي احمد القاني في البحر ، وهـو القاني في الحبر ٠

ـ اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ٠

كان يصيح شيخي ، كلما قدمت له نشرة الشرارة ليقرأها ، كان قاضي غزة الشرعي ، فكيف يقرأ ما يكتبه الشيوعيون ٠

يرفض الشرارة علنا ، ولكنه حينما يأوي لغرفته ، كان يخرجها من تحـت وسادته ، يقرأها اكثر من مرة ويهمس في وجه صديقه : جعفر فلفل :

ـ هؤلاء الشيوعيون ، انهم يعرفون كيف يكتبون ٠

كأنه اراد ان يكافئني ، ويقول لي :

ـ استمر ٠

اهداني كتاب « طوق الحمامة » لابن حزم · كان مخطوطا نادرا ، وصادرته المباحث ، لانه كان كتابا مكتوبا بخط اليد ، ولا بد ان يكون منشورا ··؟

الكتب المطبوعة ، كانت هي الكتب الشرعية بالنسبة لهم ·

كان شيخي يريد ان يقول لي :

ـ اقرأ ابن حزم ، وسوف تفرح كثيرا ، لا توجد ابدا قضية بدون عشق ، ولا ثورة بدون فرح ·

لو عاش لقال لنا اكثر ، وبكيت كما لم ابك فوق رأسه ·

كنت امشي اليه دائما ، وكان يقول :

ـ اجمل من السباحة في البحر ، السباحة في زذاذ المطر · تذكر هذا دائما ·

كان يقول لي هذا وهو يهزني بيديه من كتفي :

ـ لن تخترع حرفا جديدا بعد حرف (الالف) ، فحرف (الباء) موجود ، ولكن حاول ان تتصور شيئا ما ، لا بين الالف والباء ، ولكن بعد الحروف كلها ، حاول ان تتصور وحذار ان تكتب ·· ؟ بعد اللغة يوجد الشاعر صورة ، وهو قبلها يكون اسما ··

وحينما توجد آلة الرونيو ، يكون المنشور وهو قبلها كان ·

بواسطة صديقة للحزب ، تمكنا من الحصول على تقرير مشروع سيناء ، الذي كتبه خبراء الوكالة ، وكان تقريرا وقحا ومشؤوما ، ورغم اعتراف المهندسين في الوكالة ـ عن استحالة الحياة في تلك القطعة من جهنم ـ في سيناء ـ لقلة المياه والتكاليف الباهظة لاستصلاح الرمال ، ورغم ما كتبه الاطباء عن الامراض التي ستداهم اللاجئين ، والتي ستهدد حياتهم ، وبالذات حياة الاطفال ، حيث لا تستطيع لا عيونهم ولا رئاتهم تحمل ذلك الهواء المثقل بالغبار ، الا ان التقرير حمل موافقة الخبراء على المضي في تنفيذ المشروع ، ولكنهم اقترحوا ان تتم التجربة على عشرين الف لاجيء ، يدرس الخبراء بعدها على الطبيعة ، ارسال الدفعات الاخرى من اللاجئين ···؟

وصدر قرار الحزب ، بطبع التقرير وتوزيعه على كل الشخصيات الوطنية في القطاع ، وفي الوقت نفسه ان يقوم المدرسون الشيوعيون واصدقاؤهم الوطنيون ، بتحويل حصة التاريخ ، الى حصة فضح لتقرير مشروع سيناء ·

قرر الحزب النزول الى المخيمات بمنشور جماهيري ، وكان هو المنشور الجماهيري الاول للحزب ، وبعد غياب اكثر من خمس سنوات ·

وكلفت من (ل٠م) بكتابة المنشور فوافقت (ل٠م) عليه ، وسلمته للرفيق (٩٠ف) مسؤول الجهاز الفني ـ عضو اللجنة المركزية ـ لطباعته ، وكنا قد حددنا يوم توزيع المنشور وكان ذلك في منتصف فبراير ١٩٥٥ ، الساعة السابعة مساء ، وكان على رأس القرار ان يقوم اعضاء (ل٠م) ، بتوزيع المنشور مع كافة الرفاق ، واستثنينا فقط الرفيق فايز الوحيدي ، لعجزه عن الحركة ٠

في اليوم التالي جاءني الرفيق مسؤول الجهاز الفني ، واعلمني ان آلة الرونيو لا تعمل ، وقررت النزول بنفسي لفحص الجهاز ، ورغم معارضته الشديدة ، وانه لا يتحمل مسؤولية ظهوري في حارة « الفواخير » حيث كان يقيم ٠

في حارة الفواخير ، وتحت حوض من الاسمنت ، فوقه حنفية ، كانت آلة الرونيو ممددة ، كفلاح ينتظر يوم القيامة ، لكي يعود يحرث الارض ٠

تركني (٩٠ف) وحدي في الحجرة الوحيدة في البيت وخرج وهو لا يزال يردد :

ـ لم يصدر قرار من (ل٠م) بأن تقوم بطباعة المنشور وانت السكرتير العام للجنة المركزية ٠

ولكن المؤامرة كانت قد اصدرت قرارها وبدأت العمل ، وجربت الآلة ، وخرج اول منشور من بطن ورقة الستانسل ، خرج وهو ينطق ٠

المنشور يتبعه المنشور ، والآلة تعمل ، والليل يتقدم ، وكلما كان النعاس يأتي الي من رائحة الحبر ، كنت احس بالهواء المثقل بالغبار القادم من سيناء يقتحم النافذة ، فأتذكر انه سيكون مسامير الرمل في رئات اطفالنا ٠

بعد منتصف الليل ، انتهيت من طباعة المنشور ، عشر ساعات وانا وراء ذلك الصندوق من الخشب ٠ الحجرة كلها كانت مغطاة بالمنشورات ، لكي تجف ، وبين هذه المنشورات رقدت ، لاصحو عند الفجر ٠ في سلتين كبيرتين ، وضعت المنشورات ، واكتشفت ان بصمات اصابعي كانت على عدد كبير من المنشورات ولكن ما الذي يمكن عمله ، والصباح يتقدم ولم يطل ترددي ، ملأت السلتين وكان غطاء كل سلة من ورق التين ، من ورق تلك الشجرة صديقة الاطفال ذات الطفولة النادرة ، التي تخبىء يد الحزب الآن ٠

وخرجت بالسلتين من حارة الفواخير ، ولم يتصور احد من الذين رأوني اعبر الحارة ان في هاتين السلتين تلك المناشير التي ستلعب بعد اسبوعين دورا تاريخيا في حياة قطاع غزة ، وان يوما قريبا سيجيء يعلن فيه « جمال عبد الناصر » ان يوم ٢٨ فبراير ١٩٥٥ ، كان يوم كسر احتكار السلاح ٠ وتم توزيع المنشور في الوقت المحدد تماما ، من بيت حانون الى رفح الفلسطينية ٠ رفيق

وضع المنشور في صندوق بريد الحاكم الاداري العام لقطاع غزة ، ورفيق آخر رماه فوق حائط مدير المباحث فسقط في ساحة البيت ، ورفيق ثالث ألصقه فوق حائط امام مركز الباصات الرئيسي في غزة ٠

بعد توزيع المنشور ، وفي الطريق الى بيتنا ، اعترضني احد تلاميذي القدماء في مدرسة البريج ، لقد ترك المدرسة ليعمل شيئا ما ، فأعطاه والده كل ما يملك ، ثلاثة او اربعة جنيهات مصرية ، فاشترى صندوقا خشبيا وبعض برطمانات الدهان وفرشاتين ، كانت الدموع تطفح من عينيه ، نكبة ما حلت بأسرته لا اذكرها الآن ، ولكنني اذكر انه كان في حاجة الى ثلاثة جنيهات او يكون مرغما على بيع صندوقه الخشبي ٠ كيف اقول له انني وانا ناظر مدرسة البريج الاعدادية لم اكن املك الجنيهات الثلاث ، وما زلنا في منتصف الشهر ٠٠٠ ؟

وبشكل تلقائي خلعت حذائي وقدمته له ، وكان حذاء جديدا ، ارسله لي اخي من الكويت ، وكان اول مرة امشي به ، هو هذه الليلة احتفالا بتوزيع المنشور ٠

ـ خذه بعه ، انه يساوي جنيهين او ثلاثة ، هذا كل ما املك ٠ واخذه الصبي ومضى ٠٠٠ وعدت الى البيت بجوربين مرصعين بالوحل ٠

بعد اطلاق سراحي في تموز ١٩٥٧ ، جاء والد الصبي للتهنئة ومعه ديكان ٠

ـ يا الله ، الحذاء يتحول الى ديكين ٠٠٠ ؟

في الصباح ، عقد شرطة المباحث والمخابرات اجتماعا مشتركا ، وقد اشعل المنشور النار في عيونهم وايديهم ٠ لم يتصوروا ابدا ان وثيقة خبراء الوكالة حول مشروع سيناء ستصل الى يد الحزب ، وانه سيترجمها ويطبعها ويوزعها في منشور ٠

وقاموا بحملة تفتيش مسعورة ، ولم يكتفوا بقلب كل شيء في الحجرة ، بل قاموا في بعض البيوت ، بحفر الارض ، وفي احد البيوت خلعوا البلاط بحثا عن آلة الرونيو ٠

ولكن آلة الرونيو كانت هناك تحت حوض من الاسمنت مملوء بالماء ٠٠٠ والحنفية فوق الحوض كانت ترشح قطرة قطرة ٠٠٠ تسقط فوق حوض الاسمنت كأنها هي الاخرى كانت تطبع فوق الاسمنت منشور الماء ٠

في ليلة ٢٨ فبراير ١٩٥٥ حدثت الغارة الاسرائيلية على محطة السكة الحديد في غزة ، لقد بدأ تنفيذ المؤامرة ، وكان صباح اول مارس صباح مئات الالوف من رفح حتى بيت حانون والتي انطلقت ايديها تصيح :

« لا توطين ولا اسكان

يا عملاء الاميركان » ٠

الدفتـــر الثالث

انهم يجلسون على الارصفة ، ويتوهمون أنهم يعرفون كل الذي يجري فـــي الكابيتول · ولكن الجماهير في غزة التي كانت تمشي فوق الارصفـــة ، كانت تعرف الذي حدث في محطة السكة الحديد في غزة · عشرات الجنود المصريين والسودانيين تم ذبحهم بالسناكي وآخرون قتلوا تحت الانقاض · واللاجئـــون الذين تظاهروا في مخيم البريج ضد الغارة الاسرائيلية التي كان ضحيتهـــا عشرات الفلسطينيين ، يتظاهرون الآن ضد الغارة الاسرائيلية على محطة السكة الحديـــد في غـــزة ·

كأن الاسرائيليين أرادوا ان يقولوا :

ـ ليس هناك من يحميكم من مشروع سيناء ·

وأخطأت الساقية الاسرائيلية الحساب فلم يمش اليهـا ، الحليب المغشوش بالماء في حواصل أطفال اللاجئين ·

من مدرسة فلسطين الثانوية الرسمية في غزة ، ومن لجان الطلاب الوطنية انطلقت التظاهرة الاولى · تجاوزت مركز البوليس العام في الرمال وانضـــم اليها بعض الاهالي وهي في طريقها الى شارع عمر المختار · وحينما نظر اليها كل من سعد حمزة مدير المباحث والحاكم الاداري العام لغزة ، ومصطفى حافظ مدير المخابرات العامة ، ابتسم كل واحد منهمـا للآخر وعـاد الى مكتبه وهـو يقـــول :

ـ انهم مجرد طلاب يتظاهرون لانهم يرفضون الاجابة على أسئلة الامتحان الصعبة ٠

غير أن طلاب مدرسة فلسطين والذين كانوا الشرارة الاولى للتظاهرة ، لم يهربوا من أسئلة الامتحان ٠ وناهض الريس أحد قادة التظاهرة الطلابية كان يصيح وهو يردد الشعار الذي أطلقه الحزب :

ـ كتبوا مشروع سيناء بالحبر ٠

وسنمحو مشروع سيناء بالدم ٠

كنت مع مجموعة من الرفاق المدرسين والطلاب قرب مستشفى (تل السكن) أو المستشفى الانجليزي الذي أطلقوا عليه فيما بعد مستشفى تل الزهور ٠

عشرات الجنود المصريين يخرجون من عربات الاسعاف فوق النقالات ٠ أحد الرفاق بادر وحملني على كتفيه ، والتف طلاب مدرسة فلسطين الثانوية حول الذي ارتفع فوق الكتفين ٠ سائقو السيارات الخاصة والباصات في ساحة التاكسيات انضموا للتظاهرة ٠ بعض الدكاكين أغلقت أبوابها وانضمت بزبائنها ٠

من الذي يقول أن الجماهير لا تحب الموسيقى ، حتى وهي تتظاهر وتواجه بنادق البوليس ؟؟ ويرتفع الصوت :

ـ « لا توطين ولا اسكان يا عملاء الاميريكان ٠ »

في هذا الوقت أبلغ مسؤول اللجنة الطلابية في مدرسة فلسطين الثانوية ، مسؤول اللجنة الطلابية في كلية غزة بقرار التظاهرات المفتوحة الذي اعلنه الحزب ، ونفذ طلاب كلية غزة قرار الحزب وانضموا الى التظاهرة ٠

الرفيق (ح٠أ٠ش) كان قد عاد من سجن مصر منذ ثلاثة ايام وانضم الى التظاهرة ٠ وهكذا أخذ النهر يكبر ، فكلما مشت التظاهرة مترا ، كانت عشرات الامتار تنضم اليها ٠ وجاءني صوت فتحي البلعادي كان رفيقي (حسني بلال) الى جانبي ، ووراءي كان أخي (س٠ب) (م٠آ٠ر) (ج٠ف) (خ٠ل) (ع٠س) (س٠ب) (م٠ن) (ا٠ح) (ع٠ع)٠

املأ كأسي برذاذ البرق وأشربه نخب تلك الاسماء ٠

وتقدمت التظاهرة ٠ رأسها عند سينما السامر ، كتفاها في شارع عُمر المختار ، صدرها قرب كلية غزة وقدماها في حي الشجاعة ٠

حينما ينضم فلاح الى تظاهرة طالب فهو يعطيه المطر ، وحينما ينضم عامل الى تظاهرة الطالب والفلاح فهو يعطيهما : البرق ٠

للمرة الثانية خيل للمباحث والمخابرات في قطاع غزة ، أنها تظاهرة عابرة· فورة دم ، بعض الاحجار تلقى في البركة ، ثم يعود الماء يأخـذ شكل الانـــاء الذي يوضع فيــه ·

ولكنهم بدأوا يخافون حينما لم يأخذ الفلسطينيون في تظاهرة غزة شكل الاناء الذي وضعوا فيه ، منذ أن جاء المواوي باشا ، في منتصف ليـــل ١٥ أيـــار ١٩٤٨ ، برتبة لواء على رأس الجيش المصري ليعلن فور (استيلائه) على غزة؟

ـ حل التنظيمات السياسية في القطاع ، حل عصبة التحرر الوطني الفلسطيني بالاسم ـ تسليم الاسلحة · بعد غزة بثلاثة أيام أعلنت الصحافة المصرية فـــي ذلك الوقت :

ـ خبر تحرير مدينة المجدل ، تحت ضوء القمر ··؟!

مشت التظاهرة حتى بلغت منتصف بيارة الترزي ، على بعد خمسين مترا من سينما السامر · عندها جاء لوري عسكري · وظهرت البنادق في أيدي المباحث والمخابرات ، البنادق التي لم تظهر ، حينما اغار الاسرائيليون على مخيـــم البريج عام ١٩٥٣ ، ولا حينما اغاروا على محطة سكة الحديد في غزة عـام ١٩٥٥ · لقد ظهرت الآن لتعترض طريق تظاهرة من الطـــلاب والمدرسيـــن والفلاحيـــن والعمـال ·

بعض جنود المباحث والمخابرات كمن وراء اللوري العسكري · البعض الآخر كمن تحت أشجار البرتقال في بيارة الترزي ·

الجماهير التي تحب البنادق في أيديها ، تكره السلاح حينما يكون في أيدي شرطة المباحث والمخابرات · ودائما كان الفرق بين البنادق في أيدي الجماهير والبنادق في أيدي البوليس ، هو الفرق بين حبة الرمان وبين الجرادة ·

الفلاحون الفلسطينيون ، شأنهم شأن أي فلاحيـــن في الارض لا يشترون بوليصة تأمين من البعوض ، ولا شهادة حسن سلوك من الجراد ·

حينما رأى الطلاب والمدرسون البنادق والمسدسات في أيدي البوليس ارتفع الصوت :

ـ أين كنتـم يا جبناء ؟؟؟

□

كان على التظاهرة ان تتقدم او تكسر كبيضة فوق خوذة فولاذية · أصبحنـا

على بعد عشرين مترا من اللوري العسكري الذي يقف في منتصف الشـــارع ويغلق طريق التظاهرة ٠

عشرة أمتار بين اللوري العسكري والتظاهرة ، خمسة أمتار ٠ عندها صدر الامر ٠ وانطلق الرصاص دفعة واحدة من وراء اللوري ومن تحت أشجـــار البرتقال ٠ البنادق التي كانت مريضة تماما ودمها ملوث عام ١٩٤٨ ضـــد الاسرائيليين ، أصبحت في عنفوان شبابها ضد الفلسطينيين عام ١٩٥٥ ٠

يغرس أصابع كفيه في البلوفر الرمادي ، يشقه نصفين ويتقدم عريان الصدر٠ وتتقدم التظاهرة وراءه ٠ حينما رأى الطلاب والمدرسون ذلك الذي يتقدم عريان الصدر ، فاتحا ذراعيه للمسدسات والبنادق ، اندلعت النيران في أيديهم ٠

أصبح بين التظاهرة والبنادق خمسة امتار ٠ ولكن العصافير في بيـــارة البرتقال قد تحولت الى حجارة في تلك اللحظة ، والهواء تحول الى حصى ٠

وانطلق رصاص ٠ الهواء مثقل بالبارود ومشحوذ كالسكين ٠

أخي (أ٠ب) كان الى جانبي مع حسني بلال ٠ لا أزال أتذكر جسده النحيل الذي يشبه النخلة ، لا أزال اتذكره واتذكر جسده ، كالزورق الذي يخرج لتـوه مـــن المـــاء ٠

ـ لم يبـق لديهـم رصاص ٠

ولكن جندي البوليس (أ٠أ) أطلق كل رصاص بندقيته في تلك اللحظة ٠

وفي هذه اللحظة تماما كانت هناك يد تدفعني ، كانت يد حسني بلال ٠ يـد الحزب ٠ دفعتني تلك اليد لكي تنقذني وأنهض ثانية ٠ أما حسني بلال عامـــل النسيج في المجدل واللاجيء الى غزة ، والمقيم في حارة الفواخير فلن ينهض أبدا ٠ لقد اعطاني حياته ٠

كان كل رصاص جندي البوليس (أ٠أ) في رأسه وصدره وفخذيه ٠ لقـــد رأيت النخاع الابيض يخرج من عظمه ٠ لماذا لا يقولون في مؤتمرات الكتابـــة الفلسطينية أن الكتاب الفلسطينيين يكتبون بالحبر الابيض ٠

احترق اللوري العسكري وهرب الشرطة وتقدمت التظاهرة حتى بلغت مركز بوليس الرمال ٠ عند بوابة المركز المواجهة تماما لمقر نقابة مدرسي ومدرســات وكالة غوث اللاجئين ، اجتمع كل الشرطة السريين والعلنيين :

ـ عضوان من مجلس بلدية غزة ، قاضي غزة الشرعي ، مختـار الرمال ، عضو المجلس الاسلامي ، ناظر هذه المدرسة الرسمية أو تلك ، مدير المباحث ، مدير المخابرات ٠

ويصرخ مدير المباحث ـ الحاكم الاداري العام لغزة ـ سعد حمزة :

ـ عودوا الى مدارسكم ٠

ويرتفع صوت التظاهرة :

ـ لا توطين ولا اسكان

يا عملاء الامريكان ٠

أري أصابعي وأرى فوقها دم حسني بلال ويرتفع الصوت :

ـ سال الـــدم

عـــاش الـــدم

قاضي غزة الشرعي (م٠ن٠أ٠ش) وبتكليف من سعد حمزة مدير المباحـــث يرفـــع صوتـــه :

ـ الى الجامع الى الجامـــع ؟؟

ولكن بيت الله لن يكون بيت سيناء ٠

ويرتفع صوت الذي شق قميصه :

ـ الى الشجاعية الى الشجاعية الى الفلاحين ٠

بالنسبة للمتظاهرين كان عنق اصغر طفل فلسطيني اطول من كل مئذنة ٠ ولم يستطيعوا ابدا ان يخدعوا لا المتظاهرين ولا فتحي البلّعاوي ٠ فحينما طلبوا من فتحي البلعاوي ان يختار بين عنق الطفل الفلسطيني وبين المئذنة ، اختـار هذا المناضل الفلسطيني ـ الغفاري ـ اختار عنق الطفل الفلسطيني ، واخـــذ مكانه الجليل في تظاهرة مارس ١٩٥٥ ، دفاعا عن رموش تلك العنق التي من خلالها يمكن ان نرى الله الذي هو الارض والذي تجيء بعد ذلك ثورة لتعلن :

ـ انه الوطـن ٠

□

مات حسني بلال ٠ في بيت اخته وراء سينما السامر في غزة ٠ كان ممددا فوق النعش ٠ كان لا يزال هو ، ذلك الشيوعي الذي راح يوزع منشور الحـــزب في منتصف شباط ١٩٥٥ في حارة الفواخير ٠

حسني بلال عامل النسيج من المجدل حيث قد تم احتلال كل شجرة تـوت ،

يجيء الى غزة وفي يده خيط من حرير كأنه قبل ان يموت برصاصة من يـــد جندي بوليس فلسطيني يريد ان يقول :

ـ تذكروا دائما ان دودة القز التي تصنع الحرير هي شيوعية ٠

في صباح اليوم التالي كان علينا ان ندفن شجرة توت ، ان ندفن جســـدا اصبح حلم شبابيك ٠

فوق راسه كنت اصرخ :

ـ يا فم حسني بـــلال

الـــــدم سال وقـــال

والدم في صباح اليوم الثاني من تظاهرة مارس ١٩٥٥ رفع بين يديه كتفي حسني بلال ٠ اول شهيد فلسطيني ، أول شهيد شيوعي يسقط ضد مؤامـــــرة التوطين والاسكـــان ٠

وحينما أصبح رأس حسني بلال مرفوعا فوق ايدي رفاقه وهم يمشون به الى المقبرة اطلقت شجرة توت احدى وعشرين طلقة من خيوط الحرير ، ومشـــت التظاهرة الى بستان الاحجار ٠

□

فوق سطح مستشفى تل السكن حيث كان يتمدد في حجراته عشرات الجنود الجرحى اخذ شرطة المباحث والمخابرات يطلقون الرصاص على التظاهـرة ٠ وبدأ الرصاص يسقط فوق النعش ٠ كانوا يريدون ان يسقطوا النعش ويسقطوا التظاهرة ٠

عشرات الايدي راحت تمسك بالنعش وتجاوزت التظاهرة مستشفى تل السكن حتى بلغت المقبرة ٠

ان سفينة فلسطينية جديدة تنزل الى التراب ، وهكذا نزل حسني بلال ، نزلت شجرة التوت المثقلة بفاكهة الحرير ٠

□

في ساحة التاكسيات قرب السكة الحديد انتخب المتظاهرون من الساحـــة لجنتهم الوطنية العليا لقيادة التظاهرة ٠ كـان المتظاهرون يرفعون ايـديهم ويرشحون اسماء مندوبيهم للجنة ، وكانت الموافقة على اسم المندوب تتـــم بواسطة رفع الايدي ٠

من فوق عربة لوري مكشوفة وقفت اللجنة الوطنية العليا للتظاهرة وقررت عقد اجتماعها الاول في مقر نقابة المعلمين الذي اتخذتـه اللجنة العليا مقـرا لهـا طيلة أيام الانتفاضة ٠

في كل مخيم بدأت الجماهير تؤلف لجانها الوطنية ، وكان كل مخيم قد أرسل مجموعات من ابنائه لحراسة مقر نقابة المعلمين ٠ عبد الرحمن عوض اللـــه يأتي بالمتظاهرين من مخيم النصيرات ٠

امتلأت شوارع غزة من الشجاعية حتى الرمال باللاجئين من كافة المخيمات٠ كانوا فوق كل الارصفة ، تحت كل شجرة ، في ساحات المدارس ، تحت أعمدة الكهرباء ، وحول مقر النقابة المواجه لمركز البوليس ٠ كانت الالوف تضـرب جنزيرا وتسهر طول الليل ٠ لم تكن اللجنة الوطنية العليا تملك مسدسا ، وكانت الجماهير تعرف هذا جيدا فعرفت كيف تقوم بالحراسة ٠

اللواء عبد الله رفعت الحاكم الاداري العام لقطاع غزة ، هرب الى العريش ٠ أحد الحرس الوطنيين يدخل ويعلن :

ـ ان سعد حمزة حاكم غزة الاداري ومدير المباحث يريد أن يقابل أعضـاء اللجنة الوطنية العليا ٠

فلينتظر :

وانتظر سعد حمزة ساعة كاملة حتى سمح له بالدخول وبعد ان اتخـــذت اللجنة العليا قرارها السياسي ٠ كان سعد حمزة يريد ان نغادر مقر النقابة وفي الصباح نذهب لمدارسنا وينتهي كل شيء ؟؟

ـ ولماذا قتلتم حسني بلال ؟

ـ انكم مخطئون تماما فحينما تجعلون الموت شيئا فلسطينيا عاديا ، تصبح الحياة صعبة تماما بالنسبة لكم ٠ ورحت املي عليه مع فتحي البلعاوي قرارات اللجنة الوطنية العليـا :

ـ ان تعلن كافة اجهزة الاعلام الرسمية الغاء مشروع سيناء ٠

ـ تدريب وتسليح المخيمات الفلسطينية حتى تتمكن من الدفاع عن نفسهـــا في مواجهة الغارات الاسرائيلية ٠

ـ محاكمة المسؤول عن قتل الرفيق حسني بلال والمسئولين عن اطـــلاق الرصاص على المتظاهرين من فوق سطوح مستشفى تل السكن ٠

ـ اطلاق الحريات العامة وعلى رأسها حرية النشر والاجتماع والاضراب ٠

ـ عدم المساس بحرية الذين تظاهروا في اليوم الاول والثاني والثالث من ١٩٥٥ ، هؤلاء الذين يجسدون قلب وروح الشعب والوطن ٠

وحمل سعد حمزة قرارات اللجنة الوطنية العليا ومضى ٠

□

منع التجول كان قد فرض على قطاع غزة كله من رفح الفلسطينية حتى بيت حانون ، ولكن الجماهير كانت قد ملأت الشوارع وفرضت حظر التجول على شرطة المباحث والمخابرات ، وفي كل غزة لم تكن تتجول غير عربة جيب واحدة اهداها احد الاصدقاء للجنة الوطنية العليا ، وكنا نتجول في عربة الجيب التي يرفرف فوق مقدمتها قميص حسني بلال المصبوغ بالدم ، والذي أصبح علم الانتفاضة ٠

ـ سعد حمزة مدير المباحث جعلوه ينتظر ساعة ونصف قبل ان يسمحوا له بالدخول ؟ ـ لقد هرب اللواء عبد الله رفعت الحاكم الاداري العام لقطاع غزة الى العريش ؟ ـ هكذا كان اللاجئون يتكلمون ؟

مصطفى حافظ قائد المخابرات الحربية لقطاع غزة يصرخ في وجه احد معاونيه :

ـ قلت لي انهم عشرون شيوعيا ، هل تستطيع ان تحصيهم الآن ؟

وكنا اكثر من عشرين شيوعيا ، ولكن النجمة الواحدة بملايين عيدان الكبريت المشتعلة ٠

وجاء سعد حمزة للمرة الثانية الى مقر النقابة ليبلغنا انه مفوض من قبل الحاكم الاداري العام لقطاع غزة ـ اللواء عبد الله رفعت ـ لمناقشتنا في صيغة البيان الذي ستصدره ادارة الحاكم العام ، ومناقشة قرارات اللجنة الوطنية العليا ٠

في مكتب سعد حمزة ، كان قد اقترح واصر على الاجتماع وصرخ لكي يؤكد ما يقول :

ـ انها مهابة الحكومة ٠

وقررت مع فتحي البلعاوي الذهاب الى مكتب سعد حمزة ومعنا بعض اعضاء اللجنة الوطنية العليا ولمدة ساعة واحدة ، من الساعة الحادية عشرة ظهرا حتى الساعة الثانية عشرة ظهرا وان يعلن هذا للمتظاهرين لكي يكونوا على استعداد لاقتحام مركز البوليس اذا لم نخرج في الوقت المحدد ٠

وبالفعل ذهبنا الى مكتب سعد حمزة ، وكانت الجماهير تحيط بمركز البوليس من كافة الجوانب ٠

وبدأ سعد حمزة يتكلم عن هيبة الحكومة ، وعن الحرائق التي اشتعلت في بعض السيارات والمباني ـ احرقها عملاء المباحث ما عدا اللوري العسكري ـ وشارع عمر المختار الذي كان شارع التظاهرات ، لم يرتفع في وجهه عـــود كبريب واحد ٠

في الساعة الثانية عشرة تماما بدأ هدير المتظاهرين وبدأ صدى الصـــوت يضرب الاسمنت ويشقه ليصل الينا ونحن في مكتب حاكم غزة الاداري ـ مدير المباحـث ـ ٠

ـ مـا هـــذا ؟

ـ انهم المتظاهرون ٠

ونخرج من مكتبه الى بوابة مركز البوليس لكي يحملنا المتظاهرون فـــوق الاكتاف حتى مقر النقابة ٠

عند العصر يأتي سعد حمزة ومعه مسودة البيان الذي سيعلن على اهالـي قطاع غـــزة ٠

وكانت المسودة تتضمن :

ـ أصبح مشروع سيناء غير ذي موضوع ٠

ـ موضوع تسليح المخيمات وفرض قانون التجنيد الاجباري لحمل السلاح بالنسبة لكافة المواطنين سينفذ في وقت قريب ٠

ـ يقسم الحاكم الاداري العام لقطاع غزة بشرفه العسكري ان لا يحجز او يعتقل كل من تظاهر سلميا وبالذات بالنسبة الى اعضاء اللجنة الوطنية العليا٠

ـ أن تعمل ادارة الحاكم الاداري العام على ضمان حريات سكان القطاع٠

في اليوم الثالث من التظاهرات في قطاع محاصر من الاسلاك الشائكـــة للاحتلال الاسرائيلي ومن البحر ٠

في اليوم الثالث حيث توقف كل شيء ، وكان الاضراب عاما ، لا مدرسة ولا فرن ، ومن العريش بدأت تتدفق قوات عسكرية لتعزيز مواقع الشرطة والمخابرات في غزة ٠ امتنعت القوة السودانية في قطاع غزة منذ اللحظة الاولى عن اطلاق الرصاص على المتظاهرين ٠

خليل عويضة المشرف العام على مدارس اللاجئين تحول قلبه الى صـــوت يقول لنا :

ـ اقبلوا فقط ببيان مكتوب تعلنه ادارة الحاكم الاداري العام بمكبرات صوت، لم يعد امامكم وقت طويل · فحشود عسكرية من العريش قد وصلت الـــى مشارف غزة ·

(المستقلون الوطنيون ؟) « والمثقفون جدا ؟ » يريدون ان يقبلوا بأي شيء لكي يغسلوا ايديهم نهائيا من عرق أصوات الجماهير ·

واتخذنا قرارنا مع البيان المكتوب ، ووافق سعد حمزة على ان يقوم بطبـع البيان واعلانه بالوسائل الرسمية على ان تقوم اللجنة الوطنية العليا بتوزيـع البيان واعلانه بوسائلها الخاصة ·

كان الشيء الوحيد الذي يتحرك بالنسبة للجنة الوطنية العليا ، هو عربـــة الجيب وفي مقدمتها يرفرف قميص حسني بلال المصبوغ بدمه ·

في الصباح تم تبليغ بيان ادارة الحاكم الاداري العام لقطاع غزة للجماهير· أحد السائقين قدم لنا سيارته فانطلقت بها مع الرفيق (س·ب) ـ سلام عليه ـ الى مخيم جباليـا ·

فوق حائط وقفت وأعلنت باسم اللجنة الوطنية العليا ، سقوط مشروع سيناء·

ـ سال الـــدم ·

غـاش الـــدم ·

هكذا كان صوت مخيم جباليا · كانت كل رؤوس اللاجئين في المخيم تريـد ان تدخل دفعة واحدة في شباك السيارة وتصيح ؟

ـ لقد انتصرنا ، وسقط مشروع سيناء ·

بعد سبع سنوات من طحن الملح بالكوع ، ومن أكل هواء الاذاعات العربيـة بأصابع اليدين ، بعد سبع سنوات من لف رأس الوطن بورق الجرائد التـــي تكذب ستين دقيقة في الثانية ، يحس الذين لم يكتبوا ولم يقرأوا طول حياتهـم من سكان المخيمات انهم هم الذين كتبوا وقرأوا بيان سقوط مشروع سيناء ·

الحاكم الاداري العام لقطاع غزة عاد من العريش يسبقه بيان الغاء مشروع سيناء ، وصوت القسم بالشرف العسكري الا يعتقل احدا من المتظاهرين الذيـن قادوا التظاهـــرة ؟

وبدأت محطات المباحث والمخابرات ، تملأ حناجر عملائها ومخبريها بالبنزين،

لكي يبدأوا سيرهم في المخيمات ، التي طردوا منها طيلة ايام الانتفاضة ، حيث فرضت اللجنة الوطنية العليا ، قرار حظر التجول بالنسبة لهم ٠

وهكذا في اليوم الخامس من الانتفاضة من مارس ١٩٥٥ ، بدأ المخبـــرون يظهرون في غزة وفي المخيمات ٠ في غزة بعض الناس حينما رأوا شرطـــة المباحث والمخابرات : رسموا اشارة الصليب على صدورهم ، والبعض الاخـر راح يتمتـــم :

ـ أعوذ بالله ٠٠٠

كان يوم ظهورهم ، يوم نحس من ايام مارس ، وبالذات في الوقت الذي كانت تعلن فيه اذاعة اسرائيل وفي كل نشراتها باللغة العربية ، ان البوليس يجـــد الآن في قطاع غزة ، في مطاردة واعتقال ، قيادة التظاهرات ٠٠٠؟

وبالفعل ، فلقد بدأ مكتب المباحث في غزة ، يتبادل قوائم « المشبوهين » مع مكتب المخابرات بالاضافة الى قوائم جديدة ٠

وبدأت التقارير ترد الى الحزب ، عن حملة اعتقال سريعـــة قادمة ، وان القائمة في دور الترتيب النهائي ٠

حينما سألتني أمي عن صحة تلك الانباء عن حملة الاعتقال المقبلة ، رغـــم القسم بالشرف العسكري الذي قدمه الحاكم الاداري العام لقطاع غزة : (اللواء عبد الله رفعـت) ٠

ابتسمت ، ففهمت كل شيء ٠

وحينما سألتني عن الاجراءات التي سوف نتخذها لحماية انفسنا قلت لها :

ـ أنهم يريدون منا ان نهرب الى الخليل عبر الارض المحتلة ، لقد اعدوا لنا الكمائن على الحدود ، وهم في انتظارنا ، ولكننا لن نسقط في المصيدة ، لكي نتقدم للمحكمة العسكرية كمتسللين ، يريدون الاتصال بالعدو ٠٠٠

واصدر الحزب قراره بالتحذير من (كمائن الحدود) « ومن عملاء المباحث والمخابرات الذين تحولوا الى متطوعين ، لتهريب الشيوعيين عبر الحدود الى الخليل » ٠

أبي حينما كانت المناقشة تشتعل بينه وبين امي كان يصيح :

ـ انه لواء في الجيش ، وأقسم بشرفه العسكري ٠٠؟

ولكن امي كانت تعرف جيدا هذا الشرف العسكري ٠

□

محجوب عمر

أيلول في جنوب الاردن

مرت بنا الشهر الماضي الذكرى السابعة لاحداث شهر ايلول ـ سبتمبر ١٩٧٠ ٠

ومنذ عام ١٩٧٠ حتى الآن ، تناول الكثيرون هذه الاحداث سردا وشرحا وتحليلا وتعليقا وتذكيرا ٠ ورغم ذلك فان هذه الاحداث لم تؤرخ بعد ، بل لم يكشف عن الكثير من اسرارها حتى الآن ٠

والصفحات التالية تتناول ساحة من ساحات « ايلول » لم يتعرض لها أحد من قبل ، باستثناء تعليق قصير نشرته جريدة « فتح » بعد مرور عام على احداث ايلول بعنوان « ايلول بدأ في الثامن عشر من حزيران » تناول فيه الكاتب المظاهرات المعادية للثورة الفلسطينية والتي دبرتها الشعبة الخاصة الاردنية في مدينة معان في جنوب الاردن في ١٨ـ٦ـ١٩٧٠ ٠

ما عدا ذلك فان ما يشاع عن احداث ايلول في جنوب الاردن هو في مجمله شائعات غير صحيحة وحوادث مبالغ فيها ٠ كأن يقال مثلا ان البدو قد ذبحوا الفدائيين باسلحة الفدائيين ، أو ان بعض المسؤولين من فتح قد قتلوا ضربا بالعصي او شنقوا على الاشجار ، او ان البدو غدروا بالفدائيين وانهم موالون للملك الذي استخدمهم في الذبح والتقتيل ، الى آخر هذه القصص التي تروى بلا تفاصيل لينتقل الراوي بعدها الى استخلاص نتائج غريبة كأن « لا أمان للبدو » أو « ان البدو جميعا موالين للملك » أو « ماذا فعلت فتح عندما سلحت

البدو في الجنوب فها هم قد غدروا بها بأسلحتها ٠٠ » الخ ٠٠

والحقيقة ان كل ما يشاع حتىٰ الآن لا يستند الا الى تعليقات اذاعية او صحافية تحريضية أذيعت وكتبت من مسافة مئات الكيلومترات عن الاحداث نفسها دون تحقيق او تدقيق وانما انسياقا وراء شائعات تناقل بعضها ، وساهم في صنع بعضها الآخر ، البدو انفسهم بما طبعوا عليه من مبالغة وشاعرية في الرواية ٠

الحقائق التي سأحاول تذكرها وتأكيدها سجلتها مرتين قبل هذه المرة ٠ المرة الاولى ضمن تقرير مفصل بالاسماء قدم لقيادة الثورة في عمان يوم ١٥ـ٩ـ٧٧ عقب وصولنا من الجنوب مباشرة ٠ وقد فقد هذا التقرير ولا يعرف مصيره ، والمرة الثانية في محاولة لاكمال الحقائق التي جمعها ورتبها وحللها الكتاب القيم الذي صدر عن مركز الابحاث بعنوان « المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني » (١٩٧١) ، ولا أدري مصير بضع صفحات كتبتها على عجل تتضمن بعض ما فات الكتاب من حقائق ، وهذه هي المرة الثالثة ٠

ولهذه المرة عيوب وميزات ٠ من عيوبها ان الزمن يمحو الذاكرة ولا يمحو الحقائق ، ومن ميزاتها ان الزمن يخفف التعصب لتنجلي الحقائق ٠

ولعل ما يهون مسؤولية الكتابة في ما سأكتب انني لن اتعرض لما هو مختلف عليه ، ولا لكل ما حدث في أيلول وقبله وانما لرقعة محدودة في الزمان وفي المكان وفي الاشخاص ولتجربة لم تكن سائدة وقتذاك وان كانت مختبرا لما تبلور بعدئذ ٠

كما ان ما أرويه ليس رواية ولا تقريرا وانما مساهمة في اكمال صورة اصبحت في التاريخ وللتاريخ ٠ ولعل المساهمة تفيد ٠

□

في الطريق الى ايلول :

مرت أزمة شباط ـ فبراير ١٩٧٠ بين الثورة الفلسطينية والسلطة الاردنية دون ان يشعر بها جنوب الاردن تقريبا ٠ ففيما عدا الانتقال الهادىء لبعض وحدات العاصفة الى الشمال نحو العاصمة واتخاذ بعض المجموعات مواقع لها عند المفارق الهامة لطرق الجنوب دون ان تظهر على هذه الطرق او تعترض احدا ، فيما عدا ذلك فقد مضت الحياة في الجنوب دون أي تغيير او تأثر برغم ما كان سائقو « السرفيس » يحملون من اخبار عما يجري في العاصمة ٠

لا يمكن القطع بأن الناس لم تكن تتبادل فيما بينها أخبار أحـــداث شبـاط ـ فبراير ١٩٧٠ ، فعظم قرى وعشائر الجنوب لها أبناء في الجيش الاردني ، وكلها بلا شك تتابع الاخبار لتطمئن على أبنائها · ولكن من المؤكد انه لم يتبدر من اي من سكان الجنوب أي بادرة عداء او امتعاض من الوجود الفدائي في جنوب الاردن ·

لهذا الموقف أسبابه بالطبع ، فليس معنى عدم تحرك سكان وعشائر الجنوب لتأييد الملك بالبرقيات والمظاهرات والوفود كما هي العادة ، انهم كانوا قد تخلوا عنه أو بدلوا مواقفهم منه ، بل يمكن تفسير هذا الموقف لعدد من الاسباب اهمها :

١ ـ الاستقلالية النسبية (مادية ومعنوية) عن السلطة الاردنية التي تمتعت بها جماهير جنوب شرق الاردن سواء من البادية او الحضر ، حتى ذلك الوقـت على الاقل · فالغالبية تدين بالولاء للعشيرة ولا تتعامل مع السلطات الا مـــن خلال شيخ العشيرة · وغالبية السكان بدو رحل وحتى المدن يحكمها قانـــون العشائر ·

٢ ـ قلة عدد السكان وتوزعهم ، وقلة عدد الفدائيين (نسبيا ايضا) وتوزعهم والاوامر والاجراءات الصارمة التي طبقتها قيادة القطاع الجنوبي لقـــوات العاصفة وأهمها عدم اقامة أي قواعد داخل اي قرية ، مهما كان المبرر ، وعدم تجول المقاتلين ، مهما كان السبب ، في المدن والقرى تحاشيـــا لاي خطـــأ او احتكاك [اي خطأ فردي كان سيتحول الى خصومة عشائرية فورا] ، ادى ذلك الى انعدام اي احتكاك عدائي من أي نوع مع السكان طوال السنوات الثلاثـــة التي قضاها الفدائيون في جنوب الاردن ·

٣ ـ باستثناء مدينة الكرك ، لم يكن للتنظيمات الفدائية الفلسطينية غيـــر قوات العاصفة وجيش التحرير الفلسطيني (قوات عين جالوت) أي وجود ممـا ساعد كثيرا على عدم اعطاء اي فرصة لانصار الملك لاستغلال التناقضـــات والصراعات بين المنظمات او التصرفات غير المسؤولة · وحتى في مدينة الكـرك كان لسيطرة قوات العاصفة المتفوقة عددا وعدة ومكانة اثر كبير في ضبط اي خروج على التقاليد او أي استفزاز سياسي وتصحيح آثاره فورا ·

٤ ـ اشتراك بعض زعماء الجنوب في الحكم وقيادة الجيش [بهجت التلهوني واللواء مشهور حديثه] واتخاذهم مواقف معتدلة خلال الازمة ، كان له اثـره الكبير عند سكان الجنوب خلال هذه الازمة وما تلاها ·

٥ـ نجاح الفدائيين في اكتساب اعجاب الاهالي بدورياتهم الاسطورية فـــي وادي عربة ، مقبرة القوافل وارتداد اثر الغارات الجوية الاسرائيلية على عكس

ما كان العدو يهدف اليه اذ استنفرت نخوة وشهامة العشائر والقرى لنجدة اخوانهم المجاهدين من أجل فلسطين · وأخيرا اثر النشاط المكثف ـ برغم صعوبة الواقع الجغرافي والبشري ـ لشرح أهداف الثورة ولكسب ثقة الاهالي ولخدمتهم [«١٤» عيادة شعبية منتظمة ، ووحدة سينمائية متنقلة ، ووحدة اسعاف متنقلة ، ونشاط تنظيمي دعائي في المدن والقرى] واقامة علاقات وثيقة مع بعض شيوخ العشائر حسب التقاليد السارية ·

هذه هي أهم الاسباب التي يمكن ان نفسر بها ذلك الموقف « المحايد » ـ ان جاز التعبير ـ خلال أزمة شباط ـ فبراير ١٩٧٠ ·

وكما لاحظ الفدائيون هذا الموقف بالتقدير ، لاحظته السلطات الاردنية بالقلق · ويبدو أن قرارا قد اتخذ لمعالجة هذا الوضع اذ بدأت المعلومات ترد عن زيارات مشبوهة يقوم بها مسؤولون كبار للعشائر والقرى،ليعرضوا عليهم خلالها التسلح والانتظام في ما سمي « المقاومة الشعبية » ، وبالطبع كان الاهالي يتسلحون · ولم يكن مطلوبا منهم اي موقف من الوجود الفدائي في ذلك الوقت ، فلم لا يتسلحون ؟·· « البارودة احسن منهم » · وأبرز هذه الزيارات كانت ولا شك زيارة الامير حسن ولي العهد لمدن الجنوب ·

ففي صيف ١٩٧٠ وصل الامير حسن الى الطفيلة حيث اجتمع بشيوخها ورئيس بلديتها الشيخ عبد الله العوران · وتم الاجتماع في مبنى موتور الماء والكهرباء على بعد اقل من خمسين مترا من بيت صغير كان بمثابة عيادة شعبية فدائية ومقر للقيادة العسكرية لوحدة عين جالوت · خلال الاجتماع حاول الامير حسن استفزاز مشاعر الشيوخ عندما قال « كنا فاكرينكم أهل شهامة ، تاركين بناتكم لايدي الاغراب » ، وكان يقصد الاطباء · عندئذ أجابه أحد الشيوخ : « ان هؤلاء أشرف ناس » · وعندما تطور النقاش طلب الامير حسن من الشيوخ ان يعملوا على اخراج الفدائيين من المنطقة فأجابه رئيس البلدية : « عندما تخرجونهم من عمان نخرجهم نحن من هنا » فغادر الامير حسن الاجتماع غاضبا ·

ومع ذلك فقد كانت الاخبار تصل عن نشاطات الشيخ فيصل الحجازي شيخ الحويطات الذي لعب دورا كبيرا في التعبئة ضد العمل الفدائي في اجتماع العشائر الذي تم في اوائل ايار ـ مايو ١٩٧٠ في بلدة سحاب بالقرب من عمان · والشيخ فيصل الجازي هو أكبر شيوخ العشائر في الاردن نفوذا واكثرهم طموحا وخال اللواء مشهور حديثة رئيس الاركان في الجيش الاردني · وقد بنت السلطات الاردنية له ولعشيرته قرية حديثة البناء هي « الحسينية » التي تقع على الطريق الدولي بين عمان والعقبة بين مثلث جرف الدراويش ومثلث عنيزة ·

تقررت مضاعفة الجهود وتكثيفها في سبيل توثيق العلاقات مع العشائر وسكان القرى والمدن · ثم تغيير عدد من مواقع القواعد الفدائية الى مواقع اكثر ملاءمة حيث كانت القاعدة الفدائية تشكل قاعدة للخدمات الطبية والعلاقات السياسية والعشائرية وتستقطب الشباب من بين السكان ، « وتخلق حالة من النشاط الاجتماعي حولها » · وفيما بين ازمة شباط ـ فبراير ١٩٧٠ وأحداث أيلول تضاعف عدد العاملين في مجال الخدمات الطبية لقوات العاصفة وتضاعف ثلاث مرات عدد العيادات الشعبية المنتظمة ، كما اتخذت عدة قرارات خاصة بالتنشيط التنظيمي في القرى ·

ثم وقعت أحداث ٩ـ٦ المعروفة باسم ازمة حزيران ـ يونيو ١٩٧٠ · وكالازمة السابقة مرت هذه الازمة أيضا دون أي تحرك في الجنوب · ومضى أسبوعان قبل أن تصل برقيات التأييد المعتادة الى الاذاعات والقصر ، بعد ان تم الاتفاق بين المقاومة والقصر · وحين توجه وفد من عشائر الجنوب الى القصر الملكي للاعراب عن تأييده للملك ـ وهو اجراء بروتوكولي مألوف ـ رفض الملك مقابلة الوفد ، وبعد انتظار دام اكثر من ساعة قابلهم الامير حسن الذي قال لهم صراحة : « لقد تأخرتم » ·

بالطبع لم يظهر زعماء العشائر اي تأييد لنا ، ونحن لم نطلب ذلك مراعاة للظروف · وقال واحد من شيوخ العشائر :« المشكلة انكم تصطدمون بالملك ونحن نقع في المأزق · اذا أيدناه يكون ذلك موقفا ضدكم واذا سكتنا يغضب هو ، وفي الحالتين أنتم ستتفقون معه ونحن نواجه غضبه » ·

ولكن السلطات الاردنية كانت قد عزمت أمرها · فقدت الامل في أن تؤدي عفوية الاحتكاكات الى اشتباكات بين أهل الجنوب وبين الفدائيين فقررت افتعال تظاهرة معادية للفدائيين في بلدة معان ، فكانت هذه التظاهرة أخطر انذار لما حدث في أيلول · في ١٨ـ٦ـ١٩٧٠ وفي معان ، مدينة الحدود الاردنية ، استطاعت السلطة الاردنية تسيير مظاهرة من الجنود المجازين (!!) معها عدد من عملاء السلطة على رأسهم صباح كريشان الذي قفز من سائق باص الى مالك كبير تجري بين اصابعه الدنانير · لم يكن للمنظمات الفدائية في ذلك الوقت الا ثلاثة مكاتب : واحد لفتح وثان للجبهة الشعبية وثالث للصاعقة، وكلها تعمل في مجال الارض المحتلة ، فمعان تقع على الطريق التاريخي للقوافل بين الخليل والحجاز وبين غزه والحجاز · من هنا اهميتها الاستراتيجية بالنسبة للفدائيين ·

ولاول مرة في تاريخ العرب علت أصوات تهتف ضد الفدائيين والوجود الفدائي · وسرعان ما اتضحت خطة المتظاهرين اذ توجهوا نحو بيوت

الفلسطينيين المقيمين في البلدة وهم من المهاجرين اليها منذ ١٩٤٨ ، ومعظمهم من بلدة يسطا ، قضاء الخليل ، وبعضهم من غزة ٠

طرق المتظاهرون أبواب البيوت وسبوا الفلسطينيين وطالبوا بطردهم من البلد ، وأطلقوا عيارات نارية في الهواء وتوتر جو المدينة كلها وتبودل اطلاق النار ـ في الهواء ايضا ـ كما تبودلت الاتهامات ، واستمرت حالة الاضطراب المفتعل ثلاثة أيام أمكن بعدها السيطرة على الاوضاع بالتعاون بين قيادات قوات العاصفة في القطاع الجنوبي ، وبين رئيس بلدية معان الشيخ معن الشراري وبين محافظ معان ومدير الشرطة فيها اللذين ابديا تعاونا كبيرا لتقريب وجهات النظر والسيطرة على حالة الامن ٠

لا بد من الاعتراف بأن هذا الحدث الخطير مر دون ان يلاحظه الكثيرون ٠ كانت عمان تستقطب كل الاهتمام ٠ قررت قيادة القطاع الجنوبي بعد هذه الواقعة تكثيف النشاط السياسي في مدينة معان ٠

بدأنا نبحث عمن يؤجرنا مكانا لاقامة عيادة شعبية ٠ لم يكن ذلك سهلا بعد الذي حدث ٠ ولكننا في النهاية وجدناه عند مدرس عائد من الخارج ، ورث بيتا قديما في حارة الشرارية في معان ، وكان على استعداد لتقديمه لنا دون مقابل ٠ كنا نرفض باستمرار أخذ أي شيء بدون مقابل وأصرينا على ان نحرر عقدا بالايجار وأن ندفع مقدما ٠ ووافق أخيرا وبدأنا نستعد ، ولكن قبل مرور ساعات اتصل بنا ليبلغنا ان عشيرته كلها ترفض تأجير البيت لنا ٠ وكانت فرصتنا ٠ طلبنا الاجتماع مع شيوخ العشيرة لمناقشتهم ٠ وتم الاجتماع واستمر اكثر من يومين كنا نتبادل فيه الحديث وقد قررنا ان نخرج بقرار منهم بتأجير المكان ٠ لم نستعمل حقنا أبدا باعتبارنا نملك عقدا بالايجار ولكننا أثرنا حقنا كعرب نجاهد من أجل فلسطين في أن نقيم في البلد وفي حماية اهلها ايضا ٠٠ وبعد يومين وافق شيوخ العشيرة واستأجرنا الدار بدون شروط ٠

بدأ العمل في العيادة ثلاثة أيام في الاسبوع وهو نظام مكثف ، لكونها مدينة ، ولكوننا نريد استباق العناصر المعادية التي كانت تنشط في تجنيد عناصر جديدة ٠ وسرعان ما انتقلنا من العمل الطبي الى اقامة الندوات الجماهيرية السياسية ٠ وتم دعم المجموعة العاملة في المدينة بعدد من الكوادر المدربة والتي تقوم في الوقت نفسه بتأدية خدمات طبية او اجتماعية ٠

في معان قبل ايلول وقائع صغيرة ذات دلالة ٠٠٠٠

الندوات الجماهيرية التي حضرها اخوة مسؤولون من عمان وقيادة القطاع الجنوبي لقوات العاصفة طاف الاخوة حسب العادة على بعض بيوت الوجهاء

والشيوخ تلبية لدعواتهم لشرب القهوة · في احدى هذه الزيارات لاحظ واحد من الحاضرين من أهل معان باستنكار ان أحد الاخوة الفدائيين قد أرسل بذلته العسكرية للمصبغة للغسيل والكي ودفع ٤٠ قرشا لقاء ذلك · تقرر فورا نقل الاخ المذكور من المنطقة كلها وشكرنا الشيخ على ملاحظته ·

وأصيبت ابنة مفتي الجيش الاردني ـ وهو الذي كان يلعب دورا كبيرا في التعبئة ضد الفدائيين في صفوف الجيش ـ أصيبت بنزيف تطلب اجراء جراحة عاجلة لها في مستشفى معان وقرر الاطباء ضرورة نقل ١٠٠٠سم مكعبمن الدم لها قبل العملية · ولم يكن هناك سوى الفدائيين الذين لم يتأخروا بتلبية هذا الطلب مما دفع بالمفتي أن يدعو لهم علنا أثناء صلاة الجمعة التالية ·

ودبرت السلطة عن طريق احد عملائها استفزازا مباشرا للفدائيين في قرية وادي موسى التابعة لمعان ، وللاسف وقع بعض الاخوة في الفخ فاعتقلوا العميل الاستفزازي الذي كان يطلق النار في الهواء وهو يسب فلسطين والمقاومة والفدائيين · قبل فجر اليوم التالي كان قد تم الافراج عنه والاعتذار · ولكن ذلك لم يمنع عددا من شيوخ وادي موسى من التوجه في وفد الى معان للشكوى، وهناك وجدوا عددا من المسؤولين الفدائيين في مكتب المحافظ وبحضور رئيس البلدية وهم يعرضون حل المشكلة عشائريا ، وتعاون المحافظ ورئيس البلدية وانتقل الجميع الى قرية وادي موسى وانتهت المشكلة ·

وهكذا ·· كلما سعى العملاء للاستفزاز كان الموقف هو محاصرة هذا العمل بالناس وحسب التقاليد دون الوقوع في فخ استخدام القوة او الرد على الاستفزاز ·

واستمر الحال على هذا المنوال حتى شهر آب ـ اغسطس ١٩٧٠ : توسع في النشاط والعلاقات لدرجة افتتاح عيادة شعبية في الحسينية معقل الشيخ فيصل الجازي ، وفي « ادرح » المقر السكني لعشيرة كبيرة من الحويطات · وأرسي تقليد هام هو حل اي مشكلة فردية عن طريق الاحكام العشائرية ، وكان معنى ذلك ابعاد السلطة ورجالها وسد الطرق عليهم وعلى استغلالهم لمثل هذه الحوادث ·

مقدمات ايلول الاولى :

في أواسط آب ـ اغسطس ١٩٧٠ قررت القيادة العامة لقوات العاصفة تدعيم القوة العسكرية الموجودة في عمان بوحدات من القطاع الجنوبي ، بعد ان بينت قيادة القطاع ان من الخطر الانسحاب كليا من الجنوب اذ يؤدي ذلك الى اختلال في الموازين بين العشائر الصديقة للثورة وتلك الموالية للملك ، كما يؤدي الى

تشجيع القوى العميلة على التحرك العلني ضد الوجود الفدائي ٠

تم سحب الوحدات المقاتلة واحدة بعد الاخرى بأكبر قدر من الهدوء المكن وحل محلها مجموعات من « ميلشيا » البدو من عشائر « العزازمة » و « التياها»، اساسا الذين يقيمون في بيوتهم على طول سلسلة الجبال وتم تجميعهم لمواجهة الاوضاع الجديدة ٠

وبقي في الجنوب كله غير هذه المجموعات ، قسم من جهاز الخدمات الطبية ، وبعض مراكز التموين ، وقوة من قوات عين جالوت التابعة لجيش التحرير الفلسطيني ٠ وهذه الاخيرة تمركزت في الطفيلة والكرك ٠

في هذا الوقت كانت الشعبة الخاصة ـ الجهاز المكلف بتنفيذ خطة السلطة الاردنية لضرب المقاومة قد فشلت في الرهان على احتكاكات عفوية بين أهالي الجنوب والفدائيين ٠ وباقتراب أيلول ١٩٧٠ ، وازدياد هذا النوع من المشاكل العفوية والمدبرة في عمان والمدن الاخرى في الشمال ، لوحظت في الجنوب احداث غريبة مثيرة ٠

فجأة اعلن الشيخ فيصل الجازي ان اثني عشر رأسا من الغنم قد سرقت من بيته في الحسينية !! وان الآثار تدل انها نقلت في سيارة لاندروفر خارج المنطقة ٠ لم يصدق الناس ٠ فالبدو أعرف من غيرهم بهذه الروايات ٠ ان الذي يمكن ان يصل الى بيت الجازي في الحسينية يمكنه ان يفعل أي شيء ، فالبيت تحت الحراسة ، وبه عشرات العبيد [العبيد فعلا !!] المسلحين ، ولا يمكن لغريب ان يقترب منه ٠ ومع ذلك كان مجرد الاعلان عن هذه الواقعة امرا مثيرا ٠٠

بعد ذلك بأيام سرقت بالفعل أعداد من رؤوس الغنم من المدعو هويمل العوران الذي تقع أرضه على الطريق الى الطفيلة ، والذي يمت بصلة قرابة لرئيس بلديتها ٠ تكثفت جهود من تبقى من الفدائيين ومسؤوليهم لمعرفة الفاعل اذ كان واضحا ان المقصود هو تشويه سمعة الفدائيين وتوريطهم في صدام مع السكان ٠ ثم حجزت سيارة لاندروفر وعثر على آثار اغنام بها ، وكانت تخص شخصا من معان على صلة بصباح كريشان [العميل السابق ذكره] ولكن اثبات الواقعة كان مستحيلا في ظروف الجنوب ٠ فكل السيارات لاندروفر وكل السيارات تحمل أغناما !!

ثم حدث ان صدمت احدى سيارات الفدائيين طفلا من الطفيلة وقتلته وكادت المشكلة ان تتطور على غير العادة ٠ اذ جرت العادة ان تحل مثل هذه المشاكل حسب قانون العشائر ، ولكن رجال السلطة حاولوا هذه المرة تحريض اهل الطفل

على عدم القبول بالحق العشائري ، ومع ذلك فقد فشلوا لسرعة تحرك الفدائيين وحل المشكلة ، ودفع الدية قبل مضي ساعات ٠

كان من الواضح ان هناك محاولات مقصودة لافتعال الصدام بين من تبقى من الفدائيين والاهالي ٠ ولوحظ في هذا الشهر كثرة تردد الشيخ فيصل الجازي على الحسينية وعلى قرى الجنوب المختلفة بعد أن كان يمضي معظم وقته في عمان ٠

□

الايام الخمسة الاخيرة :

انعكست الاحداث اليومية في عمان على الحالة العامة في الجنوب ٠ توتر وقلق وشائعات ينقلها السائقون عند عودتهم من عمان ٠ السير أصبح قليلا على الطرق حتى الطريق الدولية بين عمان والعقبة ٠ ولكن لم تحدث بادرة علنية واحدة ضد الوجود الفدائي واستمر التحرك الخاص بهم كما هو وان كان قد قل بعد رحيل معظم القوات الى عمان ٠

ازداد الشعور بالتوتر بعد ان اذيع نبأ عن محاولة اغتيال الملك وأذيع تعليق من اذاعة الثورة يكذب هذا الادعاء مما يشير الى انه ربما كان اشارة للبدء بتحرك عام ضد الفدائيين بدعوى تأييد الملك ٠ ومع ذلك ، مر يوم ٣١ـ٨ ، و ١ـ٩ بهدوء ولم يحدث النبأ ولا التكذيب اي ردود فعل ، وكان ذلك دليلا هاما على ان عملاء السلطة عاجزون عن استثارة الاهالي ضدنا ٠

حتى كان يوم ٢ـ٩ـ١٩٧٠ ٠٠

كان يوم أربعاء ، وككل يوم أربعاء يلتقي الاطباء العاملون في الجنوب في عيادة الطفيلة لعرض الحالات المؤجلة التي تتطلب تشاورا جماعيا او تدخلا جراحيا ٠

في ذلك اليوم كانت ابنة رئيس المجلس البلدي تشكو من التهاب في الثدي وقد نصحت من قبل باجراء جراحة فرفضت وحاولت الذهاب الى عمان ، وهناك وجدت الاحوال غير هادئة فعادت ، وكان لا بد أن نقوم نحن بالجراحة ٠

قام بالجراحة زميلنا الدكتور ـ يسري هاشم وقمت بمعاونته في التخدير ٠ وأثناء وجودنا في المستشفى الحكومي حيث اجريت الجراحة جاء من يبلغنا ان السائقين العائدين من عمان يقولون ان جنديا اردنيا من منطقة الشوبك قد

قتله فدائيون أثناء عودته من عمان الى قريته وان التوتر يسود الجنوب كله ٠

تأكد لنا النبأ ، فطلبنا من كل الاخوة عدم التحرك على الطرق حتى نتبين ما حدث وتركت الطفيلة متوجها الى الشوبك بسرعة ومعي أخ يسوق اللاندروفر كان مقاتلا وأصيب في ساقه وآثر البقاء في القطاع ٠

وكان هذا آخر عهدي بالطفيلة ٠

□

لم نقابل أي حادثة تذكر في الطريق ولكننا لاحظنا ان الطريق خالية تماما من أي سيارات مما جعلنا نتوقع انها مقطوعة في مكان ما شمال مثلث جرف الدراويش ٠

عند وصولنا الى « نجل » وهي مقر مديرية الشوبك لاحظنا تجمع الشيوخ عند مكتب البريد والدكان وهذا معناه ان ثمة خبرا خطيرا يتوقعونه او يتشاورون بشأنه ٠

وسرعان ما وصلت الانباء وتحققت قصة مقتل الجندي وهي قصة غريبة ومريبة لم تتضح حقيقتها حتى الآن :

أثناء خروج سيارة سرفيس من عمان الى معان تقل الجندي وأخاه ، وزوجة اخيه وابنة أخيه الشابة وراكبا خامسا غير السائق اعترضها حاجز لمسلحين يرتدون زي الفدائيين عندما كان يسمى وقتئذ بملجأ العجزة ، او قاعدة الشهيد حسن سلامة ٠

كان الوقت حوالي العاشرة صباحا ، والجندي يحمل بندقيته كما كانت أوامر الجيش وقتها ٠ أمره المسلحون بالنزول واطلقوا عليه النار في منتصف الطريق واخذوا بندقيته وطوحوا بها داخل الحرش المجاور ثم أمروا السيارة بمواصلة السير وهي تحمل بقية الركاب ٠ وهم أسرة الجندي والراكب والسائق ٠ الواقعة مؤكدة ولكن الذي لم يتضح حتى الآن هو من هم هؤلاء المسلحون ؟ ولماذا فعلوا ذلك ؟ ولماذا تركوا السيارة تواصل سيرها وفيها أهل القتيل الذين سيروون الواقعة بلا شك بمجرد خروجهم من تحت ارهاب الرصاص ؟؟

مضت السيارة في طريقها ، توزع النبأ على كل مكان ، بل وتستوقف السيارات الذاهبة الى عمان وتروي لها القصة ٠ وبدأت السيارات في العودة ومعها القصة الرهيبة ، وانتشر النبأ في كل قرى الجنوب وجباله وبيوته وضياعه ٠

كان أول رد فعل هو تحرك عرب « الحجايا » عند منطقة القطران لقطع الطريق الدولي · وتصادف مرور سيارة تموين لفتح من عنصرين مسلحين فاحتجزوهما والسيارة · [كان لمجرد احتجازهما دون قتلهما دلالة على ان رد الفعل عفوي وغير حاد ، وقد أفرج عن المسلحين في اليوم التالي وما تزال السيارة امانة لدى شيخ عرب الحجايا حتى الآن حسبما اعلم] ·

أما ردود الفعل التالية فقد تركزت في منطقة الشوبك ، فالجندي القتيل من عشيرة الروافعة من قرية بيرضداد من منطقة الشوبك ·

ومنطقة الشوبك تقع على مشارف وادي عربة ولكنها منطقة زراعية غنية ، وفيها مدرسة زراعية عليا وقراها متناثرة وتسكنها عشائر حضر ويتجول في أراضيها وحواليها عشائر بدو وفيها قلعة الشوبك الصليبية الشهيرة · وكان لقوات العاصفة في المنطقة ثلاث قواعد اختصرت الى قاعدة واحدة بعد رحيل القوات ولم يكن في هذه القاعدة اكثر من خمسة عشر مسلحا من مليشيا البدو ·بالاضافة الى هذه القاعدة كان في احدى القرى (ابو مخطوب) مستودع تموين وعنصران فقط ، كما كان في قرية نجل نفسها مقر العيادة الشعبية الفيها الطبيب والسائق وشبل متدرب ، وانضم لنا يوم ٢ـ٩ أخ من التنظيم كان يعمل معلما ـ وسنلقبه « بالمدرس » · وعلى بعد أربعة كيلومترات من العيادة كانت المدرسة الزراعية التي تضم عددا من المدرسين الفلسطينيين والاردنيين المتعاطفين مع الثورة الفلسطينية وهم يقيمون مع أسرهم داخل المدرسة ·

في منطقة الشوبك ايضا مشروعات زراعية سكنية تبنيها السلطة الاردنية وتملكها لضباط الجيش خصوصا ضباط المدرعات الذين كان معظمهم من عشائر الحويطات · وفيها كانت مزرعة لقائد سابق للحرس الملكي مكنى بأبي جميل ·

دعا ابو جميل هذا شيوخ العشائر في الشوبك للاجتماع مساء يوم ٢ـ٩ـ١٩٧٠ للبحث في حادثة مقتل الجندي ·

قبل مغيب الشمس جاء منهم من يسألني عن الاخبار فأكدت له انه لو صح هذا الحادث فان الفاعل جاسوس وعميل ولا يمكن ان يكون من فتح أو من الفدائيين عموما ·

غابت الشمس وكنا أربعة ، والصمت العادي أصبح صمتا متوترا مشحونا ، لم نضيء الانوار في مقر القيادة [كوخ من سقف وثلاثة جدران والجدار الرابع هو كتف الجبل وأمامه باحة مسورة بسور من أحجار مكونة سلسالا] ووزعنا انفسنا للحراسة اثنين اثنين · عند الحادية عشر مساء جاء الشبل

باثنين من أهل الشوبك الشباب وجدهما يتسللان الينا ٠عرفتهما وجلسا وأبلغاني قرارات اجتماع الشيوخ كما سمعاها من أبويهما وهي :

ـ اجلاء قواعد الفدائيين من المنطقة ٠

ـ اجلاء الفلسطينيين من المدرسة الزراعية واهانتهم ٠

ـ الثأر بقتل الطبيب ٠

ولكنهما أكدا لي ان هذه اقتراحات « ابو جميل » ولم يستطع الشيوخ معارضتها علنا خوفا منه ومن علاقاته مع القصر ٠ وان شيئا من ذلك لن ينفذ ولن يسمح احد بوقوعه ٠ ارسلتهما الى المدرسة لتحذير الاخوة هناك طالبا منهم عدم التحرك واختيار من يمكن ان يحمل رسالة الى عمان دون ان يعترضه أحد ٠

في الثانية عشر ليلا حضر من معان عدد من الاخوة الذين سمعوا بالحادث وخافوا أن يحدث رد فعل فوري ضدنا في الشوبك ، فجاؤوا ومعهم سيارة مسلحة عليها رشاش جرينوف ٠ وكانت هذه غلطة استفزازية ولا تفيد على أي حال ٠ قضينا بعض الوقت نتداول ثم اتفقنا على ما يلي : رغم وضعنا الحرج وعدم وجود وسائل اتصال بين المناطق ولا بيننا وبين القيادة في عمان علينا ان نتصرف لا كمتهمين ولكن مراعين مشاعر السكان ، ونحن لن ننسحب من أي موقع مهما كان الخطر عليه لان الانسحاب معناه نهاية ما بنيناه ، واننا لن نطلق النار على الجماهير حتى لو كانت تطلق النار علينا ، واننا سندافع بالسلاح عن مواقعنا في حال هجوم من قوات الامن او الجيش علينا٠٠

لم يكن الوصول الى هذا الاتفاق بيننا سهلا ، بعضنا كان يقدر الامور باننا يمكن « نربيهم » ، والبعض كان يرى ان لا فائدة وعلينا الانسحاب الى عمان ٠ ولكن النقاش أكد اننا لن نتعامل مع الناس من موقع القمع والقوة ولن ننسحب من مواقع هي في الاساس سياسية اكثر منها عسكرية ، وأنه حتى لو حدثت خسائر فعندما تدرك الجماهير انها كانت مخطئة فستأتي الينا أفواجا ٠

عند فجر اليوم التالي ، ٣ـ٩ ، تحرك اثنان من الاخوة الى عمان عبر طرق فرعية كانت مفتوحة وحملا معهما رسالة الى الاخوة هناك تشرح الوضع وتقترح تفويت الفرصة على اي عميل بأن تطلب ما يسمى في أعراف البدو « بعطوة تفتيش » اي ان نقبل الاتهام ، ولكننا نطالب بتحقيق من المشايخ وذلك بدلا من اعتبار الامر كأنه شيئا لم يكن ٠ للاسف جاء الرد بعد يومين بأنه لا ضرورة لذلك مع تبرير استفزازي عن عواقب أي مساس بنا ٠ ولقد فضلت عندها الا أبلغ مضمون الرد لبقية الاخوان ٠ ولا أعرف حتى الان من الذي أرسل هذه الاجابة !!

٣ـ٩ـ١٩٧٠ :

مضى النصف الاول من النهار فيحوار مرهق مع شيوخ العشائـــر فرادى ومجتمعين · اكد كل منهم على انفراد عدم موافقته على قرارات الامس بعد أن عرفوا انني عرفتها ولكنهم ، مجتمعين ، كانوا يصرون على ضرورة فعل شـــيء ما ينقذ الموقف بعد حادثة القتل هذه ·

كانت السيارة المسلحة التي جاء بها الاخوة من معان لا تزال تقف بجـوار العيادة وقد لاحظها الاهالي ، وعندما صعد الشبل اليها وانزل رشاش الجرينوف جاؤوا واحدا بعد الآخر واعتبروا ان هذه البادرة دليل النوايا الطيبـة مـــن ناحيتنا ودليل الثقة فيهم أيضا ·

بعد الظهر أخذت حركة السير تنشط قليلا بين الشوبك ومعان وكانت فرصـة لعودة الاخوة مع سيارتهم ولكن بدون تركيب الرشاش الا بعد الوصول الـــى الطريق الدولية ، أي خارج منطقة الشوبك · كما أمكن ارسال رسالة أخـــرى الى عمان مع أحد الاخوة الطلاب من المدرسة الزراعية الذي اكد لي أنه سيمر بأمان لاسباب عشائرية باعتباره من ابناء عشيرة أردنية كبيرة في الشمال ·

عند الغروب توجهت لزيارة القاعدة القريبة في المنطقة [٧ كم] وعنـــد مروري بقرية « الجاية » دعاني شيخها ولما جلسنا اجتمع حولنا أهلها · وحين ابلغني أننا يجب ان نرحل في أمان بدلا من المشاكل انقسم أهل القرية وتصايحوا، فذكرت له انني مطمئن لاننا لم نفعل ما يسيء وانني لن اتصرف الا بأوامر من القيادة ·

في هذه الليلة اتصلنا تليفونيا بالطفيلة · كان الوضع متوترا ولكن دون ان يحدث شيء · اما في الكرك فقد عرفنا انه تمت محاولة استفزاز من جانـــب جنود يرتدون ملابس مدنية [اصطلح على تسميتهم بالجنود المجازين] حاولوا التظاهر ضد العمل الفدائي والوجود الفدائي واطلاق النار ولكن القوة المتمركزة بالقرب من الكرك [سرية جيش التحرير وبعض عناصر من فتح والصاعقـــة والجبهة الشعبية] أسرعت بالتمركز في القلعة · وفي الوقت نفسه تحركت القوى الوطنية في المدينة وهي قوى ذات نفوذ سياسي وعشائري وأوقفت محاولـــة الاستفزاز وطردت العناصر الاستفزازية من المدينة وهدأت الحالة ·

٤ـ٩ـ١٩٧٠ :

كان اليوم يوم الجمعة : موعد عيادة معان ، وموعد اجتماع أكبر مؤتمـــر للعشائر دعا اليه الشيخ فيصل الجازي في « الحسينية » · وكان لا بد مـــن

الذهاب الي معان حتى لا يفسر عدم فتح العيادة في هذا اليوم كبادرة انسحاب وحتى تكون متابعة أخبار توتر العشائر أولا بأول ٠

وصلت الى معان عند الظهر ، لم يكن هناك أي شيء على الطريق من الشوبك حتى معان ٠ لاحظنا يومها ان عدد المرضى الذين جاؤوا قد انخفض الى الثلث ومعظمهم حذرنا مما يدبر لنا ٠ اكدت تقارير « الرصد » ان وجوها غريبة كثيرة موجودة في البلد ، وان سيارات لاندروفر مسلحة وتحمل مسلحين تجوب البلدة أيضا تستفز الفلسطينيين بالشتائم والاهانات ٠ أما أخبار مؤتمر العشائر فقد وصلت في السادسة مساء ٠

عقدنا اجتماعا في مقر مكتب « فتح » في معان وتداولنا في الاوضاع وعرفنا ان قرارات مؤتمر العشائر تتضمن اجلاء الفدائيين عن الجنوب وغير ذلك من قرارات تدعم الملك ٠ وأعلن واحد من الشيوخ انه في حال عدم تنفيذ المطالب « نفصل من القطران وجنوب وننضم للسعودية » ٠ قدرنا أنه في حال بدء اي هجوم ستكون منطقة الشوبك هي هدف المهاجمين لوجود قاعدة فدائية هناك ٠ وأكدنا اتفاقنا السابق : لا انسحاب ولا اختفاء ولا اطلاق نار على الجماهير ٠ وعدت الى الشوبك فبلغتها في المساء ٠ وهناك عرفت ان جثمان الجندي القتيل سيصل المنطقة في اليوم التالي وكأن الامر مرتب لكي يتوافق وقرارات مؤتمر العشائر ٠

: ٧٠/٩/٥

منذ الصباح الباكر تواردت شائعات عن تظاهرات معادية للوجود الفدائي في الجنوب تطوف شوارع معان وتطلق النار في الهواء ، وان هناك تظاهرة مماثلة تتجمع في ساحة الطفيلة ولكنها لم تنجح في جمع احد حولها ٠

اما في الشوبك فقد عقد شيوخ العشائر اجتماعا في ساحة امام العيادة الشعبية عند مكتب البريد ، ثم ارسلوا في دعوتي اليهم ٠

ذهبت حيث وجدت معهم من قدموه باسم الزعيم علي م من الجيش ومن ابناء المنطقة ٠ دار الحديث حول ضرورة عمل شيء [اي اخذ عطوة ودفع دية] بالنسبة لحادث القتل حتى يمكنهم تفويت الفرصة على « اولاد الحرام » ٠ لم يكن الرفض المباشر ممكنا ولا معقولا ولكنني طلبت منهم انه « اذا اقسم اربعة من العقال على ان القاتل هو من « فتح » او حتى من الفدائيين فانني على استعداد لطلب العطوة فورا بل وافوضهم هم كجاهة لطلبها من اهل المغدور » ٠ بالطبع لم يقبل واحد منهم بأن يقسم على ما طلبت ٠ فليس من بينهم من شاهد الحادث ولا تحقق من تفاصيله ٠ انتهى الاجتماع بأن استأذنت منهم

وتركتهم يتداولون وعدت الى العيادة · ومضى النهار في اتصالات مع اهـــل الشوبك انفسهم الذين كانوا يتصرفون جميعا كأنهم يبحثون عن مخرج يضمـــن عدم المساس بالفدائيين وفي الوقت نفسه يهدىء ثائرة عشيرة المغدور ويغلق الباب امام الذين يحاولون تفجير منطقة الشوبك من خارجها ·

طوال الوقت كانت الشائعات تصل عن احداث دامية في معان ·

وعند الغروب اتصل محافظ معان بي تليفونيا وابلغني بصوت متأثر انـــه حدثت احداث مؤسفة وان هناك اربعة قتلى وسبعة جرحى من الفدائيين وسألني عن كيفية التصرف بجثث القتلى : هل يدفنون في معان ام سننقلهم الى عمان ؟· سألته عن هوية القتلى فقال بعد تردد : احدهم كان يعمل ممرضا معك · عرفت انه سمير عزام·لم استطع السيطرة على انفعالاتي ·بكيت·ورفضت دفن الشهداء في معان وطلبت منه ضرورة تسهيل وصولي الى معان حتى ارى الشـــهداء والجرحى قبل ان اقرر اي شيء ·

احداث معان :

هذه هي احداث معان كما رواها لي من شهدوها والذين شاركوا فيها فـــي اليوم الثاني :

في السابعة والنصف من صباح يوم ٧٠/٩/٥ دخل الى المدينة حوالـــي « ١٥٠ » من الجنود الذين يرتدون ملابس مدنية [« جنود مجازون »] وانضم اليهم صباح كريشان وعدد من رجاله في سيارات مسلحة ، وطافوا في البلدة يهتفون بشعارات معادية للفدائيين والثورة وبحياة الملك حسين · اغلقت المدارس وخلت الشوارع من الناس خوفا مما سيحدث وتجمع عدد من تلاميذ المدارس حول التظاهرة التي توجهت الى مقر المحافظ · هناك خرج اليهم المحافظ وألقى فيهم كلمة حاول فيها تهدئتهم وطالبهم بالعودة الى اعمالهم والكف عن اعمـــال الاثارة ووعدهم بأن ينقل مطالبهـــم [اجـــلاء الفدائيين] الـــى « سيـــدنا » [الملك] · ولكن التظاهرة تركت مبنى المحافظة وتوجهت نحو مكتب « فتح » ·

طلب المحافظ انزال قوات الجيش الموجودة بالقرب من معان ولكن هذا الطلب لم ينفذ على الفور وارجىء البت فيه ·

في هذه الاثناء كانت عناصر مكتبي الجبهة الشعبية والصاعقة (وهم ثلاثة في مجموعهم) قد انتقلوا الى مكتب « فتح » واصبح عدد الموجودين فيه احد عشر اخا ·

اخذت مظاهرة الجنود تطلق النار وقذائف الانيرجا نحو المكتب وقد ساقـــت

امامها مجموعة من اطفال المدارس · لم يطلق احد من الموجودين في المكتب النار · ولم يكن ذلك ممكنا ليس لاننا اتفقنا على عدم اطلاق النار على الجماهير فقط وانما لانه : « على من نطلق النار ، على اولاد وبنات صغار ؟! » حسب ما قاله لي احد الاخوة الجرحى في اليوم الثاني ·

استمر اطلاق النار نصف ساعة · طوال الوقت كان الشهيد سمير عزام [كادر من التنظيم الطلابي لفتح التحق بالقطاع الجنوبي في اول حزيران ١٩٧٠ وارسل الى معان لدعم النشاط فيها بالكوادر] يردد بأعلى صوته الامر بعدم اطلاق النار على الجماهير · استشهد اثنان من الاخوة · نزل سمير من فوق سطح المكتب وفتح الباب وخرج الى المتظاهرين ، وتقدم حتى وقف بينهم · توقف اطلاق النار وسمع سمير وهو يقول بصوت عال : « نحن اخوة · جينا هنا لمحاربة الاسرائيليين وتحرير فلسطين ··· » ثم سمعت طلقة واحدة [اطلق احدهم النار من الخلف على الشهيد] · سقط سمير على الارض وتقدم عميل وداس على رقبته بالبسطار وقال : « جول يعيش سيدنا » · حاول سمير ان يرفع جسمه على ذراعيه فأطلق عليه العميل النار فاستشهد ···

في هذه اللحظة انتشر اطلاق النار في المدينة كلها · خرج الاهالي من البيوت وخرج من بقي حيا من الفدائيين من المكتب واخذت العائلات تدفع بهم الى البيوت · واطلق رجال الامن النار على بعضهم البعض وعلى المتظاهرين والفدائيين وكاد الامر يتحول الى حرب اهلية · عندئذ وصلت كتيبة من الجيش وفرض حظر التجول · ونقل اربعة شهداء وسبعة جرحى الى المستشفى · وبدأت الاتصالات مع شيوخ العشائر للسيطرة على الموقف · وانسحب الجنود المجازون ·

الشهداء في هذه المذبحة هم الشهيد سمير عزام (سبق تعريفه) والشهيد صبحي جبريل (مساعد صيدلي ـ كادر في القطاع الجنوبي ـ) والشهيد حسن سليم (من التنظيم الطلابي ـ فتح ـ معان ، من اسرة فلسطينية تقيم في المنطقة منذ ١٩٤٨) والشهيد محمود حسن (من التنظيم الطلابي ـ فتح ـ معان ـ من اسرة فلسطينية تقيم في المنطقة منذ ١٩٤٨) ·

لا بد ان نذكر ان جميع الاخوة في المكتب كانوا مسلحين بأسلحتهم الفردية ، بالاضافة الى رشاش متوسط مع ذخيرته ، و ١٠ صواريخ ٣ر٥ بوصة · وهو قدر من السلاح كاف اذا استخدم لايقاع اصابات كبيرة بين المهاجمين · كما لم تحدث حوادث سلب ونهب لاي مقر او مكتب باستثناء المكتب الذي هوجم واحترق نتيجة قذائف الانيرجا · ظلت العيادة بما فيها سليمة لم يقترب منها احد ·

احداث الطفيلة :

في الطفيلة كانت المحاولة نفسها التي تمت في معان ، ولكن الاوضاع في الطفيلة كانت غير الاوضاع في معان · فالطفيلة منذ بداية الوجود الفدائي في جنوب الاردن ، كانت مركزا للقيادات والنشاطات كما انها سكانيا تتكون من عشائر غير بدوية وذات تاريخ وطني وفيها عناصر نشطة سياسيا لعدد من الاحزاب العقائدية ·

صباح يوم ٧٠/٩/٥ لم يكن في الطفيلة سوى اربع عناصر حراسة موجودين في العيادة ومقر قيادة جيش التحرير الفلسطيني · دخلت مجموعة من « الجنود المجازين » القادمين من خارج الطفيلة وبدأوا الهتاف ضد الوجود الفدائي في ساحة البلدة ثم اطلقوا النار في اتجاه مقر العيادة والقيادة · خلت الشوارع من الناس تماما وكان واضحا ان مجموعة « الجنود المجازين » معزولة عن اهل البلدة · استخدم الفدائيون مكبر صوت يدوي في توجيه نداءات وانذارات تطالب بوقف هذا العمل الاستفزازي ولكن « الجنود المجازين » استمروا في اطلاق النار · اصيب اصابة قاتلة رجل بسيط كان في حديقة مبنى البلدية الواقع بين ساحة البلدة وبين العيادة · حاول الفدائيون الاربعة الوصول اليه وسحبه الى العيادة لعلاجه ، ولكن الجنود اطلقوا النار تجاههم · عندئذ اطلق الاخوة قذيفة « ب ٧ » انفجرت في الهواء [العيادة تقع اسفل تلة والساحة عند منتصفها] ثم وجهوا نداءاتهم بمكبر الصوت · توقف اطلاق النار ، ثم حضرت امرأة الى العيادة وابلغت الشباب ان الشيخ رئيس البلدية يطلب منهم عدم اطلاق النار وانه سيتم ابعاد « الجنود المجازين » من البلدة ·

في هذا الوقت كانت مجموعة من مجموعات جيش التحرير المتواجدة على طريق الكرك ـ الطفيلة قد بلغها ما يحدث في الطفيلة فتحركت نحو مثلث الطفيلة الواقع على قمة الجبل واغلقت الطريق اليها · وعند وصول باص من الكرك الى الطفيلة احتجزته بركابه واطلقت ثلاثة صواريخ على الوادي المجاور للطفيلة كانذار ثم ارسلوا وفدا من ركاب الباص الى البلدة يحمل رسالة الى شيوخها ·

ثم وصل من الكرك عدد من الاخوة المسؤولين بينهم طبيب الخدمات الطبية بقوات العاصفة المتواجدة في منطقتي الكرك والطفيلة وساهم ذلك في عدم تصعيد الرمايات وتهدئة خواطر ركاب الباص الذين سمح لهم بمتابعة السير الى الطفيلة ·

اعقب ذلك اجتماع عقد في مبنى المديرية في الطفيلة حضره ممثلون عن الفدائيين بينهم الطبيب كماحضره شيوخ عشائر الطفيلة ورئيس المجلس البلدي

فيها وقائمقام الطفيلة وقائد شرطتها ٠

اتضح في هذا الاجتماع ان ما حدث كان من تخطيط وتنفيذ قوى من خارج الطفيلة لتنفيذ قرارات مؤتمر العشائر الذي عقد في اليوم السابق ٠ ولكن سكان البلدة تمسكوا بوجود « فتح » وجيش التحرير وواجهوا المطالبين بابعاد الفدائيين بحزم ٠ وتم الاتفاق على ذلك ، اذ لم يكن موجودا في المنطقة بالفعل سوى فتح وجيش التحرير ولكن لسبب لم افهمه حتى الآن قرر الاخوة العسكريون من جيش التحرير ضرورة سحب المتواجدين في الطفيلة الى الكرك بحجة التجمع وعدم الانتشار في هذه الظروف والتركيز على مدينة الكرك ٠

وهكذا خرج الفدائيون من البلدة ، وقد ادى ذلك ـ كما ابلغني واحد من شيوخ الطفيلة فيما بعد ـ الى اضعاف موقف العشائر المؤيدة للفدائيين وسمح لانصار الملك بأن يعيثوا فوضى وفسادا في البلدة ، فهاجموا العيادة ومقر القيادة المجاور ونهبوهما وعندما حاول رئيس المجلس البلدي وقفهم ، صفعه على وجهه في ساحة البلدة واحد من « الجنود المجازين » ٠ فانسحب الرجل الى قريته خارج الطفيلة بعد ان ادرك ان هذه هي اوامر القصر عقابا على موقفه السابق ٠

١٩٧٠/٩/٦

قبل الفجر وصلت من معان الى عيادة الشوبك سيارة جيب تابعة للامن العام وفيها اربعة جنود مسلحون ٠ كان الاتفاق قد تم مع محافظ معان ان لا يتم دفن الشهداء الاربعة قبل ان اراهم ، فأرسل السيارة في هذا الوقت لاصطحابي الى معان ٠ كان الجنود متوترين وعندما خرجت معهم طلبوا مني ان احمل سلاحي كاملا معي واكون مستعدا في الطريق ٠ اجلسوني في المقعد الخلفي بين اثنين منهم ٠ من الواضح انه تم اختيار الجنود بعناية على اساس موقفهم من العمل الفدائي ٠ كان اثنان منهم فلسطينيين والآخران من منطقة الشمال ٠

وصلنا الى معان وتوجهنا على الفور الى منزل رئيس شرطة المحافظ الزعيم نواف سعود القاضي ٠ هناك تركت سلاحي وتوجهت في السيارة نفسها مع الجنود ذاتهم الى مستشفى معان ٠

كنت اعرف المستشفى جيدا ، والعاملين فيه بل وبعض المرضى ايضا ٠ اسرعت الى القاعة التي خصصت للشباب الجرحى الذين اصيبوا في اليوم السابق ٠ احدهم اجريت له عملية بتر تحت الركبة والباقون في حالة جيدة نسبيا ٠ بكى واحد منهم عندما ذكر سمير عزام وما جرى له ، وقال الآخر : « ما طخيناش ولا كان ممكن نطخ ، نطخ على مين ، على اطفال سايقينهم

قدامهم !! » · طلب مني احدهم ان اطمئن عائلته ونبهني ان اذاعة الثورة قد اذاعت في مساء اليوم السابق ان جميع الموجودين في معان قد ذبحوا وعائلته تعرف انه في معان · طمأنتهم ووعدتهم بالعودة مرة اخرى ، ونزلت الى حيث قيل ان الشهداء اودعوا ·

كانت غرفة كبيرة نسبيا في الطابق الارضي ·· ليست هي غرفة الموتى في المستشفى ولا بد انها مخزن افرغ على عجل ·· كانت عارية من كل شيء · ليس فيها الا الشهداء الاربعة الذين وضعوا على الارض بجوار بعضهم وبين كل منهم والآخر مسافة متر تقريبا · امام الباب الذي يفتح مباشرة على الساحة الخلفية للمستشفى كان صبحي جبريل ، بشعره الاحمر ووجهه ذي النمش وصرامته المعهودة · بقعة صغيرة من الدماء كانت تحت الرأس مباشرة · على يساره كان سمير عزام · ازداد وجهه سمرة وهدوءا · ذراعاه مثنيتان على صدره ولكن دون ان تتقاطعا ، بنطلونه مخضب بالدماء من الناحية اليمنى وقد انزاح قميصه الخارجي والداخلي عن بعض صدره وخاصرته ومخرج الرصاصة القاتلة واضح · على يسار سمير كان واحد من الشهيدين محمود حسن أو حسن سليم كان يميل بوجهه نحو الحائط الايسر ولم استطع رؤيته جيداً فقد كان في زاوية الغرفة البعيد المعتم ولكن مؤخرة الرأس كانت مهشمة تماما ، ثم الشهيد الرابع ·

اقتربت من صبحي ومن سمير ووقفت بينها ، وقبل ان انحني عليهما سمعت صوت المرضة خلفي وهي تناديني « الحق يا حكيم ·· الحق يا حكيم واحدة بتولد وجالها نزيف » ·· استدرت وتبعتها · في الطابق الثاني ، في غرفة الولادة كانت امرأة على طاولة التوليد شاحبة الوجه وفي جوارها طفل حديث الولادة ، وهي تنزف · ادركت ان الحبل السري قد انقطع من المرضة اثناء التوليد · طلبت من المرضة ان تجهز كفوفا طبية واسرعت اربط الحبل السري للطفل بملقط جراحي · وربت على رأس المرأة مهدئا فتمتمت بدعوات لم اسمعها ثم ارتديت الكفوف واخذت احاول الامساك بطرف الحبل السري الآخر الذي ارتد الى رحم المرأة نازفا · بعد دقائق امسكت به وربطه بملقط جراحي آخر وطلبت من المرضة تركيب مصل للمرأة · وعندما كنت انزع الكفوف سمعت المرأة تمتم بصوت اعلى بالدعوات · استدرت قبل ان اغادر الغرفة وقلت لها : « الحمد لله على السلامة » ·

نزلت الى مدخل المستشفى حيث الجنود ينتظرونني · سمعتهم يتحدثون عن توجه شاحنات تحمل اعدادا كبيرة من بدو وادي القويرة [لم نكن نصل الى هناك ابدا ولا صلة سابقة لنا بهم] الى الشوبك حيث سيقومون بحصار القاعدة والعيادة · طلبت من الجنود ان نسرع بالعودة فأخذوني الى منزل

الزعيم نواف القاضي (ابو عرب) حيث تركت سلاحي · حاول ان يقنعني بالبقاء عنده ولكنني اقنعته ان وجودي في الشوبك ضروري لحماية بقية الاخوة هناك وان عدم عودتي سيقلقهم على اي حال · امرهم باعادتي بسرعة والاحتياط في الطريق · وعندما قطعنا مثلث ابو مخطوب على طريق عنيزة ـ الشوبك شاهدت احد الاخوة من ميلشيا البدو المفترض وجودهم على مسافة « ٤ » كم من هذا المكان · كان وحده ومتجها نحو الجنوب · ادركت ان شيئا ما قد حدث للقاعدة ·

عند وصولي الى العيادة اصبحنا اربعة : السائق والشبل والمدرس وانا · على بعد سبعة كيلومترات كانت القاعدة وبالقرب منها كان مستودع التموين ، وعلى مسافة اربعة كيلومترات جنوبا كانت المدرسة الزراعية حيث اقرب تجمع غير عشائري ·

سلاحنا كان اربعة بنادق آلية مع كل منها وحدتان ناريتان ومسدسان ورشاش متوسط « الفا » مع سبعة مخازن · كان لدينا طعام محفوظ وبطاطا ·· لم يكن لدينا خبز ·

اشرقت الشمس من وراء التلة الواقعة امام العيادة · كانت الساعة قد بلغت حوالي السابعة صباحا ··· حضر قائمقام الناحية معزيا في شهداء معان وطلب مني بلطف ان نضبط اعصابنا وقال انه سيبذل اقصى ما يستطيع ·

عند خروجه تقابل في الطريق امام العيادة مع جرار يسحب مقطورة مليئة بالبدو القادمين من خارج المنطقة · اشار لهم بالوقوف فأجابوه باطلاق الرصاص في الهواء ·

لاحظنا من باحة العيادة ان المسلحين ينتشرون في حرش التلة الواقع امام العيادة وحتى الساعة العاشرة كنا نسمع طلقات نارية من مسافات بعيدة ولكن لم يكن اطلاق النار من الحرش ··

بعد حوالي نصف الساعة سمعنا هرجا شديدا على الطريق وصيحات ، ثم لاحظنا ازدياد عدد المسلحين في الحرش امامنا · وبدأ اطلاق النار في الهواء بكثافة · جاءنا من يقول ان القاعدة لم يعد فيها احد منذ الصباح وان الجيش قد اخلى مستودع التموين واعتقل الاخوين الموجودين هناك ·

تقدم نحونا رجل مسن يحمل بندقية انجليزية قديمة · لم يكن من اهالي الشوبك · كنا نحن الاربعة متوزعين داخل وخارج غرفة العيادة في الظل وخلف الجدران ولم يكن سهلا على الواقفين في الخارج تحت الشمس ان يرونا ·· بسرعة خلعت الجعبة الصدرية ووضعت البندقية جانبا وخرجت لملاقاة الرجل ·

عندما وصل الى باحة العيادة سأل عن الحكيم فلما اجبته اخذ يهدد ويتوعد ويلوح ببندقيته ويطلب منا ان نرحل · كانت كلماته : « اجلب (اقلب) وجهك » تتكرر كأنما لا يعرف غيرها ·

في لحظات ، وكأنما هبطوا من السماء ، وجدت عددا من رجال ونساء الشوبك وقد احاطوني بحيث يصعب اطلاق النار من على التلة دون اصابتهم · علت اصواتهم جميعا تطالب الرجل بالرحيل وتطيب خاطرنا وتنصحنا بالابتعاد عن الخطر · عندما خرج الرجل مهددا بقي عدد من اهالي الشوبك معنا ·

قال لي شيخ جليل منهم : « نحن لم نقتل الاتراك كغيرنا وقت ان جاء لورنس · انتم خدمتمونا ولم نر منكم شرا ولا يمكن ان نسمح لاحد بأن يمسكم » ·

عرفت ساعتها ان هذا هو قرار اهل الشوبك ·· بقينا في العيادة حتى الواحدة ظهرا · لاحظنا وصول سيارات مسلحة من الامن والبادية والجيش · وعرفنا من اهل الشوبك ان المحافظ ومدير شرطة معان وشيوخ العشائر مجتمعون في مقر مديرية الشوبك التي تبعد حوالي مئتي متر عن العيادة ·

ثم حضر الى العيادة ملازم اول يدعى رياض ومعه سيارة مسلحة برشاش « ٥٠٠ » ، وابلغني ان « سعادة المحافظ يطلب حضوري الى مقر المديرية » ·

خرجت معه فأسرع واحد من جنوده بالسير بجواري فأصبحت بينهما وفهمت ان ذلك لحمايتي من اي محاولة قنص · ورغم ان المسافة قصيرة ركبنا السيارة المسلحة ·

امام مبنى المديرية لاحظت ان عددا من اتباع الشيخ فيصل الجازي وحراساته يقفون على الجانب الايسر من الطريق · نزلت من السيارة فسمعت احدهم يقول بلهجة مصرية متعمدة : « هوه ده الجدع ·· معاه فرد على وسطه ··· خده منه » ·

هي لحظات ، وامامي درج من خمس درجات كنت على اولها عندما سمعت وقع الاقدام خلفي وكنت على آخرها عندما دفعت اليد التي امتدت الى مسدسي · ودخلت غرفة الاجتماع ·

كان محافظ معان يجلس خلف طاولة قائمقام الناحية ، بجواره جلس الزعيم نواف سعود القاضي · وكان الشيخ فيصل الجازي جالسا امام الطاولة وفي الغرفة الصغيرة اجتمع كل شيوخ عشائر الشوبك وعدد من شيوخ الجنوب ·

□

دار حوار متوتر ٠٠ وفهمت ان هناك بعض العشائر تطلب رحيلنا من المنطقة ، ولكن عشائر الشوبك ترفض ان تطلب منا ذلك ، ولا ان يمسنا احد بسوء ٠ والمشكلة ان هذا الموقف قد يؤدي الى اقتتال العشائر ٠ عندما تحدث الشيخ فيصل الجازي حاول ان يفصل بين العيادة ومن فيها وبين وجود القواعد الفدائية فأوضحت لهم أن وجود العيادة هو نتيجة وجود الفدائيين ٠٠ ثم سألته :« لنا ثلاث سنوات في الجنوب ، هل يمكن ان تذكر خطأ واحدا ارتكبناه في حق سكانه ؟ » ٠ قال : « اشهد لله ابدا ٠٠ ولكن اخوانكم في عمان ذبحوا ولادنا » ٠ قالها باشارة من يده تدل على الذبح ٠٠

قلت على الفور : « ولا تزر وازرة وزر اخرى » ٠ فصاح الشيخ هارون الجازي شيخ حويطات ادرح « صدق الله العظيم ٠٠ صدق الله العظيم » ٠٠ وتمتم الحاضرون بها ٠

هدأ الجو قليلا ٠ سألت عن مصير الاخوين اللذين اعتقلا ، فأخذني الزعيم ابو عرب (نواف القاضي) الى غرفة اخرى حيث وجدتهما جالسين وامامهما طعام الغداء ٠ كما عرفت انه تم تفتيش المدرسة الزراعية ومنازل الاسر الفلسطينية بحثا عن السلاح ٠

اما عن القاعدة القريبة ، فعندما بلغ من فيها من الاخوة نبأ الانسحاب من الطفيلة انسحبوا باتجاه الكرك عبر الجبال تاركين وراءهم الاخ الذي رأيته في الصباح ليبلغهم بما سيجري ٠

ألح المحافظ ومدير الشرطة على ضرورة مغادرة المنطقة ضمانا لامننا ، ونبهانا الى حرج عشائر الشوبك التي لا تريد الدخول في قتال ضد عشائر اخرى وبالذات ضد فيصل الجازي ٠ وفي الوقت نفسه لا تريد اخراجنا من عندها ٠ اتفقنا اخيرا أن اعلن رغبتنا في مغادرة المنطقة مؤقتا حتى نحول دون اقتتال الاخوة شاكرين لاهل الشوبك ما قدموه ، وان يعلن المحافظ من جانبه استضافتنا عنده حتى تهدأ الاحوال ونعود ، وان نخرج بكامل سلاحنا وسيارتنا العسكرية معنا ٠

عدنا الى مقر الاجتماع حيث اعلنا ما اتفقنا عليه ٠ بالطبع مانع اهل الشوبك من قبيل المجاملة والحفاظ على الكرامة ولكن كان واضحا انهم قد ارتاحوا للقرار ٠

رتب المحافظ ومدير الشرطة « موكبنا » ٠٠ عدنا الى العيادة ، ومعنا الاخوان اللذان كانا قد احتجزا من مستودع التموين ٠ حمل كل منا سلاحه ووزعنا مدير الشرطة على السيارات المسلحة بين جنود البادية وضباطها ٠ اما سيارتنا فقد قادها احد شيوخ الشوبك وجلس بجواره الاخ السائق وعلى يمينه بجوار

النافذة شيخ آخر · كما تعمد مدير الشرطة ان يعلن عن الطريق الذي سنسلكه الى معان امام الحاضرين والمتجمهرين · ودعنا بعضنا وبكينا جميعا وانطلق الموكب ·

غير ضابط القوة طريق الموكب المعلن وقال لي ـ وكنت اجلس بينه وبين سائق السيارة : « هذه هي الاوامر الحقيقية » ـ

كان مدير الشرطة يخشى الكمائن على الطريق وقد رأينا واحدا منها ينتظر عند مدخل معان الشمالي من حيث كان يتوقع وصولنا ، ولكننا دخلناها من الجنوب ·

افردت لنا قاعة كبيرة في الطابق الثاني من مبنى المحافظة امام مكتب مدير الشرطة وبجوار مكتب المحافظ · فرشت بالفرشات والبطاطين · وفيها اقمنا تسعة ايام حتى رحيلنا الى عمان يوم ١٥ـ٩ـ١٩٧٠ ·

في مساء يوم ١٩٧٠/٩/٦ زارنا في مقرنا الجديد في محافظة معان الشيخ محمد الشراري وعدد من شيوخ معان ومعهم مدير الشرطة وكانت مناسبة نشرح فيها وجهة نظرنا فيماحدث · كانوا متأثرين لاستشهاد الشباب الاربعة وانكروامرارا ان يكون اي واحد من ابناء معان قد شارك في هذا العمل · اكدنا لهم اننا نعرف الفاعل بالاسم وانه حتى لو كان من معان فليس معنى ذلك ان عشيرته او ابناء بلده يوافقونه ·

سألنا الشيخ الشراري عن السبب الذي جعل الشباب لا يطلقون النار على « المظاهرة » فقلت له : « لاننا نريد تحرير فلسطين ، ومعان مدينة هامة في الطريق اليها · ولو كنا اطلقنا النار لقتلنا على الاقل عشرين قبل ان يستشهد الشباب ، ولكننا كنا قد اقمنا بذلك عشرين حاجزا من الدم العشائري بيننا وبين اهل معان · الآن نحن لنا حق ·· نؤجله حتى تحرير فلسطين ، وقد نتنازل عنه لوجهها بعد ذلك » ·

قال واحد من الشيوخ : « سيبقى دم الشباب على رؤوسنا في معان وحق لكم ·· عار علينا وعلى اولادنا » ·

ثم استأذننا الشيوخ في دفن شهدائنا الاربعة نظرا لانقطاع طريق عمان · وافقنا شرط ان يودع كل منهم في تابوت ويكتب عليه الاسم حتى يمكن نقله فيما بعد ··

وانتهى يوم ١٩٧٠/٩/٦ ، وقد انتهى الوجود الفدائي العلني في جنوب الاردن باستثناء قوة جيش التحرير الفلسطيني ومن لحق بها المتمركزة في مدينة الكرك ·

□

خاتمة بدون تفاصيل :

بقينا تسعة ايام في « ضيافة » المحافظ · كنا « معتقلين » فيما يخص التحرك ولكن كان معنا سلاحنا ، ونستقبل زوارنا ونتلقى الطعام من منازل الانصـــار والعشائر الصديقة ·

زارنا كل شيوخ العشائر التي كانت لنا بها علاقة تقريبا · استنكروا ما حدث وجددوا تأييدهم لنا ، وكان ابرز الزائرين الشيخ محمد ابو تايه الذي لم نكن قد اتصلنا به من قبل لوجود عشيرته الكبيرة شرقي الطريق الدولي في الصحراء الممتدة حتى العراق ·

تجمع معنا في القاعة عدد من الاخوة الذين خرجوا من المستشفى بعـــد شفائهم واثنان آخران كانا مختبئين ·

في يوم ١٩٧٠/٩/٩ عرفنا من اذاعة الثورة انه قد تقرر الدعوة الى الاضراب العام حتى اقامة حكم وطني ديموقراطي في الاردن · كان معنـــى ذلـك ضرورة الاسراع بالوصول الى عمان قبل صدام محتوم ونحن في عزلة في معان ·

ألحينا على مدير الشرطة ان يسهل لنا ذلك قبل موعد بدء الاضراب [١٧/ ١٩٧٠/٩] وقد فعل · رتب لنا موكبا مسلحا ، انتقى له ضباطا وجنودا مـن البادية ليضمن ان يحافظ علينا خلال الطريق الدولية الطويلة المهجورة والمقطوعة الى عمان التي وصلناها في عصر يوم ٧٠/٩/١٥ ونقلنا على الفور الى مقـر قيادة الكفاح المسلح ، ومنها الى مقر القيادة العامة لقوات العاصفة ، ومن ثم التحق كل منا بوحدته وقطاعه ·

اما القوة المتبقية في مدينة الكرك ، فانها قرب انتهاء احداث ايلول وتوقـف القتال تركت الكرك بدون سبب واضـح لي حتى الآن ، وتمركـزت فـي وادي الموجب السحيق · وهناك شن الطيران الاردني غاراته عليهم وتم الاتفاق على انتقالهم الى عمان برعاية اللجنة العربية ·

□

اعتذار ضروري

بعض التفاصيل كان من الضروري ذكره ، والكثير منها اغفل عمدا رغـم تذكره ·

لم تكن ايام ايلول في جنوب الاردن ثمرة جهود افراد معينين وانما جهـود مجموعة كبيرة من الاخوة الذين لا يزال بعضهم يمارس مسؤولياته والذين قدم بعضهم حياته على الطريق في ايلول وبعد ايلول ٠

كما ان عدم ذكر مواقف واسماء اولئك الذين وقفوا الى جانب الفدائيين في جنوب الاردن دافعه الخوف عليهم فهم لا يزالون هناك ، وهم لا يزالون معنا ٠٠ لم ننقطع عنهم ولم ينقطعوا عنـا ، وبعضهم دفع الثمـن مـن راحته وحريته ورزقـه ٠

يقول « الخبراء » ان البدوي لا يحترم الا احد احمرين : الدم او الذهـب ، وتقول خبرة الثورة الفلسطينية في جنوب الاردن ان شيئا آخر يحبه البـدوي ويحترمه اكثر كثيرا من هذين الاحمرين : ذلك هو الانتمـاء الفعلـي للنـاس وللارض وللقضية ٠

حسين أبو النمل

الاحصائيات الاسرائيلية : بيانات محذوفة ، وحقائق سياسية

تستعمل المصادر الاحصائية لاي دولة من الدول ، مجموعة من الرموز والمصطلحات ، التي ترد في الجداول المنشورة ، وفي العادة توضع معاني هذه الرموز في مقدمة السلسلة الاحصائية · والمتتبع للاحصائيات الاسرائيلية يلاحظ استعمال رمز معين الا وهو (··) (نقطتين) مكان بعض الارقام وذلك في الاحصائيات الخاصة بسنوات ما بعد ١٩٧٢ · بالنسبة لبعض المواضيع ، وللعام ١٩٧٥ ، بالنسبة لمواضيع اخرى ·

بالعودة لمقدمة كتاب الاحصاء السنوي سنة ١٩٧٦ اتضح ان الرمز المشار اليه يعني (UNOBTAINABLE OR NOT FORPUBLICATION) اي ما معناه « غير ممكن الحصول عليه او ليس للنشر · » ومن الطبيعي ان لا تكون الارقام واضحة ، ولكن من المهم ايضا معرفة عما اذا كان السبب عدم الوضوح ، او ان البيانات ليست للنشر · واذا كانت البيانات ليست للنشر ، فماذا تمثله من اهمية وهل من الممكن معرفة خلفياتها ، واسبابها ؟

علينا اولا استبعاد سبب « عدم الوضوح » ، بالذات بالنسبة للاحصائيات الاسرائيلية وهي المعروفة بدقتها ووضوحها ، وبتبويبها بشكل تفصيلي وسليم · وطالما فسر توجه بعض الباحثين نحو الدراسات الاسرائيلية بسبب توفر البيانات على عكس غيرها من المواضيع · والامر الثاني هو الفترة الزمنية ، التي بديء بها حجب البيانات ، تحت حجة عدم الوضوح، او ليست للنشر ، وهي الفترة التالية للعام ١٩٧٣ · والامر الثالث المجالات التي تحجب المعلومات الخاصة بها · وهي بالذات موضوعي مصادر الهجرة الاسرائيلية ، والواردات الاسرائيلية وبالاخص من بعض المناطق ، كالسوق الاوروبية المشتركة مثلا وواردات اسرائيل منها ·

ورب متساءل ، قد تكون البيانات الخاصة ببعض السنوات غير واضحة ، ومن هنا يوضع الرمز المشار اليه مكان البيانات الناقصة ؟ ومع وجاهة مثل هذا التساؤل ، ولكن

من خلال مقارنة البيانات الخاصة ببعض السنوات حسب ما وردت في السلسلات المختلفة يتضح ان بيانات خاصة بعام معين ، قد وردت بشكل كامل في السلسلة الخاصة بعام معين ، ولكن عندما وردت بيانات العام نفسه في سلسلة اخرى غيبت البيانات المشار اليها واستبدلت بالرمز المشار اليه٠وعلى سبيل المثال لا الحصر، البيانات الخاصة بالهجرة للعام ١٩٧٢ ، عندما وردت في السلسلة الاحصائية الصادرة عام ١٩٧٣ وردت بشكل كامل ، سواء بالنسبة لمصادر الهجرة او ارقام الهجرة ، ولكن عندما وردت بيانات عام ١٩٧٢ في السلسلة الصادرة عام ١٩٧٤ وعام ١٩٧٥ وعام ١٩٧٦ غابت اسماء بعض مصادر وارقام الهجرة ٠

بالاضافة الى ما تقدم يستعمل عادة في الاحصائيات تعبير « غير معروف » او متفرقات او « غير محددة » وذلك للاشارة الى بعض التفصيلات غير الملحة او غير معروفة المصدر٠ وبالاجمال فان نسبة ما يتدرج تحت مثل هذه العناوين ، يكون عادة غير مهم ، كما ، ونوعا ، ولا يشكل نسبة يعتد بها ، ويتكون في العادة من الامور التي لا يمكن تصنيفها او ليست من الاهمية بحيث تصنف ٠ وبالنسبة للاحصائيات فقد درجت على استعمال تعبيرين خاصين بمصادر ما يرد اليها ، وهما « بلدان اخرى » و « بلدان غير مصنفة » وفي شأن صادراتها وارداتها تستعمل تعبير « متفرقات » ٠ وحتى العام ١٩٧٢ كان ما يدرج تحت بلدان اخرى ٠٠ وغير مصنفة ٠٠ ومتفرقات من بيانات ، هي تلك التفاصيل التي لا يعتد بها ولا تشكل من المجموع العام نسبة ذات قيمة ٠ ولكن بعد ١٩٧٢ لم يعد معنى غير مصنفة وبلدان اخرى ومتفرقات يحمل المعنى التقليدي والمتعارف عليه ، اي وضع البيانات التي لا مكان آخر لها ، ولكنها اصبحت « محلا » للبيانات التي من الصعب تصنيفها لاسباب سياسية ، وليس لاسباب فنية كما هو متعارف عليه ٠٠

ان قراءة دقيقة ومقارنة للاحصائيات الاسرائيلية لسنوات عدة ما قبل ، وما بعد ١٩٧٢ يكشف لنا اشياء كثيرة تحاول اسرائيل التستر عليها ، ليس حرصا على مصالح الاخرين، بل حرصا على مصالحها بالدرجة الاساسية ٠ وتمس هذه المسألة قضيتين في منتهى الخطورة ، الاولى الهجرة لاسرائيل ، ومصادر الهجرة ، والثانية واردات اسرائيل ٠ وسواء الاولى او الثانية فانها تمس اخطر عقدة تجابه اسرائيل الا وهي ندرة الموارد الاقتصادية لديها ، الموارد البشرية او غير البشرية ٠٠

مصادر الهجرة من بلدان اخرى

في كافة السلاسل الاحصائية الاسرائيلية تقسم مصادر الهجرة الى المناطق التالية : آسيا ، افريقيا ، اوروبا ، امريكا واوقيانيا ، غير معروفين ٠ ويرد تحت كل منطقة الارقام الخاصة بـ ١ ـ اجمالي المهاجرين من المنطقة ٠ ٢ ـ يفصل المهاجرون حسب الدول التي قدموا منها ٠ ٣ ـ المهاجرون الذين لا يردون تحت اسم اية دولة يردون تحت عنوان مستقل هو « بلدان اخرى » ٠ وفيما يلي جدول يوضح نسبة المهاجرين من بلدان اخرى حسب المناطق المختلفة منسوبين الى اجمالي المهاجرين من المنطقة المعينة وللفترة بين ١٩٤٨ ـ ١٩٧٢ حسب ما وردت في الاحصائيات الخاصة بالحقبة ما قبل ١٩٧٢ وللفترة من ١٩٧٣ ـ ١٩٧٥ كما وردت في الاحصائيات الخاصة بها ٠

المهاجرين من « بلدان اخرى »									
المنطقة	الفترة ٥١ـ٤٨	(٦) ٥٤ـ٥٢	(٧) ٥٧ـ٥٥	(٨) ٦٠ـ٥٨	(٩) ٦٤ـ٦١	(١٠) ٦٨ـ٦٥	(١١) ٧١ـ٦٩	(١٢) ١٩٧٢	(١٣) ١٩٧٣	(١٤) ١٩٧٤	(١٥) ١٩٧٥
اسيا	٨ر١٪	٦ ر٨٪	٩ر٦٪	١ر٣٪	١ر٣٪	٢ر٣٪	٥ر١٪	٥ر٢٪	٥ر٣٦٪	٧ر٢٩٪	٢ر٢٦٪
افريقيا	٨٪	١٨ر٠٪	٣ر٠٪	٥ر٠٪	٢ر٠٪	٩ر٠٪	١٪	١ر٨٪	٦ر٧٩٪	٦٤٪	٧ر٣٩٪
اوروبا	١ر١٪	٧ ر٣٪	٩ر٠٪	٩ر٠٪	١ر١٪	٢٪	١ر٣٪	٩ر٠٪	١٠٪	٦ر١٥٪	٥ر١٧٪
اميركا واوقيانيا	١١٪ (١٦)	٣ ر٩٪	١١٪	١٠٪	١٠٪	٨ر٨٪	٣ر٨٪	٦ر٢٪	٦٪	٦ ٪	٥ر٥ ٪

من خلال الجدول السابق يتضح لنا طبيعة النسبة التي تشكلها « بلدان اخرى » وبالذات بالنسبة لاسيا وافريقيا واوروبا ، وفيما عدا نسبة تخص آسيا للفترة ٥٢ ـ ٥٤ وافريقيا للفترة ٤٨ ـ ٥١ فان جميع ما تبقى من النسب لم تتجاوز العشرة بالمائة وعلى العكس من ذلك فان غالبية النسب كانت دون الواحد بالمائة ٠٠ وهي نسبة منطقية كونها تتناول المصادر غير المهمة ٠

لكن في الاحصائيات الخاصة لفترة ما بعد ١٩٧٢ انقلب الوضع رأسا على عقب ، وتحسنت بشكل ملحوظ « بلدان اخرى » حتى بالنسبة لتلك السنوات التي كانت مشمولة باحصائيات ما قبل ١٩٧٢ والنسب الهزيلة « لدول اخرى » ٠ فنسبة ١٩٧٢ مثلا وردت مرتين ، الاولى التي كانت توضع بها الاحصائيات ضمن مقاييس ما قبل ١٩٧٢ ، والثانية حسب الاساس الذي اتبع ما بعد ١٩٧٢ ٠٠ فما هو الحجم الذي احتلته بلدان اخرى على اساس ما بعد ١٩٧٢ ٠٠

بلدان غير مصنفة في :	سنة ١٩٧٢ على اساس ٧٢	سنة ١٩٧٢ على اساس ٧٣
اسيا	٥ر٢٪	٧ر٤٨٪
افريقيا	٨ر١٪	١ر٧٨٪
اوروبا	٩ر٠٪	٩ر٧ ٪
امريكا واوقيانيا	٢ر٦٪	٢ر٦٪
	(١٧)	(١٨)

ولكن ما هو سر ارتفاع نسبة « دول اخرى » في اسيا من ٥ر٢٪ فقط بناء على مقاييس ١٩٧٢ الى ٧ر٤٨٪ ، لنفس العام ولكن بناء على مقاييس ١٩٧٣ ، وكذلك الامر بالنسبة لاوروبا التي ارتفعت من ٩ر٠٪ الى ٩ر٧٪ ٠

التبدل الكبير جدا في النسب ، مرده الى اختلاف معنى « دول اخرى » بين العامين ١٩٧٢ و١٩٧٣ ٠ والتي يوضحها لنا الجدول التالي والذي يتضمن « تفصيلات خاصة » بالنسبة لآسيا وافريقيا واوروبا ٠

جدول بالدول التي تمت منها الهجرة
في كل من آسيا واوروبا وافريقيا
في الفترة بين ١٩٦٥ ـ ١٩٧٥

	١٩٦٥ـ١٩٦٨	١٩٦٩ـ٧١	١٩٧٢	١٩٧٢ احصائيات ١٩٧٢	١٩٧٢ احصائيات ١٩٧٣	١٩٧٣	١٩٧٤	١٩٧٥
اجمالي اسيا	١٥٥٢٨	٢٠٢٥٦	٣٣٦١	٣١٤٣		٢٠٢٥	١١٧٧	٩٢٦
تركيا	(٠٠)	(٠٠)	(٠٠)	حذفت		حذفت	حذفت	حذفت
سوريا ولبنان	(٠٠)	(٠٠)	(٠٠)	حذفت		حذفت	حذفت	حذفت
العراق	(٠٠)	(٠٠)	(٠٠)	حذفت		حذفت	حذفت	حذفت
اليمنين	(٠٠)	(٠٠)	(٠٠)	حذفت		حذفت	حذفت	حذفت
ايران	٥٣٢٤	٥٣٢١	٩١١	٩١٦		٧٢٥	٣٧٠	١٩٥
الهند	٥٠٠٩	٥١٦٠	٧١٠	٦٩٦		٥٦٠	٤٥٧	٤٨٨
بلدان اخرى	٤٩٨	٣٠٤	٨٦	١٥٣١		٧٤٠	٣٥٠	٢٤٣
اجمالي افريقيا	٢٨٢٧٧	١٩٩٣٧	٤٢١١	٢٧٦٦		٢٨٣٩	١٢١٦	٦٨٩
مراكش	(٠٠)	(٠٠)	(٠٠)	حذفت		حذفت	حذفت	حذفت
الجزائر	(٠٠)	(٠٠)	(٠٠)	حذفت		حذفت	حذفت	حذفت
تونس	(٠٠)	(٠٠)	(٠٠)	حذفت		حذفت	حذفت	حذفت
ليبيا	(٠٠)	(٠٠)	(٠٠)	حذفت		حذفت	حذفت	حذفت
مصر والسودان	(٠٠)	(٠٠)	(٠٠)	حذفت		حذفت	حذفت	حذفت
جنوب افريقيا	٨٢٩	١٩٥١	٥٢٧	٦٠٥		٥٧٧	٤٣٢	٤١٥
بلدان اخرى	٢٥٧	٢٠٧	٨٠	٢١٦١		٢٢٦٢	٧٨٤	٢٧٤
اجمالي اوروبا	٣١٢٧٥	٥٠٠١١	٤٠١٩٢	٣٩١٤٥		٤٠٤٩٢	٢٣١٢٦	١٣٤١٧
الاتحاد السوفياتي	٦٠٨٥	١٨٦٤٥	٣١٦٤٩	٣١٦٥٢		٣٣٤٧٧	١٦٨١٦	٨٥٣١
بولندا	٤٢٦٧	٥٧٠٧	١٥٣٣	٩٤		٣٦	حذفت	حذفت
رومانيا	(٠٠)	(٠٠)	(٠٠)	حذفت		حذفت	حذفت	حذفت
يوغوسلافيا	٩٠	١٣٢	٣٤	١٥		٧	حذفت	حذفت
بلغاريا	(٠٠)	(٠٠)	(٠٠)	حذفت		حذفت	حذفت	حذفت
المانيا والنمسا	٩٠٤	٢١٩١	٦٠٥	٢٣٢		٢٠١	١٨١	١٢٢
تشيكوسلوفاكيا	١٠٨٢	٧٦٨	٢٨٧	٢٠		١١	حذفت	حذفت
هنغاريا	(٠٠)	(٠٠)	(٠٠)	حذفت		حذفت	حذفت	حذفت
بريطانيا	١١٤٠	٤٠٥٢	٩١٦	١٠٣٠		٧٦٠	٨٢٢	٧٠٧
هولندا	٣١٥	٨٠٦	١٩٨	٢٠٠		١٤٦	١٣٤	١٣٠
بلجيكا	٢٠٠	٦٧٣	١٩٥	٢٢٤		١٥٤	١٠٩	٩٤
فرنسا	١٧٩٥	٥٠٦١	٨٤٨	٢٣٥٦		١٤٧٣	١٣٤٥	١٣٨٢
ايطاليا	١٩٧	٥٢٦	١٠٧	٢٠٦		١٧٣	٩٨	٩٥
بلدان اخرى	٦٦٨	١٥٧٢	٣٩٢	٣١١٦		٤٠٥٤	٣٦١١	٢٣٥٦
	(١٩)	(٢٠)	(٢١)	(٢٢)		(٢٣)	(٢٤)	(٢٥)

من الجدول السابق يتضح لنا انه قد حذفت من قائمة الدول الآسيوية سنة ١٩٧٣ ، تركيا ، سوريا ولبنان ، العراق ، اليمن الشمالي واليمن الجنوبي ، واضيفت جميعا الى « بلدان آسيوية اخرى » ولذا ارتفع نصيب « دول اسيوية اخرى » من ٨٦ مهاجر بناء على التصنيف المتبع سنة ١٩٧٢ الى ١٥٣١ مهاجر بناء على تصنيف ١٩٧٣ ٠ ومن افريقيا حذفت جميع الدول العربية الافريقية ، المغرب ، الجزائر ، تونس ، ليبيا ، مصر والسودان ، واضيفت لـ « بلدان اخرى » ، ولذا ارتفع نصيب بلدان اخرى من ٨٠ مهاجر اي ما يساوي ٨ر١٪ الى ٢١٦١ اي ١ر٧٨٪ ، ومن اوروبا حذفت رومانيا وبلغاريا وهنغاريا ، ولذا ارتفع نصيب « دول اوروبية اخرى » الى ٩ر٧٪ بعد ان كان ٩ر٠٪ فقط بناء على اسس التصنيف المتبعة عام ١٩٧٢ ٠٠٠ (٢٦) ٠

حذف جديد
يضخم نسبة دول اخرى

ان ضم رومانيا وبلغاريا وهنغاريا الى « دول اوروبية اخرى » في العام ١٩٧٣ والذي ادى الى رفع نسبة دول اوروبية اخرى من ٩ر٠٪ الى ٩ر٧٪ استتبع بعملية حذف جديدة في العامين ١٩٧٤ و١٩٧٥ ، حيث اسقطت بولندا ويوغوسلافيا وتشيكوسلوفاكيا ، وضمت بالتالي الى « دول اوروبية اخرى » ٠ هذا الضم ساهم برفع نسبتها مرة جديدة من ٩ر٧٪ سنة ١٩٧٢ ، و١٠٪ سنة ١٩٧٣ الى ٦ر١١٪ سنة ١٩٧٤ و٥ر١٧٪ سنة ١٩٧٥ ٠ الامر الذي يؤكد وجود دوافع وراء عمليات الحذف ، وليس عدم وجود هجرة بدليل تضخم نسبة « الدول الاخرى » ٠

والمقابل ، وفي حين كانت نسبة الدول الآسيوية والافريقية والاوروبية الاخرى تتزايد بالنسب المشار اليها ، كان نصيب « الدول الاخرى » الخاصة بأمريكا واوقيانيا تهبط من ١١٪ للفترة ٤٨ ـ ٥١ الى ٥ر٥٪ سنة ١٩٧٥ ، محققة بذلك قدرا من الثبات النسبي طيلة الفترة بين ١٩٧٢ ـ ١٩٧٥ ، وتركزت حول النسبة المئوية ٦ ٠ الامر الذي يؤكد وجود اعتبارات معينة وراء رفع او خفض نسبة « الدول الاخرى » ٠

اعادة توزيع مصادر الهجرة :
والبولنديون يصبحون فرنسيين

لا بد من الاشارة الى ظاهرة اخرى تتكشف لنا عندما نقارن ارقام الهجرة سنة ١٩٧٢ ، على اساس تصنيف ١٩٧٢ بأرقام الهجرة للسنة نفسها ولكن على اساس تصنيف ١٩٧٣ ٠ حيث لم تقف المسألة عند حدود حذف اسماء بلدان معينة ، واضافة مهاجريها الى مهاجري بلدان اخرى ٠ بل ابقاء مصادر الهجرة كما هي ،ولكن مع احداث تبديلات اساسية على عدد المهاجرين من هذه البلدان ٠

ورب قائل : ولكنه من الطبيعي ان تحدث تعديلات ، وطالما أظهرت الاحصائيات الاسرائيلية زيادة او نقصا لعام معين ، حين وروده في اكثر من سلسلة احصائية ٠ واذ انه من الطبيعي ان تعدل الارقام في ضوء ظهور اية اخطاء ٠٠ ان التعديلات التي تحدث غالبا ، ما تكون تعديلات طفيفة ، ولكنها لا تصل لدرجة ان تقلب الامور رأسا على عقب ٠

الملاحظة الثانية ، هي ان الاحصائيات الاسرائيلية لعام معين ، تصدر عادة ، بعد ما

يزيد على عام كامل ، وهي فترة كافية لتدقيق المعلومات بشكل كاف ، الامر الذي لا يترك مجالا الا لاخطاء طفيفة ٠

الملاحظة الثالثة : من الطبيعي ، ان لا تكون مصادر جزء من الهجرة معروفة ، ولكن من الطبيعي ان تتوفر مستقبلا معلومات عن المصادر المجهولة ، وقد لا تتوفر ٠٠ لكن من غير الطبيعي ، وغير المنطقي ، وغير المعقول ان تكون بعض مصادر الهجرة ، معروفة في عام معين ، ولكن في العام التالي تصبح مجهولة ٠٠٠

في ضوء هذه الملاحظات الثلاث يهمنا الاشارة الى ان الهجرة سنة ١٩٧٢ بناء على تصنيف سنة ١٩٧٣ ، وبالنسبة للهجرة من اوروبا ، قد بدلت ارقامها كليا ، ولكن باتجاهين مختلفين ، فقد « خفضت » الهجرة من جميع دول اوروبا الشرقية ، و « ضخمت » من جميع دول اوروبا الغربية ، وفيما يلي جدول مستخرج من الجدول السابق يوضح ذلك ٠

اسم الدولة	المهاجرون سنة ١٩٧٢ على اساس تصنيف ١٩٧٢	المهاجرون سنة١٩٧٢ على اساس تصنيف ١٩٧٣
بولندا	١٥٣٣	٩٤
يوغوسلافيا	٣٤	١٥
تشيكوسلوفاكيا	٢٨٧	٢٠
اجمالي	١٨٥٤	١٢٩
بريطانيا	٩١٦	١٠٣٠
هولندا	١٩٨	٢٠٠
بلجيكا	١٩٥	٢٢٤
فرنسا	٨٤٨	٢٣٥٦
ايطاليا	١٠٧	٢٠٦
اجمالي	٢٢٦٤	٣٨١٦

(٢٦)

وبالتأكيد ، فانها ليست مصادفة ، وان كانت مصادفة ، فهي ملفتة للنظر ، ان تزيد اوروبا الغربية وان تنخفض اوروبا الشرقية ، واكثر من ذلك فان تكون زيادة الاولى قريبة من نقصان الثانية (١٧٢٦ : ١٦٥٤) ٠

اضافة لما تقدم ، فان تفاصيل الزيادة والنقصان غير طبيعية ، فبالنسبة لبولندا مثلا ، هبط الرقم من ١٥٣٣ الى ٩٤ اي بنسبة تبلغ ٩٤٪ ٠ فهل هنالك من خطأ يبلغ ٩٤٪ ؟!

ولعل فرنسا قد حملت عبء الزيادة ، التي اقتطعت من بولندا فزادت من ٨٤٨ الى ٢٣٥٦ مهاجر ٠

هجرة اليهود من البلاد العربية :

ان المشكلة ليست في كيفية تصنيف اسرائيل لمصادر الهجرة اليها ، وليس في رفع او خفض نسبة هذه المنطقة أو تلك بل في معاني هذا التبديل وأهدافه ٠٠ فاسرائيل تحاول

من وراء هذا ، اخفاء اكثر منحقيقة ، وعلى رأسها ، استمرار هجرة يهود البلاد العربية اليها ، رغم الصيحات والادعاءات المستمرة عن العمل على اعادة يهود البلاد العربية الذين هاجروا الى اسرائيل · وفيما يلي جدول مستخرج من الجدول السابق يوضح حجم الهجرة من البلاد العربية ، الاسيوية منها والافريقية · وذلك للفترة بين ١٩٦٥ ـ ١٩٧٥ ·

الفترة	اجمالي المهاجرين	يهود عرب اجمالي (٢٩)	يهود عرب آسيا	يهود عرب افريقيا
٦٥ ـ ٦٨	٨١٣٣٨	٣١٨٨٨	٤٦٩٧	٢٧١٩١
٦٩ ـ ٧١	١١٦٤٨٤	٢٧٢٥٠	٩٤٧١	١٧٧٧٩
١٩٧٢ (٢٧)	٥٥٨٨٨	٥٢٥٨	١٦٥٤	٣٦٠٤
١٩٧٣	٥٤٨٨٦	٣٠٠٢	٧٤٠	٢٢٦٢
١٩٧٤	٣١٩٧٩	١١٣٤	٣٥٠	٧٨٤
١٩٧٥ (٢٨)	٢٠٠٢٨	٥١٧	٢٤٣	٢٧٤
المجموع	٣٦٠٦٠٣	٦٩٠٤٩	١٧١٥٥	٥١٨٩٤

ان الجدول السابق يبين لنا ان المهاجرين اليهود من البلاد العربية يشكلون اكثر من ٢٥٪ من اجمالي الهجرة التي تدفقت على اسرائيل بين ١٩٦٥ ـ ١٩٧٢ و١٩٪ من اجمالي الهجرة للفترة بين ١٩٦٥ ـ ١٩٧٥ · وكان نصيب أفريقيا العربية منها ٧٥٪ ·

الهجرة من رومانيا

ان اسرائيل وهي تحاول عبر « تحوير » احصائياتها تضييع الحقائق التي تبينها التفاصيل بشأن هجرة يهود البلاد العربية ، تحاول ايضا ، وللسبب نفسه ان تعطي مصداقية لما قالته السلطات الرومانية والتي نقل عنها السيد ابو مازن عضو اللجنة المركزية لحركة فتح ما يلي « اكدت لنا السلطات الرومانية انها لا يمكن ان تقوم بتهجير اليهود من اراضيها باعتبارهم مواطنين رومان ، من غير المعقول ان نطرد مواطنا من ارضه الا اذا اعلن عن رغبته في هجر وطنه ، وفي هذه الحالة يستوي الروماني اليهودي وغير اليهودي ، وقد تأكد لنا انه نتيجة لهذا الموقف فان خمسة وستين يهوديا فقط اعلنوا عن رغبتهم في الهجرة الى اسرائيل وان بعضا منهم قد سحب طلبه في وقت لاحق · » (٣٠)

كي تعطى مصداقية لتأكيد السلطات الرومانية هذا ، فقد اختفت من الاحصائيات المعدة بناء على تصنيف ١٩٧٣ ، رومانيا وهنغاريا وبلغاريا (٣١) ، ولكن هل الاختفاء كان لانه لم يعد من مهاجرين يهود من هذه البلدان؟واقع الامر ان المسألة كانت مجرد تحوير فقط·لانهفي حين كانت توضع البلدان المشار اليها في قائمة الدول التي تشكل مصدر الهجرة ، وحفاظا على السرية كان يوضع في الخانة الرقمية المقابلة لها الرمز المعروف (٠٠) كانت نسبة « بلدان اخرى » لسنة ١٩٧٢ لا تشكل سوى ٩ر٠٪ ، ولكن عندما حذفت البلدان المشار اليها تضخمت نسبة « بلدان اخرى » نسبيا من ٩ر٠٪ الى ٩ر٧٪ اي من ٣٩٢ مهاجرا الى ٣١١٦ مهاجرا (٣٢) · وارتفعت النسبة في عام ١٩٧٣ لتبلغ ١٠٪ اي ٤٠٥٤ مهاجرا من اصل ٤٠٤٩٢ مهاجرا ·

واردات اسرائيل من دول « غير مصنفة » و « دول اخرى » :

مقابل تضخم نسبة « دول اخرى » من المهاجرين ، حدث الشيء نفسه بالنسبة لواردات اسرائيل ولكن اضيف هذه المرة عنوان جديد هو « دول غير مصنفة » · والذي يرد عادة في نهاية قائمة الدول المستوردة من اسرائيل · وبالاضافة لذلك فهنالك عنوان فرعي آخر هو « دول أخرى » والذي يوضع بعد عرض قائمة الدول المستوردة من قارة معينة · فهنالك دول اوروبية اخرى ودول افريقية اخرى ودول اسيوية اخرى · واذ كان من الممكن لنا ان ننسب « دول اخرى » لقارة معينة · فمن المستحيل علينا ان ننسب دولا غير مصنفة الى اي منطقة ·· وفيما يلي جدول يوضح نسبة الدول غير المصنفة والدول الاخرى وغير المصنفة لاجمالي واردات اسرائيل :

العام	اجمالي الواردات	الواردات من دول اخرى وغير مصنفة	نسبتها المئوية لاجمالي الواردات	واردات من دول غير مصنفة	نسبتها المئوية لاجمالي الواردات	واردات من النفط	واردات من الالماس	النسبة المئوية للنفط من اجمالي الواردات	النسبة المئوية للنفط من الواردات من دول غير مصنفة
١٩٦٥	٨٣٢ر٢٤٤ (٣٤)	٨٥ر٤٢٤ (٤٥)	٢ر١٠٪	٧٦ر١٢٩ (٥٦)	١ر٩٪	٥٣ر٢ (٦٧)	١١٠ر٧٥٢ (٧٨)	٦ر٢٩٪	٦٩٪
١٩٦٦	٨٣٤ر٩٤٠ (٣٥)	٩٦ر١٦٥ (٤٦)	٥ر١١٪	٧١ر٠٣٦ (٥٧)	٥ر٨٪	٥٨ر٥ (٦٨)	١٢٨ر٨٨٣ (٧٩)	٧٪	٨٢٪
١٩٦٧	٧٧٥ر٥٠ (٣٦)	٩٢ر٥٧٢ (٤٧)	٩ر١١٪	٧ ٢ر٧٩٨ (٥٨)	٣ر٩٪	٥٥ر٤ (٦٩)	١٣٧ر٩٢٠ (٨٠)	١ر٧٪	٧٦٪
١٩٦٨	١١١٥ر١٤١ (٣٧)	١١٤ر٠٨٠ (٤٨)	٢ر١٠٪	٨٩ر٢٦٩ (٥٩)	٨٪	٦٢ر٨ (٧٠)	١٨٠ر٥٥٥ (٨١)	٦ر٥٪	٧٠٪
١٩٦٩	١٣١٩ر٠٩١ (٣٨)	١٢٩ر٦٠١ (٤٩)	٨ر٩٪	٩٩ر٢٩٦ (٦٠)	٥ر٧٪	٦٩ر٩ (٧١)	٢١٠ر٥٥٠ (٨٢)	٢ر٥٪	٧٠٪
١٩٧٠	١٤٦١ر٩٧٥ (٣٩)	١٤٦ر٨٣١ (٥٠)	١٠٪	١٠٩ر٠١٨ (٦١)	٦ر٧٪	٦٩ر٨ (٧٢)	١٧٦ر٦١٥ (٨٣)	٧ر٤٪	٦٤٪
١٩٧١	١٨٣٣ر٢٨٥ (٤٠)	١٨٢ر٤١٣ (٥١)	٩ر٩٪	١٤٢ر٤٥٤ (٦٢)	٧ر٧٪	٨٩ر٤ (٧٣)	٢٤٣ر٥٦١ (٨٤)	٨ر٤٪	٦٢٪
١٩٧٢	١٩٨٦ر٩٨٠ (٤١)	٦١٨٨ر٩٧٩ (٥٢)	٥ر٩٪	١٤٤ر٧٧٩ (٦٣)	٢ر٧٪	٩٧ر٣ (٧٤)	٣٣٩ر٩٢٠ (٨٥)	٨ر٤	٦٧٪
١٩٧٣	٢٩٨٧ر٢٧٥ (٤٢)	٣٥٩ر٩١٨ (٥٣)	١٢٪	٢٧٨ر٢١٣ (٦٤)	٣ر٩٪	٢١١ (٧٥)	٤٨٨ (٨٦)	٧٪	٧٥٪
١٩٧٤	٤٢١٥ر٣٢٧ (٤٣)	٧٨٩ر٠٤٨ (٥٤)	٧ر١٨٪	٧٣٩ر٧٨٣ (٦٥)	٥ر١٧٪	٥٩٧ر٠٠٢ (٧٦)	٤٤٣ (٨٧)	١ر١٤	٨٠٪
١٩٧٥	٤١٧١ر٢٥١ (٤٤)	٧٦٣ر٨١٤ (٥٥)	٣ر١٨٪	٦٩٥ر٠٨٢ (٦٦)	٦ر١٦٪	٦٣٧ر٠٩١ (٧٧)	٤٦٩ر١ (٨٨)	٢ر١٥٪ (٨٩)	٩١٪

★ الواردات بالمليون دولار

ومن خلال الجدول السابق يتضح لنا الارتفاع الكبير في نصيب واردات اسرائيل من « دول اخرى » و « دول غير مصنفة » من ٢ر١٠٪ سنة ١٩٦٥ الى ٣ر١٨٪ سنة ١٩٧٥ ، مع ذبذبة في بعض السنوات ما قبل ١٩٧٣ بحد ادنى ٥ر٩٪ وحد اقصى ٩ر١١٪ ، ولكن فيما بعد ١٩٧٢ بدأت النسبة عملية صعود خلال سنوات ١٩٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ · ومن المهم بهذا الصدد الاشارة الى حجم الارقام التي تنسب اليها نسب السنوات المشار اليها · فحين تنسب نسبة الـ ١٠٪ سنة ٦٥ لواردات تبلغ ٨٣٢ر٢٤٤ مليون دولار ، فان نسبة العام ١٩٧٥ (٣ر١٨٪) منسوبة لاجمالي واردات يبلغ ٤ر١٧١ر٢٥١ مليار دولار · اي ما يساوي ٧٦٣ر٨١٤ مليون دولار ···

وفيما لو استبعدنا نصيب « الدول الاخرى » ، يبقى نصيب الدول « غير المصنفة » يشكل نسبة عالية ، فهي تشكل ٦ر١٦٪ من اجمالي الواردات للعام ١٩٧٥ و ٥ر١٧٪ من اجمالي الواردات سنة ١٩٧٤ ·

دقة متناهية ولكن !:

ان هذه النسبة المرتفعة هي نسبة غير طبيعية وغير منطقية · فاسرائيل التي تورد عادة ارقاما تفصيلية جدا تبلغ حد تصنيف واردات من ايسلندا قيمتها ١٦ الف دولار فقط (٩٠) او واردات بـ ٥٩ الف دولار من نيجيريا (٩١) و٤٩ الف دولار من كوستاريكا (٩٢) من غير المنطقي ان تستورد سنة ١٩٧٥ بما قيمته ٧٦٣٫٨١٤ دولار من « دول اخرى » و « دول غير مصنفة » نصيب الدول غير المصنفة منها ٦٩٥٫٠٨٢ مليون دولار ·

بالاضافة الى ما تقدم فهنالك عدم وضوح اي تفصيلات بخصوص الدول غير المصنفة ، وعدم انتسابها الى اي من القارات التي تستورد منها هذه البضائع · وحين يقال بلدان امريكية اخرى او اسيوية اخرى ، كانت توضح ولو بشكل عام هوية المصادر · وكذلك فالاحصائيات الاسرائيلية تورد تفصيليا اسماء الدول التي تتعامل مع اسرائيل ، مهما بلغت ضآلة وارداتها منها ، الامر الذي لا يترك مجالا لمثل هذه النسبة الكبيرة من الصادرات من بلدان « غير مصنفة » ، او « بلدان اخرى » · الا اذا كان هنالك اسباب اخرى لا تمت للاقتصاد او التصنيف بصلة ، وهذا ما سنحاول البحث عنه ·

بالاضافة الى كل ما تقدم تجدر الاشارة الى ان الارقام الخاصة بواردات اسرائيل من السوق المشتركة عموما ، ومن بريطانيا والمانيا الغربية خصوصا قد حذفت من الجداول الاحصائية للعام ١٩٧٥ ووضع مكانها الرمز الشهير (··) اي (غير واضح او ليس للنشر)· علما بأن هذه الاشارة قد وضعت امام السنوات ٧٣ ـ ٧٤ ـ ٧٥ فقط · وتجدر الاشارة الى ان كتب الاحصائيات الخاصة بالاعوام ما قبل ١٩٧٥ كانت قد قدمت بيانات السوق المشتركة والمانيا وبريطانيا بشكل كامل (٩٤) ·

في البداية لا بد من استبعاد سبب « عدم الوضوح » في البيانات الخاصة بواردات اسرائيل من السوق المشتركة عموما ، والمانيا وبريطانيا خصوصا ، ونحن نعلم مقدار الاهمية التي تعطيها اسرائيل لعلاقاتها مع هذه الاطراف الثلاث بالذات ·

دور الحوار العربي ـ الاوروبي :

وبالتأكيد فهنالك علاقة وثيقة جدا بين توقيت تغييب المعلومات بشأن علاقات السوق الاوروبية المشتركة واسرائيل ، وكون العام ١٩٧٥ هو العام الذي وقعت فيه الاتفاقية الهامة بين السوق المشتركة واسرائيل (٩٥) والتي كادت ان توقف الحوار العربي ـ الاوروبي (٩٦) والذي شهد ذروته في ذلك العام ايضا · الامر الذي يوضح الابعاد السياسية الكامنة وراء سياسة تغييب المعلومات ·

ان الامر الملفت للنظر هو تغييب البيانات الخاصة بالعام ١٩٧٤ حين ورودها في كتاب الاحصائيات الخاص بالعام ١٩٧٥ (٩٧) · حيث درجت العادة ان يتضمن الكتاب الخاص بسنة من السنوات بيانات بالسنة السابقة وذلك للمقارنة · وفي حين وردت البيانات كاملة في كتاب الاحصاء السنوي ١٩٧٥ ، والذي يتضمن المعلومات الخاصة بشأن العام ١٩٧٤ · دون اي حذف (٩٨) · فان البيانات الخاصة بالعام ١٩٧٤ حين وردت في كتاب الاحصائيات السنوي ١٩٧٦ كانت محذوفة ووضع مكانها الاشارة المعروفة (··) الامر الذي يؤكد ان السبب ليس عدم الوضوح بدليل ان البيانات موجودة وسبق لها ان نشرت ·

الامر الملفت للنظر ان البيانات المحجوبة هي تلك البيانات الخاصة بواردات اسرائيل من السوق المشتركة · في حين قدمت البيانات الخاصة بصادراتها كاملة · علما بانه من المتعارف عليه ، ان حجة السوق المشتركة للتصدير هي اقوى من حجتها لتبرير وارداتها من اسرائيل ، لسبب اقتصادي هو ان السوق المشتركة تريد تصريف منتجاتها ، ولذا من الممكن لها ان تدافع عن نفسها بالنسبة لهذه المسألة ، بينما العكس صحيح بالنسبة لوارداتها من اسرائيل ، فهذا يعني تشجيعها للمنتجات الاسرائيلية ، في حين ان زيادة صادراتها لاسرائيل تعني تشجيع الصناعة الاوروبية المحلية · ولكن رغم هذا فان العكس هو الذي حدث وحجبت البيانات الخاصة بالواردات الاسرائيلية وليس تلك الخاصة بالصادرات ، لماذا ؟ ·

اوروبا الغربية : مصدر للمواد الخام !!

لنحاول اعادة قراءة الارقام الخاصة بالواردات الاسرائيلية من السوق المشتركة ،وتدقيق هذه الارقام من خلال الجدول التالي ، الذي يوضح حجم ومكونات واردات اسرائيل من السوق المشتركة خلال الفترة بين ٦٥ ـ ٧٥ ·

واردات اسرائيل من السوق المشتركة بين ١٩٦٥ ـ ١٩٧٥ بملايين الدولارات

العام		اجمالي واردات	مواد خام	٪ مواد خام	واردات من سوق مشتركة	نسبتها المئوية من اجمالي الواردات	مواد خام من سوق مشتركة	نسبتها المئوية للواردات من السوق المشتركة	النسبة المئوية لمواد خام من السوق المشتركة لاجمالي الواردات من المواد الخام
١٩٦٥	(٩٩)	٨٣٢ر٢٤٤	٥٧٠ر٧٧٣	٦٨٪	٣٧٢ر٤٦٦	٤٤٪	٢٥٧ر٧٧٩	٦٩٪	٤٥٪
١٩٦٦	(١٠٠)	٨٣٤ر٩٤٠	٦٠٤ر٩٠٥	٧٢٪	٣٦٣ر٧٠٢	٤٣٪	٢٦٦ر١٥٤	٧٣٪	٤٣ر٩٪
١٩٦٧	(١٠١)	٧٦٨ر٤٨٦	٥٦٥ر٢٠١	٧٣ر٥٪	٣٣٣ر٦٦٥	٤٣٪	٢٥١ر٦٩٩	٧٥٪	٤٤ر٥٪
١٩٦٨	(١٠٢)	١١١٥ر١	٧٧٣ر١	٦٩ر٣٪	٥٥٦	٤٩ر٨٪	٣٨٩ر٥	٧٠٪	٥٠٪
١٩٦٩	(١٠٣)	١٣١٩ر١	٨١٩ر٢	٦٧ر٩٪	٦٥٠ر١	٤٩ر٢٪	٤٤٤ر٥	٦٨ر٣٪	٤٩ر٥٪
١٩٧٠	(١٠٤)	١٤٥١	٩٠٢ر٥	٦٢ر١٪	٦٨٢ر٢	٤٧٪	٤٤٧ر٦	٦٥ر٦٪	٤٩ر٦٪
١٩٧١	(١٠٥)	١٨٣٣ر٣	١١٢٦ر٢	٦١ر٤٪	٨٥٠ر٢	٤٦ر٣٪	٥٣٦ر٩	٦٣ر١٪	٤٧ر٦٪
١٩٧٢	(١٠٦)	١٩٨٧	١٢٧٣ر٥	٦٤٪	١٠٧١ر٦	٥٣ر٩٪	٦٦٥	٦٢٪	٥٢٪
١٩٧٣	(١٠٧)	٢٩٨٧ر٣	١٨٨٢ر٣	٦٣٪	١٦٠٨ر٨	٦٣٪	٩٤٨ر٧	٥٨٪	٥٠٪
١٩٧٤	(١٠٨)	٤٢٣٦ر٧	٣١٦٩ر١	٧٥ر٤٪	٢٠٠٠	٤٧ر٢٪	١٤١٣ر٨	٧٠٪	٤٤٪
١٩٧٥	(١٠٩)	٤١٧١ر٣	٣١٩٦	٧٦ر٦٪	١٩٣١	٤٦ر٢٪	١٣٨٧ر٦	٧١٪	٤٢ر٤٪

★ بالمليون دولار

من خلال الجدول السابق تتبين لنا تفاصيل هامة وغير مألوفة بشأن صادرات السوق المشتركة لاسرائيل ، فمن المعروف ان السوق المشتركة تضم الدول الصناعية المتقدمة في اوروبا ، ومن الدول الصناعية الاولى في العالم · والتي لم تعودنا الا على تصدير السلع المصنعة واستيراد المواد الخام · وهذا هو المبدأ الذي حكم علاقات الدول الصناعية المتقدمة (اوروبا ، امريكا ، اليابان) مع غيرها من الدول ·

الجديد هو تبدل هذا الدور رأسا على عقب في علاقة اسرائيل مع السوق المشتركة ، حيث يتضح من خلال الارقام المعطاة ، والارقام المستخرجة ان السوق المشتركة هي اكبر مورد للمواد الخام لاسرائيل · وفي العام ١٩٧٥ مثلا فان ٧١٪ من صادرات السوق المشتركة لاسرائيل كانت من المواد الخام ، ولعشرة سنوات خلت (١٩٦٥ ـ ١٩٧٥) فان النسبة لم تقل كثيرا عن ٧٠٪ عدا العام ١٩٧٣ حيث هبطت النسبة الى ٥٨٪ ، وهو على اية حال عام شاذ في تاريخ اسرائيل الاقتصادي ، وهبوط النسبة يعني ان اسرائيل قد استوردت في ذلك العام موادا اكثر حيوية واهمية ، ولها ارتباط بالحرب · مقابل هذا فان نسبة ما تستورده اسرائيل من مواد خام من السوق المشتركة يتراوح بين ٤٣٪ و ٥٢٪ من اجمالي ما استوردته من مواد خام للسنوات ١٩٦٥ـ١٩٧٥ · الامر الذي يوضح لنا

طبيعة الصادرات الاوروبية لاسرائيل ، ناهيك عن ان النسبة العالية مما تبقى من صادرات اوروبية لاسرائيل انما هي عبارة عن سلع استثمارية ٠

اوروبا ، منتجة للمواد الخام ٠٠ ام وسيط ؟!

السؤال الذي يطرح ؟ من غير الطبيعي ان تكون اوروبا مصدرة للمواد الخام ، لسببين ، انها تفضل تصنيع موادها الخام ، والثاني انها مستوردة للمواد الخام ، اذا من اين لها ان تصدر لاسرائيل ؟

الواضح ان اوروبا تقوم بمهمة الوسيط بالنسبة لتوريد المواد الخام لاسرائيل ، اي انها تقوم باعادة تصدير المواد التي تستوردها ٠ ولكن لماذا لا تستورد اسرائيل مباشرة من المصدر الاساسي ؟ هنا تأتي العقبة السياسية والتي تتكفل اوروبا بتذليلها ، حيث تلعب دور الطرف الثالث والذي هي صديق المورد المجهول والمستورد ٠٠ وليس ضروريا ان تبحر السفينة من البلد المورد الى احدى دول السوق وبعد ذلك الى اسرائيل ، فمن الممكن ان تسجل السفينة المحملة ان وجهتها هذا البلد الاوروبي او ذاك ، وليس من احد يمكن له ان يراقبها بعد ذلك ، ومسألة الاوراق الثبوتية عن وجهة سير السفينة ، وشهادة التفريغ وغيرها ، مسائل يمكن « تظبيطها » بسهولة ٠ وفي هذا الصدد لا بد من اعادة التذكير بأن اكثر من دولة عربية ترتبط بعلاقات واتفاقات اقتصادية مع السوق المشتركة ، وبناء على اتفاقية ياوندة (١١٠) ٠

ان الحديث عن صناعة اسرائيلية ، هو حديث عن سوق المواد الخام ٠٠ وبدون مواد خام مستوردة لا يمكن ان تستمر الصناعة الاسرائيلية نظرا لفقر فلسطين في المواد الخام ٠٠ ولذا فان ٧٦ر٦٪ من واردات اسرائيل هي من المواد الخام ، اي ٣١٩٦ مليون دولار ، من اصل اجمالي واردات تبلغ ٤١٧١ر٣ مليون دولار سنة ١٩٧٥ ٠ وبهذا تكون اوروبا قد تعهدت توفير المواد الخام لاسرائيل بعد سنة ١٩٦٥ بعد ان تعهدت بناء المصانع قبل العام المذكور ٠

الواردات من دول غير مصنفة :

الاعتبارات التي كانت وراء تغييب المعلومات الخاصة بالهجرة الى اسرائيل وبالبيانات الخاصة بواردات اسرائيل من السوق المشتركة ، توضح لنا سر الـ ٧٦٣ر٨١١ مليون دولار الخاصة ببلدان غير مصنفة والتي هي دول مصنفة اقتصاديا ولكن ظروفا غير اقتصادية هي التي الغت تصنيفها ٠

فيما لو استبعدنا الاسباب التقنية التي تكون سبب عدم التصنيف ، فلا يبقى امامنا الا البحث عن اسباب غير فنية ٠ وهذا لن يأتي الينا الا من خلال رصد ومقارنة الظواهر الاقتصادية الاسرائيلية ٠ ومحاولة استخلاص ما يمكن استخلاصه من نتائج ٠

في البداية تستوقفنا ظاهرة هبوط واردات اسرائيل سنة ١٩٦٧ (٧٧٥ر٠٥٠ مليون) بالقياس لوارداتها سنة ١٩٦٦ (٨٣٤ر٩٤٠ مليون) ب ٥٩ر٨٩٠ مليون دولار (١١١) وهو عام نافر وشاذ في كل تاريخ واردات اسرائيل ٠ والقاعدة كانت هي في الارتفاع المضطرد بواردات اسرائيل ٠ (راجع الجدول) ٠ السبب واضح وهو ان المناطق المحتلة ١٩٦٧

وفرت فيما وفرته للاقتصاد الاسرائيلي بعض ما كانت تستورده من الخارج خصوصا النفط · ولان صعود الواردات من الدول غير المصنفة ارتبط بالسنوات ١٩٧٣ ، ١٩٧٤ ، ١٩٧٥ · وهذا يجعلنا نستبعد مسبقا ان تكون واردات اسرائيل من الالماس الخام والتي لا تورد مصادر توريدها هي سبب ارتفاع بند الدول غير المصنفة نظرا لان اسرائيل تحرص على اخفاء علاقاتها الاقتصادية مع جنوب افريقيا ·

النفط حاضر ابدا :

لماذا نستبعد ؟ · لانه من الطبيعي ان تكون قيمة الواردات من دول غير مصنفة مساوية او اكبر من واردات اسرائيل من الالماس · فيما لو كانت هذه الواردات هي السبب · ولكن الملاحظ ان لا علاقة نسبية بين الالماس والدول غير المصنفة (١١٢) بل على العكس من ذلك فالالماس الذي كان يتزايد المستورد منه بنسب سنوية معقولة ، كانت قيمته حتى سنة ١٩٧٣ اكبر بكثير من واردات اسرائيل من دول غير مصنفة والعكس صحيح بالنسبة للسنوات ما بعد ١٩٧٣ · وعلى سبيل المثال فحين كانت نسبة الالماس سنة ٦٦ تساوي ١٩٥٪ من الواردات من دول غير مصنفة و ٢٣٤٪ سنة ١٩٧٢ ، فانها لم تشكل سوى ٥٩٪ سنة ٧٤ و٦٧٪ سنة ١٩٧٥ · الامر الذي يبين عدم تبعية العلاقة بين حجم الواردات من الالماس والواردات من دول غير مصنفة ··

وفي حين تورد اسرائيل ارقام وارداتها من الالماس الخام وصادراتها من الالماس المصقول فان الرمز الشهير (···) يحتل المكان المخصص لرقم صادرات اسرائيل من المنتجات النفطية (١١٣) فهل النفط هو السبب ؟

بالعودة للمعدلات التي تزايدت بها واردات اسرائيل من النفط ، نلاحظ ثلاثة مراحل مرت بها واردات اسرائيل من النفط ·

الاولى بين ١٩٦٥ و ١٩٧٢ ارتفعت بها واردات اسرائيل السنوية من النفط بزيادات سنوية طفيفة ، اذ ارتفعت من ٥٣ر٢ مليون دولار سنة ١٩٦٥ الى ٩٧ر٣ مليون دولار سنة ١٩٧٢ · نقول زيادة طفيفة ، اخذين بعين الاعتبار الفترة التي تبلغ ثمانية اعوام ، وارتفاع عدد السكان ونمو الاقتصاد وحاجته اكثر للطاقة ·

ـ المرحلة الثانية وتشمل السنة ١٩٧٣ وخلال عام واحد ارتفعت قيمة الواردات من ٩٧ر٣ الى ٢١١ مليون دولار اي بنسبة ٢١٦٪ ·

ـ المرحلة الثالثة وتغطي ١٩٧٤ـ١٩٧٥ ، وبها قفزت واردات اسرائيل النفطية بالقياس للعام ١٩٧٣ بـ ٢٨٢٪ للعام ١٩٧٤ ، وحققت في العام ١٩٧٥ زيادة جديدة عن العام ١٩٧٤ لكنها زيادة طفيفة حيث لم تبلغ سوى ٦٪ · وفي ذلك العام استقرت تقريبا اسعار النفط ·

المراحل الثلاث المشار اليها يمكن لنا اعتبارها مرحلتين مرحلة الزيادة العادية وتشمل السنوات ١٩٦٥ـ١٩٧٢ ، ومرحلة الزيادات غير العادية وتغطي السنوات ١٩٧٣ و ١٩٧٤ ·

هذه المراحل ، والزيادات التي حققتها تنطبق تماما على المراحل التي مرت بها واردات اسرائيل من دول غير مصنفة ·· مرحلة اولى وتشمل الفترة ١٩٦٥ـ١٩٧٢ ، ومرحلة ثانية تشمل العام ١٩٧٣ ، ومرحلة ثالثة تشمل العامين ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥ ·

تلازم المراحل التي مرت بها واردات اسرائيل من النفط ، وارداتها من دول غير مصنفة تبدو لنا من خلال تطابق المراحل ونسب التزايد · وفيما يلي نسبة تزايد واردات اسرائيل من النفط ومن دول غير مصنفة ·

السنة	١٩٦٥	١٩٧٢	١٩٧٤	١٩٧٣	١٩٧٥
نفط (مليون دولار)	٥٣ر٢	٩٧ر٣	٥٩٧ر٠٢	٢١١	٦٣٧ر٠٩
النسبة المئوية للواردات من النفط في العام الحالي للعام السابق	ـ	٪١٨٢	٪٢٨٢	٪٢١٦	٪١٠٦
واردات غير مصنفة (مليون دولار)	٧٦ر١٢٩	١٤٤ر٧	٧٣٩ر٧	٢٧٨ر٢	٦٩٥
النسبة المئوية للواردات من دول غير مصنفة في العام الحالي للعام السابق	ـ	٪١٩٠	٪٢٦٥	٪١٩٢	٪٩٤

تطابق المراحل ، وتقارب النسب ، بين واردات اسرائيل من النفط وارداتها من دول غير مصنفة تظهر لنا اكثر حين نلاحظ الارتفاع المضطرد في نسبة واردات اسرائيل من النفط فيما لو اخذت بالقياس للواردات من دول غير مصنفة ، حيث ارتفعت النسبة من ٦٧٪ سنة ١٩٧٢ الي ٩١٪ سنة ١٩٧٥ · هذه النسبة المرتفعة تجعل من الممكن القول ، بان المصادر غير المصنفة هي المصادر التي تزود اسرائيل بالنفط ···

لما تقدم نضيف حقائق جديدة تؤكد ما تقدم ، الحقيقة الاولى تقول قررت الحكومة فرض الرقابة على نشر الانباء عن تحركات حاملات النفط من اسرائيل واليها منذ اذار سنة ١٩٧٠ ·· (١١٤) · اي ان موضوع النفط يمس الامن القومي الاسرائيلي ·

الحقية الثانية : محاولات اسرائيل ، والتي يبدو انها قد نجحت بها ، في دخول مجال الصناعة النفطية من خلال توسيع وانشاء معامل تكرير النفط وانشاء صناعة بتروكيماوية ودخول مجال نقل النفط وانشاء خط الانابيب بين ايلات وحيفا وبين ايلات وعسقلان · والذي اعتمد له مبلغ ١٧ر٥ مليون جنيه استرليني في ميزانية سنة ١٩٦٨ ـ سنة ١٩٦٩ (١١٥) والفترة بين ٦٨ـ٦٩ و ١٩٧١ كانت كافية لانجاز الخط ، ودخول مرحلة التشغيل ··

في هذا الصدد يهمنا الاشارة الى ان القفزة في قيمة واردات اسرائيل من النفط قد ترافقت مع « القفزة » في اسعار النفط بعد حرب تشرين ١٩٧٣ · ولكن القفزة في قيمة الواردات هي في حقيقة الامر قفزتان ، الاولى سعرية وتشمل الزيادة بين ١٩٧٢ و ١٩٧٣ ، والثانية كمية وتغطي زيادة ١٩٧٤ او ١٩٧٥ ·

يطرح ما تقدم ، تساؤلا جوهريا هو ، هل تحتاج اسرائيل التي يقدر استهلاكها سنة ١٩٦٧ بـ ٣ر٣ مليون طن (١١٦) من النفط ، لواردات نفطية بـ ٦٣٧ر٠٩ مليون دولار ٠٠٠؟

في ضوء استهلاك اسرائيل ، وفي ضوء قيمة وارداتها ، الامر المؤكد ان اسرائيل قد دخلت مع السنوات ١٩٧٤ و ١٩٧٥ ، مجال الصناعة النفطية من تكرير وتصنيع وتصدير ..

ان ما تقدم يطرح جملة من المسائل والتي تتعلق بموضوع الهجرة ، الصناعة الاسرائيلية مصادر اسرائيل من المواد الخام . والطريقة التي تتكتم بها اسرائيل حول بياناتها ، ومصادر مواردها . وطبيعة هذه المصادر كما اكدت الدراسة ، تؤكد ان المواضيع المشار اليها ليست خارج القدرة العربية على ممارسة الضغط . سواء لان بعض هذه المصادر عربية او لانها صديقة للعرب فعلا ، او لانها تحاول ان تبدو صديقة للعرب .

ان هذا الامر من الخطورة بحيث يستدعي طرحه على كافة المستويات الرسمية والشعبية. واساليب العمل لا بد وان تكون محل اعادة نظر ، وعلى كافة الاصعدة ولممارسة الضغط المطلوب ، والضبط المطلوب لانفسنا اولا ، لاصدقائنا ثانيا ، للباحثين عن صداقتنا ثالثا. ونحن حين نطالب ببذل الجهود ، ففي اذهاننا حجم وسعة التأثير الذي تستطيع ان تتركه حملة منظمة وهادفة ومدروسة .. ومخلصة .

الهوامش :

سوف نستعمل S. A. I اختصارا لـ :
Statistical Abstract of Israel

١ ـ راجع S. A. I سنة ١٩٧٦ ص . ٧٣٢ .

٢ ـ راجع S. A. I سنة ١٩٧٦ ص . ١٢٦ S. A. I سنة ١٩٧٥ ص . ١٢٦ و S. A. I سنة ١٩٧٤ ص . ١٢٥ و S. A. I سنة ١٩٧٣ ص . ١٢٧ و

٣ ـ المصدر السابق و S. A. I سنة ١٩٧٦ ص . ١٩٨ .

٤ ـ المصدر رقم و S. A. I سنة ١٩٧٦ ص . ٢٠٠ .

٥ ـ المصدر رقم و S. A. I سنة ١٩٧٦ ص . ٢٠٠ .

٦ ـ S. A. I سنة ١٩٧٣ ص . ١٢٧ ـ ١٢٦ .

٧ ـ المصدر نفسه .

٨ ـ المصدر نفسه .

٩ ـ المصدر نفسه

١٠ ـ المصدر نفسه .

١١ ـ المصدر نفسه .

١٢ ـ المصدر نفسه .

١٣ ـ S. A. I سنة ١٩٧٤ص . ١٢٥ .

١٤ ـ S. A. I سنة ١٩٧٦ ص . ١٢٦ .

١٥ ـ المصدر نفسه .

١٦ ـ جميع النسب مستخرجة .

١٧ ـ S. A. I سنة ١٩٧٣ ص . ١٢٦ ـ ١٢٧ ـ النسب مستخرجة .

١٨ ـ S. A. I سنة ١٩٧٤ ص . ١٢٥ ـ النسب مستخرجة .

١٩ ـ S. A. I سنة ١٩٧٣ ص . ١٢٦ ـ ١٢٧ .

٢٠ ـ S. A. I سنة ١٩٧٣ ص .

٢١ ـ S. A. I سنة ١٩٧٣ ص . ١٢٦ ١٢٧ .

٢٢ ـ S. A. I سنة ١٩٧٤ ص . ١٢٥ .

٢٣ ـ S. A. I سنة ٧٤ ص ١٢٥

٢٤ ـ S. A. I سنة ١٩٧٦ ص . ١٢٦ .

٢٥ ـ .... المصدر نفسه .

٢٦ ـ S. A. I سنة ١٩٧٣ ص . ١٢٦ ـ ١٢٧ .

٢٧ ـ S. A. I سنة ١٩٧٣ ص ١٢٦ ـ ١٢٧ .

٢٨ ـ سنة ١٩٧٦ ص ١٢٥ ٠

٢٩ ـ استخرج عدد المهاجرين اليهود من البلاد العربية للسنوات ١٩٦٥ ـ ١٩٧٢ ، باستبعاد المهاجرين من جنوب افريقيا وبلدان افريقية اخرى ، وايران والهند وبلدان اسيوية اخرى ٠ واما في الفترة بعد ١٩٧٢ فلم يستبعد من اجمالي المهاجرين سوى جنوب افريقيا ، ايران الهند ، وذلك لان المهاجرين العرب اصبحوا يندرجون تحت « بلدان اخرى » وكانوا سبب التضخم ، وفي هذا الصدد ، يهمنا تسجيل تحفظين ، الاول ، هو حول احتمال ان يكون بين المهاجرين من بلدان اخرى لما بعد ١٩٧٢ ، مهاجرون غير عرب، لكن ، وبالاخص وبالاستدلال بالسنوات الماضية فان عددهم ضئيل جدا ، وعلى سبيل المثال ، فان عددهم بين ٦٥ـ٦٨ كان ٤٩٨ ، وبين ٦٩ـ٧١ ، ٣٠٤ ، وسنة ١٩٧٢ ، ٨٦ ٠ مهاجر ، اي ان ٨٩٠ مهاجر غير مصنف هاجروا طيلة سبع سنوات ، وبمتوسط سنوي يبلغ ١٢٧ مهاجر ، اي ٣٧١ مهاجر للسنوات ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ٠ وهو رقم لا يؤدي الى تغيير المعدلات والارقام المستخرجة ، اضافة لذلك فان هذا كله مجرد احتمال ٠

٣٠ ـ اسرائيل بداية ونهاية ـ تأليف ابو مازن عضو اللجنة المركزية لحركة فتح ٠ اصدار سنة ١٩٧٧ ٠

٣١ ـ S. A. I سنة ١٩٧٤ ص ١٢٥ ٠

٣٢ ـ سنة ١٩٧٣ ص ١٢٦ ـ ١٢٧ ٠

٣٣ ـ S. A. I سنة ١٩٧٤ ص ١٢٥ ٠

٣٤ ـ S. A. I سنة ١٩٧٠ ص ٢١٨ ٠

٣٥ ـ S. A. I سنة ١٩٧٠ ص ٢١٨ ٠

٣٦ ـ S. A. I سنة ١٩٧٠ ص ٢١٨ ٠

٣٧ ـ S. A. I سنة ١٩٧٠ ص ٢١٨ ٠

٣٨ ـ S. A. I سنة ١٩٧٠ ص ٢١٨ ٠

٣٩ ـ S. A. I سنة ١٩٧٤ ص ٢٠٢ ٠

٤٠ ـ S. A. I سنة ١٩٧٤ ص ٢٠٢ ٠

٤١ ـ S. A. I سنة ١٩٧٤ ص ٢٠٢ ٠

٤٢ ـ S. A. I سنة ١٩٧٤ ص ٢٠٢ ٠

٤٣ ـ S. A. I سنة ١٩٧٦ ص ١٩٨ ٠

٤٤ ـ نفس المصدر ٠

٤٥ ـ S. A. I سنة ١٩٧٠ ص ٢١٨ ٠

٤٦ ـ S. A. I سنة ١٩٧٠ ص ٢١٨ ٠

٤٧ ـ S. A. I سنة ١٩٧٠ ص ٢١٨ ٠

٤٨ ـ S. A. I سنة ١٩٧٠ ص ٢١٨ ٠

٤٩ ـ S. A. I سنة ١٩٧٠ ص ٢١٨ ٠

٥٠ ـ S. A. I سنة ١٩٧٤ ص ٢٠٨ ٠

٥١ ـ S. A. I سنة ١٩٧٤ ص ٢٠٨ ٠

٥٢ ـ S. A. I سنة ١٩٧٤ ص ٢٠٨ ٠

٥٣ ـ S. A. I سنة ١٩٧٤ ص ٢٠٨ ٠

٥٤ ـ S. A. I سنة ١٩٧٦ ص ١٩٨ ٠

٥٥ ـ S. A. I سنة ١٩٧٦ ص ١٩٨ ٠

٥٦ ـ S. A. I سنة ١٩٦٧ ص ٢٢٠ ٠

٥٧ ـ S. A. I سنة ١٩٦٧ ص ٢٢٠ ٠

٥٨ ـ S. A. I سنة ١٩٧٠ ص ٢٢٠ ٠

٥٩ ـ S. A. I سنة ١٩٧٠ ص. ٢٢٠ .
٦٠ ـ S. A. I سنة ١٩٧٠ ص. ٢٢٠ .
٦١ ـ S. A. I سنة ١٩٧٣ ص. ٢٠٨ .
٦٢ ـ S. A. I سنة ١٩٧٤ ص. ٢١٠ .
٦٣ ـ S. A. I سنة ١٩٧٤ ص. ٢١٠ .
٦٤ ـ S. A. I سنة ١٩٧٤ ص. ٢١٠ .
٦٥ ـ S. A. I سنة ١٩٧٦ ص. ١٩٨ ـ ٢٠٠
٦٦ ـ S. A. I سنة ١٩٧٦ ص ١٩٨ ـ ٢٠٠
٦٧ ـ S. A. I سنة ١٩٧٠ ص . ٢٢٥ .
٦٨ ـ S. A. I سنة ١٩٦٧ ص . ٢١٢ .
٦٩ ـ S. A. I سنة ١٩٧٠ ص . ٢٢٥ .
٧٠ ـ S. A. I سنة ١٩٧٠ ص . ٢٢٥ .
٧١ ـ S. A. I سنة ١٩٧٠ ص . ٢٢٥ .
٧٢ ـ S. A. I سنة ١٩٧٣ ص . ٢١٣ .
٧٣ ـ S. A. I سنة ١٩٧٣ ص . ٢١٣ .
٧٤ ـ S. A. I سنة ١٩٧٣ ص . ٢١٣ .
٧٥ ـ S. A. I ١٩٧٦ ص . ٢٠٥
٧٦ ـ S. A. I ١٩٧٦ ص ٢٠٥ .
٧٧ ـ S. A. I ١٩٧١ ص ٠ ٢٠٥ .
٧٨ ـ S. A. I سنة ١٩٦٧ ص . ٢١٤ .
٧٩ ـ S. A. I سنة ١٩٧٠ ص . ٢١٤ .
٨٠ ـ S. A. I سنة ١٩٧٠ ص . ٢١٤ .
٨١ ـ S. A. I سنة ١٩٧٠ ص . ٢١٤ .
٨٢ ـ S. A. I سنة ١٩٧٠ ص . ٢١٤ .
٨٣ ـ S. A. I سنة ١٩٧٤ ص . ٢٠٥ .
٨٤ ـ S. A. I سنة ١٩٧٤ ص . ٢٠٥ .
٨٥ ـ S. A. I سنة ١٩٧٤ ص . ٢٠٥ .
٨٦ ـ S. A. I سنة ١٩٧٦ ص . ٢٠٥ .
٨٧ ـ S. A. I سنة ١٩٧٦ ص . ٢٠٥ .
٨٨ ـ S. A. I سنة ١٩٧٦ ص . ٢٠٥ .
٨٩ ـ جميع النسب مستخرجة .
٩٠ ـ S. A. I سنة ١٩٧٦ ص . ١٩٨ـ٢٠٠ .
٩١ ـ S. A. I سنة ١٩٧٦ ص . ١٩٨ـ٢٠٠ .
٩٢ ـ S. A. I سنة ١٩٧٦ ص . ١٩٨ـ٢٠٠ .
٩٣ ـ S. A. I سنة ١٩٧٦ ص . ١٩٩ .
٩٤ ـ على سبيل المثال S. A. I سنة ١٩٧٤ و S. A. I سنة ١٩٧٣ و سنة ١٩٧٠ .
٩٥ ـ لمزيد من التفاصيل راجع شؤون فلسطينية ، عدد (٤٤) ، حول « ابعاد الاتفاقية الاخيرة بين السوق الاوروبية المشتركة واسرائيل » ص . ص .
٩٦ ـ لمزيد من التفاصيل راجع شؤون فلسطينية عدد (٤٨) ، على هامش الحوار العربي ـ الاوروبي .. اوروبا الغربية والعرب واسرائيل » . ص ص .
٩٧ ـ S. A. I سنة ١٩٧٦ ص . ٢٠٦ ـ ٢٠٧ .
٩٨ ـ S. A. I سنة ١٩٧٥ ص . ٢٠٦ ـ ٢٠٧ .

٩٩ ـ S. A. I سنة ١٩٦٧ ص ٢٢٦ ـ ٢٢٧ .

١٠٠ ـ S. A. I سنة ١٩٦٨ ص ٢١٨ ـ ٢١٩ .

١٠١ ـ S. A. I سنة ١٩٦٨ ص ٢١٨ ـ ٢١٩ .

١٠٢ ـ S. A. I سنة ١٩٧٠ ص ٢٢٦ ـ ٢٢٧ .

١٠٣ ـ S. A. I سنة ١٩٧٠ ص ٢٢٦ ـ ٢٢٧ .

١٠٤ ـ S. A. I سنة ١٩٧١ ص ٢٣٦ ـ ٢٣٧ .

١٠٥ ـ S. A. I سنة ١٩٧٣ ص ٢١٥ ـ ٢١٦ .

١٠٦ ـ S. A. I سنة ١٩٧٤ ص ٢١٦ ـ ٢١٧ .

١٠٧ ـ S. A. I سنة ١٩٧٤ ص ٢١٦ ـ ٢١٧ .

١٠٨ ـ S. A. I سنة ١٩٧٥ ص ٢٠٧ ـ ٢٠٨ .

١٠٥ ـ S. A. I سنة ١٩٧٦ ص ٢٠٧ ـ ٢٠٨ .

× جميع النسب مستخرجة .

١١٠ ـ اتفاقية « ياوندة » ، هي الاتفاقية التي وقعت سنة ١٩٦٣ ، بين السوق الاوروبية المشتركة والمستعمرات السابقة لدول السوق الاوروبية المشتركة . وبناء على هذه الاتفاقية رفعت الحواجز الجمركية بين دول السوق المشتركة ودول اتفاقية ياوندة . وبناء على هذه الاتفاقية اعطيت السلع المصنعة والمصدرة من دول السوق الاوروبية افضلية الدخول لدول السوق . وكذلك فقد اعطيت الدول المرتبطة بالسوق بناء على اتفاقية ياوندة ، اولوية تصدير المواد الاولية لدول السوق ـ . وبرغم التكافؤ الظاهري في التعامل ، فاتفاقية ياوندة ، نموذج من عقد استعماري جديد بين دول متخلفة ودول متقدمة .

١١١ ـ يلاحظ اختلاف الارقام المعطاة لبعض السنوات من مصدر احصائي لاخر. ولكن التغير هو في حدود طفيفة والفروق لا يعتد بها ، وعلى سبيل المثال ، واردات اسرائيل سنة ١٩٦٧ ، فقد وردت في بعض المصادر ، على انها ٧٧٥ مليون دولار وفي مصدر اخر ٧٦٨٫٤٨٦ مليون دولار اي بفارق يبلغ اقل من ٧ مليون دولار .

١١٢ ـ راجع الجدول على ص ١١٠ الاستشهادات رقم ٧٨ـ٨٨ .

١١٣ ـ S. A. I سنة ١٩٧٦ ص ١٩٢ ـ ص . ١٩٧ .

١١٤ ـ نشر نص القرار في الجريدة الرسمية ، مجموعة النشرات ، رقم ١٦١١، ١٩ـ٣ـ١٩٧٠ ، ص. ١٥٩ ذكرها صبري جريس في « الحريات الديمقراطية في اسرائيل » مؤسسة الدراسات الفلسطينية ـ بيروت سنة ١٩٧١ ، الطبعة الاولى ص. ٨١ .

١١٥ ـ الدكتور عاطف سليمان ، « اسرائيل والنفط » « مركز الابحاث » ، بيروت سنة ١٩٦٨ ، ص ٩٥ .

١١٦ ـ المصدر السابق ص ١١٤ .

شهادات

أ. بـابـا سـيدي

يهـود مغـاربـة

لا نستطيع ان ندفع عنا شعورا بالحزن الممض ونحن نعاين اليوم مدى تقلص الوجود اليهودي ، لدرجة التلاشي ، في المغرب · ذلك ان العشائر اليهودية الكبيرة في طنجة والصويرة وفاس ، ومراكش والرباط ، اصبح عددها لا يتجاوز عشرات الاشخاص بعد ان كان يحسب بالآلاف في الامس القريب · والذين يصادفهم الزائر في معظم الاحيان ، هم شيوخ اشبه بالظلال الهاربة ، لهم طابع كاريكاتوري احيانا ، ويقدمون شهادة مؤلمة على حضور يصعب انتزاعه من التراب المغربي · لقد غابت الحياة اليهودية بنزوح الشباب وبهجرتهم المكثفة · ولتدعيم هذا الانطباع ، يكفي ان نذكر بأنه لم يعد هناك سوى ثلاثين الف يهودي بعد أن كان عددهم ٣٥٠ ألف نسمة · ومعنى ذلك أنهم أقلية جد ضئيلة وسط ١٨ مليون من سكان المغرب ·

هل يتحتم ، في مثل هذه الشروط ، أن نعتبر بأن الصفحة قد طويت نهائيا وبأن الوجه اليهودي المغربي ينتسب ، منذ الان ، الى التاريخ والى عالم النسيان ؟

اذا كان الامس على ما صورناه ، فما هي الحظوظ التي يمكن اعطاؤها لحركة العودة التي بدأت اليوم بين المغاربة اليهود النازحين ، والتي تعمل اوساط مغربية واسعة على تشجيعها بما في ذلك الحكومة نفسها ؟

ان هذا التساؤل المزدوج ، يقودنا في الواقع ، الى صياغة لعبة معقدة من الاسئلة العديدة النابعة من آفاق جد متباينة · وموضع التساؤل قبل كل شيء ، هو الشخصية اليهودية المغربية وما يتصل بامتلاء تمثيلها الملموس ، وبالكثافة المادية لكينونتها · أليس وجود هذه الشخصية ، المفصولة عن جذورها الحقيقة ، مهددا بأن يختزل الى مجرد هلوسة ورغبة نوستالجية ؟ ان اليهود المغاربة ، سواء كانوا في اسرائيل او في كندا او في فرنسا ، فانهم يعبرون عن حنين قوي الى وطنهم · وهو وضع منفى يعيشونه بدرجات مختلفة من الانبهام ، في مجموع تفاصيل الحياة اليومية ، بعيدا عن كل موقف مسنود

ثقافيا او مبرر سياسيا · والتحسر على الماضي ما هو الا اماره رد فعل من جانب الشخصية ، وعلامة منذرة بموت مجتمل · وفي هذا الاطار ، نفهم دلالة مبادرة السلطات الاسرائيلية التي عمدت مؤخرا الى تنظيم تظاهرات مختلفة احتفالا وحفاظا على تقاليد وفولكلور اليهود الشرقيين ، ظانة انها تستطيع بذلك ان تسجنهم في ثنايا ماض مجيد · وهي محاولة بدون جدوى ، لان الشخصية اليهودية المغربية ، هنا او هناك ، لا يمكن ان تعثر على ذاتها من خلال الاعتراف السكوني بهوية قد يحيلها التآكل الى غبار متناثر كالحلم والوهم · ذلك ان حقيقة هذه الشخصية لا تكمن في اتباع طريقة رشيدة وعالمة ذات نوايا حسنة ، كما انها ليست فقاعة او مظهرا سطحيا لايديولوجية ظرفية · ان شيئا عجيبا قد حدث في أعماق لم تخطر ببال ، ولا يزال يحدث ، مواجها التحدي الصهيوني · ومن ثم فان الستراتيجيات الكلاسيكية لطرائق التناول ، قد اصبحت ادوات مشلولة ومن غير فعالية · ذلك ان المؤقت يسيطر على النهائي · والماضي لم يعد مجرد ذاكرة محافظة ، بل هو قبل كل شيء ، قوة للتحطيم ولاخصاب المستقبل · لكن ، لكي نتفهم جيدا المعنى الذي نتوخاه من هذه الدراسة ، سيكون من الضروري ان نرسم منظورا سريعا للطريق التي قطعها اليهود المغاربة ، وان نسجل المعالم الاساسية فيها ·

عقب الحرب العالمية الثانية ، تدفقت الصهيونية كأنها موج متلاطم ، لتغمر اليهود أينما كانوا · وبالنسبة للمغرب الذي نتخذه مثالا لدراستنا ، فان العديد من سكانه اليهود الذين تعود جذورهم الى الاف السنين ، مثل سكان قرى الاطلس الكبير ، قد انتزعوا من مسقط رأسهم ، تاركين كل ما يملكون ، متخلين عن مهنهم وعن جميع الاشياء المكونة لحياتهم · ولحد الان ، فان الغموض ما يزال قائما امام عرامة هذه الحركة التهجيرية التي تستعصي اكثر اجزائها ، على كل تأويل عقلاني ، خاصة وانه لم يكن هناك اي خطر حقيقي عاجل او آجل يهدد وجود اليهود المغاربة ، حتى في أشد الظروف حلكة عندما اعلن عن تأسيس دولة اسرائيل ، وباستطاعة اليهود الذين عاشوا تلك السنوات واستمروا يعيشون بالمغرب ، أن يدلوا بشهادتهم على ما نقول · انه لشرف للشعب المغربي ان حافظ على برودة دمه ، ولم يرد في اية لحظة على الاستفزاز الدائم للنشاط الصهيوني · وقد حاولت دعاية كاذبة ان تثبت عكس ما قلناه ، وسنتصف الحقيقة فيما بعد ·

لماذا ، اذن ، تلك الهجرة الواسعة ولو أنها امتدت على عدة سنوات ؟ لماذا هذه المأساة الصامتة ، السرية ، تحت تأثير رقابة ملتحمة بالايديولوجية الصهيونية ؟ مأساة كادت ان تمحو ، والى الابد ، الحضور اليهودي من على أرض المغرب ، ولا تزال الى اليوم تنتصب عائقا امام حظوظ ميلاد جديد لحضور اليهود المغاربة · ·

في اي مكان ، عندما يهاجر يهودي اختيارا او قسرا ، يختلف آليا وجود العداء للسامية · وهذه ، حسب الرأي المتداول ، حقيقة بديهية ومسلمة ذات قيمة كونية لا تستدعي أي تدليل حتى تقبل على أنها صحيحة · وكون التاريخ عرف اضطهادات مأساوية كان اليهود ضحيتها ، وعرف حركات استئصال وابادة كما كان الحال في المانيا الهتلرية ، فان احدا لا يفكر في نكران تلك الوقائع او التشكيك فيها · الا ان الفضيحة تبدأ عندما يلجأ البعض ، استنادا على ما كان صحيحا في شروط تاريخية محددة ، الى الخلط والى تحويرات ايديولوجية وضعية يمررونها من وراء هذا القناع · فاذا لم يكن هناك خطر مميت وراء رحيل اليهود المغاربة ، فانهم يستحضرون مع ذلك ، صورة اللاسامية في أشكالها الاكثر تباينا مما يجعلنا نضعها في خانة غيوم التاريخ ·

والنية الواضحة وراء هذا التفكير ، هي تبرير وجود دولة اسرائيل وتبرير سياستها التوسعية والامبريالية ، عن طريق حملة تريد التدليل على انه ، خلافا للرأي الشائع المقبول ، فان اليهود لم يجدوا قط في العالم العربي ، أرضا صديقة ، كما انهم لن يستطيعوا أبدا ان يعتبروا جزءا لا ينفصل عن الشعوب العربية التي استوطنوها · ونحن ندرك هنا أن هذه الحجة تشكل عنصرا حاسما في الستراتيجية الصهيونية ورهانا على جانب كبير من الاهمية · وقد تولى البير ميمي الاضطلاع بهذا العمل الفريد جاعلا من نفسه ضمير العصور الحديثة ، مغرقا في الادعاء والصلف ، مما يجعله لا يستحق أكثر من هزة كتف ، لولا ··· فلنناقش موقفه اذن · في مقدمة كتابه : « يهود وعرب »، كتب يقول :

« أكتشف في نفسي الان ، ان شهادتنا ، نحن اليهود المولودين في البلدان العربية ، لم تجد ، عمليا ، آذانا صاغية » · وبالامكان أن نسأله عمن كلفه بأن يتحدث باسم مئات الالاف من اليهود العرب · لنتابع ، مع ذلك ، رأيه : « الا ان هذه الشهادة هي مع ذلك شهادة اساسية » · يا له من تواضع جم يدشن به ميمي حربه الصليبية التي يريد من ورائها التدليل « على ان الحياة المثالية لليهود في الاقطار العربية ما هي الا اسطورة » · وتبلغ هذه الشهادة اوجها حينما يصطنع هذه اللهجة المؤثرة :

« صحيح أن العرب تعرضوا للاستعمار ، ولكن ماذا نقول اذن عن انفسنا نحن ! ألم نعش طوال قرون مستعبدين ، مهانين مهددين ، ومعرضين للمجازر في فترات منتظمة ؟ من جانب من ؟ ألم يحن الوقت ليسمع الناس كلمتنا في هذا الموضوع : من جانب العرب المسلمين » · امام ضخامة هذا الافتراء المقصود ، نفهم كون الصمت أضحى مستحيلا ، والفضيحة لا تقف عند مستوى الزعم والادعاء ، بل تتمثل ايضا وخاصة في الاحكام المستترة التي يستتبعها مثل هذا الحكم ·

ان نية البير ميمي ، رغم تسترها ، لا تدع مجالا للشك ، فهو عندما يصرخ مطالبا بكشف الحقيقة عن اليهود العرب ، بينما تركز الاهتمام ، لحد الان ، على مصير يهود اوروبا الوسطى ، يرمي من وراء ذلك الى اقامة توازن بين الوضعيتين · الا يقول في نفس الكتاب :

« ومنازلنا أيضا ، لا منازل (اليهود) الالمان والبولونيين فحسب ، قد اقتلعت وحطمت وتشتتت ··· » ، انه يريد بهذا القول ان يقيم توازيا بين وضعية اليهود العرب حتى اذا سلمنا لحظة بأنها مطابقة لما وصفه ميمي ، وبين التأسيس المنهجي والمقصود ، لمخيمات الابادة الهتلرية التي لم يعرف التاريخ لها مثيلا ·

ان اي بلد عربي لم يعرف ، على غرار ألمانيا الهتلرية ، مثل هذه السياسة الابادية التي تحولت الى مؤسسة للدولة تكون أحد أسس ومبررات وجود النظام النازي ، ونحن نتحدى البير ميمي ان يبرهن على عكس ما نقول · وليست محاولة دحض تهمة بدون أساس عن العرب هي التي يجب ان تثير الغضب ·· فالايحاء ، عن طريق الزعم ، بامكانية عقد المقارنة بين شيئين لا تصح المقارنة بينهما ، يشكل سبة في حق ذكرى الضحايا ، كما يشكل تسامحا ضمنيا مع النازيين لانهم ، حسب منطق ميمي ، ليسوا الوحيدين الذين ارتكبوا جرائم باسم لا سامية كونية · قد يدعي صاحب « تمثال الملح » بأنه قصد الى الحديث عن وضعية اليهود العرب فقط ، ولكن هذه التجزئة هي التي توحي

بسياق كامل يصعب معه خداعنا ولا يجعلنا نصدق براءة الكاتب ٠

ولا يفوتنا أن نسجل بأن مما يدخل في منطق الدولة الصهيونية ، اللجوء الى تغيير مركز القضايا ومحاولة تقديم العالم العربي على انه العدو الاساسي ملقية وراء ظهرها بالشهادات القوية لتاريخ حديث ٠

لكن لنكمل مناقشتنا لاهم حجج وأفكار ميمي ٠ يقول عن المغرب : « وفي نفس هذا المغرب ، سنة ١٩٠٧ ، وقعت مذبحة كبيرة ليهود الدار البيضاء مع ما يصاحبها عادة من انتهاكات ، ومن اختطاف النساء في الجبال ، وحرق مئات المنازل والدكاكين ٠ وفي ١٩١٢ وقعت مجزرة كبيرة في فاس ، وفي ١٩٤٨ في وجدة وفي مدن اخرى ٠٠٠ »

من أي مورد استقى هذه الاحداث ؟ وما هي البراهين التي تدعم مزاعمه ؟ لا شيء ٠ انه يلقي بتأكيداته وكأنها حقيقة لا يجادل فيها ، ولا يمكن ان تبدو كذلك وبالذات ، الا لكونه تجنب كل تدليل او تحليل ٠ على ان طريقة التحوير والتزييف هنا ، صارخة يسهل فضحها ٠ فالامر ينعلق عند الكاتب في كل مرة ، بأن يعزل الحدث عن سياقه وان يقدمه وكأنه فريد ثم يضفي عليه دلالة لا يتوفر عليها مطلقا ٠ اولا وأساسا ، نجد ان كفاح الشعب المغربي ضد النظام الاستعماري هو السياق الذي تندرج فيه الاحداث التي اشار اليها ميمي ، وهو السياق الذي يمكن ان يوضح دلالتها الحقيقية ٠ ففي سنة ١٩٠٧ كان الامر يتعلق بقضية ميناء الدار البيضاء ابان بداية الاشغال الاولى لبنائه ٠ ذلك ان الفرق العسكرية الفرنسية ، متعللة بالاضطرابات المثارة من طرف عملاء الامبريالية ، احتلت الميناء بعد ان سبق احتلال وجدة وبركانت وفكيك ٠ وحاولت قبائل الشاوية بدون جدوى ان تلقي بالمحتل الى البحر وذلك بمهاجمة الدار البيضاء التي لم تكن آنذاك سوى مدينة صغيرة ٠ سيكون من المحتمل ان بعض الضحايا من اليهود قد سقطت في هذه الاحداث ، لكنهم لم يكونوا وحدهم الضحايا ٠ انهم لم يكونوا مطلقا المقصودين بالهجوم ٠

وفي سنة ١٩١٢ ، نشبت الاحداث المؤلمة المتصلة بتوقيع معاهدة الحماية الفرنسية ٠ وهي أحداث جد معروفة لا تحتاج الى تحليل ٠ وهذه الاضطرابات الدامية شملت البلاد كلها وخلفت ضحايا يعدون بالالاف بين صفوف الوطنيين المغاربة الذين هبوا لمقاومة الغزو الآستعماري ، غير أن ميمي لا يتحدث عن ذلك ، وهو اهمال من جانبه ، لانه لا يريد ان يبرز سوى حالة اليهود الذين كانوا ايضا ضحايا لهذه الاحداث ٠ (يورد الياحو ايلون في احصائية تاريخية بعنوان « اليهود في افريقيا الشمالية » ، نشرت سنة ١٩٧٥ بالقدس تحت رعاية قسم الشبيبة الاسرائيلية ، عدد الضحايا ويقدرهم بمائة شخص) ٠

ان مثل هذا الموقف يقدم أحسن دليل على عنصرية ميمي ، كمـــا يوضح تزييفه المكشوف الرامي الى تجنب الحدث البارز للغزو الاستعماري ، والى تحميل الشعب المغربي مسؤولية وضعية كان هو أول ضحاياها ٠٠

أما عن احداث ١٩٤٨ ، فاننا نؤكد بكيفية جازمة ، لكوننا عشنا وتتبعنا عن قرب هذه الفترة السياسية بالمغرب ، انه باستثناء حوادث وجدة وهي ليست خطيرة ، لم يقع شيء ٠٠ في حين انه منذ ذلك التاريخ أخذت دولة اسرائيل تشوه كثيرا العلاقات بين

المسلمين واليهود · يكفينا هذا القدر من « الحقائق » لنحكم على صفات الموضوعية والاستقامة الثقافية لمن يزعم بأنه « مؤرخ يهودي شرقي » ، مضطلع بكشف النقاب عن « مأساة يهود الاقطار العربية » ، وهو الذي يجسر على ان يكتب : « واذا ما استثنينا محارق الجثث ، فان مجموع ضحايا المذابح الروسية والبولونية والالمانية ، لا يتجاوز في الغالب مجموع ضحايا المذابح الصغيرة المتعاقبة التي تعرض لها اليهود في الاقطار العربية » · انها قمة الخزي المتستر وراء الموضوعية الظاهرة للارقام · ونصفه بالخزي لاكثر من سبب ، لانه يقتبس طريقة احصاء الضحايا مثلما فعل النازيون في مخيمات الابادة ، ليقيم بها وضعية مختلفة في كل اجزائها ·

لا فائدة من الاستمرار في مناقشة ميمي ، وقد آن الاوان لنقطع الصلة مع نموذج الفكر الكلي القسري المميز لكل ايديولوجية ، والذي رأينا مثلا منه فيما عرضنا من أفكار ميمي · ان الانغلاق داخل وضعية مانوية ، وعدم قبول اي شيء اخر بالنسبة لليهود المغاربة خاصة ، سوى الخيار بين جهنم وعدن ، يوضح طريقة التفكير الخاصة بالفكر التعميمي المولد للاستلاب وبالتالي للخطأ · وهي لا تستطيع ان تقود الى الحقيقة أكثر مما تستطيعه الطريق الوسطى المصنوعة من الحل الوسط ومن النسبة الملائمة · ان كل مفهومية متوخية بكيفية تعسفية للكليات ، تقودها حركتها الخاصة الى نكران ما هو اخر غير مختزل ، وما هو نوعي في مغايرته وفي حقيقته ، وذلك لكون الفكر الكلي يعتمد على المطابقة وعلى اختزال الإشياء الى الهوية · وقد رأينا نموذجا لذلك عندما حاول البير ميمي أن ينكر وضعية متعددة مرتبة حسب تاريخية متقطعة ، وذلك عن طريق مجرد تأكيده لوجود نزعة لاسامية أصبحت اداة فعالة على المستوى العالمي ·

ما هي حظوظنا ، اذن ، في الافلات من شباك هذا الاغراء وتجنب هذا المنحدر القدري للتفكير الكلي القسري ؟ ألا توجد طرق اخرى نسلكها ، تساعدنا على الالتقاء باليهودي المغربي ، وعلى الاحاطة بالشخصيات الملموسة المعبرة عن حضوره ؟ لنعد الان الى الماضي والى التاريخ · انه لا يكفي ان نفضح رؤية سلبية ، مغلوطة قدمت لخدمة دعاية معينة ، بل من الضروري ان نستحضر شهادة التاريخ وان نتأكد من ثقل حضوره· ان هجرة اليهود المغاربة قد خلفت فراغا محزنا · ولا تكاد الاجيال المغربية الجديدة بما فيها الشبيبة اليهودية ، تعرف شيئا عن الماضي الذي يشكل جزءا لا ينفصل عن تاريخ الامة المغربية · ومن هنا يبرز خطر رجحان الفكرة القائلة بأن الاقلية اليهودية لم تكن سوى حدث عارض في الصيرورة التاريخية وبأن مآلها الى زوال ·

لكن ما هي العناصر التي نتوفر عليها اذا اردنا الوقوف في وجه هذا الخطر ، ونفي التشويه الذي يلصق بتاريخ المغرب ؟

اننا نعرف الصعوبات الكبيرة التي يصادفها مشروع كتابة تاريخ أقطار المغرب كتابة متحررة من الرؤية التي فرضتها الاسطوغرافيا الاجنبية · وقد تعرض لذلك عبدالله العروي في محاولته التركيبية : « تاريخ أقطار المغرب » · الا أننا نأسف كثيرا لكون العروي لم يتحدث عن اليهود المغاربة رغم انهم كانوا على صلة وثيقة بتاريخ المغرب منذ أقدم الفترات · ان هناك مواد اولية متصلة بهذا الموضوع ، وهي متباينة ومشتتة بسبب الحوافز الكامنة وراء الدراسات المختلفة التي نصادفها في هذا المجال · وينوب للمؤرخين القيام باحصاء هذه المصادر وبالتثبت من صلاحيتها · وبامكاننا ، من غير أن نضر بالبحث العلمي الذي ينتظر الانجاز ، أن نسوق بعض المعلومات عن تاريخ

اليهود المغاربة اذا كنا نريد الخروج عن الصمت المجحف في حقهم من جميع وجهات النظر ٠

ان تعلق اليهود المغاربة بأصلهم ، واستيقاظ الوعي السياسي قد ساعدا على ازدهار الدراسات التاريخية المختلفة المتصلة بهذا الموضوع في اسرائيل ٠ ويمكن ان نذكر من بين هؤلاء الباحثين دافيد كورس المتوفر على شخصية أصيلة ٠ انه من مدينة الصويرة المغربية ، حصل على تكوينه التاريخي خارج الجامعة ، ونذر نفسه للدفاع عن الحقيقة فيما يتصل بالوضعية اليهودية المغربية ٠ واليه يعود فضل نشر تاريخ اليهود المغاربة باللغة الانجليزية ، واعمال اخرى اكسبته صيتا في بريطانيا والولايات المتحدة ٠ نشير ايضا الى كتاب « اليهود في افريقيا الشمالية » لايلياحو ايلون المنشور سنة ١٩٧٥ بالقدس ، ومن مزاياه انه جمع عددا كبيرا من الاحداث التي تظهر الى أي حد امتزج تاريخ اليهود المغاربة بتاريخ البلاد كلها منذ أقدم فترة يمكن الرجوع اليها ٠ وعلى سبيل المثال ، ومع تحفظنا بانتظار التأكد من صحة الوقائع ، نسوق من هذا الكتاب بعض العناصر التي يمكن ان تصلح كمعالم : يعود الوجود اليهودي في المغرب ، الى فترة دخول الفينيقيين لافريقيا الشمالية ٠ وبعد تأسيس قرطاجة ، تطور سوق الذهب القرطاجي وساهم اليهود في ذلك ٠ ومن القرن الخامس الى القرن الثالث قبل الميلاد ، كانت منطقة ايران Irane هي مكان استقرار اليهود ٠ ومجموع تاريخ افريقيا الرومانية بصراعاتها واحداثها ، تشهد على هذا الحضور ٠ وحسب نفس الكتاب ، فان نقوشا على شواهد القبور ، عثر عليها في الاطلال الرومانية ، تقدم لنا أول كتابة نقشية تبرهن على الوجود اليهودي في المغرب ٠ وهذه الكتابة موضوعة باللغة العبرية في مدينة وليلي ، وباليونانية في مدينة سلا ٠ كذلك ، فان ابن خلدون في كتابه تاريخ البربر ، وكتابات تيرتيليان Tertulien (١٥٥ ـ ٢٢٠) والقديس أوغسطين بعد ذلك بقرن ، كلهم أثبتوا وجود اليهودية (العبرانية) منذ تلك الفترة ٠ ان اليهودي البربري المنحدر من قبائل الاطلس الكبير او من منطقة سوس ، قد حافظ الى الان على خصائص تميزه بسهولة عن اليهودي النازح الى المغرب عقب الاضطهادات التي مارستها محاكم التفتيش في اسبانيا ٠ وهي خصائص فيزيقية وثقافية معا ، فاللغة التي يتكلمها ، هي البربرية ٠ وقد نشر حائيم زفراني نص « الهاكادا » (صلاة تتلى مساء عيد الفصح اليهودي) منقولا من البربرية الى حروف عبرية ٠ وايضا فان اسماء الاعلام تفيدنا كثيرا في هذه النقطة ، اذ نجد اسماء أسر ، مثل أفريات ، وافرغان ، ذات أصل بربري٠ واذا كنا نسجل هذه الخصوصيات ، فاننا لا نقصد من وراء ذلك مطلقا السير في ركاب سياسة استعمارية معروفة تهدف بواسطة اشخاص مدسوسين ، الى استدامة معارضات تؤيد فكرة كون الغزو العربي للمغرب كان مصيبة أصابت اليهود البرابرة كما اصابت اليهود الذين جاءوا بعدهم ٠

والواقع ان استحضارنا لهذا الماضي ، وابرازنا للاثر العميق الذي خلفه الى اليوم ، يستجيبان لغرض أساسي يحتل الصدارة عندنا ، وهو ابعاد الشكوك والالتباسات التي اوجدها تاريخ السنوات الاخيرة وخاصة التيار الصهيوني ٠ وهي شكوك والتباسات كثيرا ما تعاش في شكل تمزق واستلاب ٠ والذي يغذي هذا الاحساس المعقد ويحفز ويغري في نفسي الان تبرير عدد من القرارات الاساسية ، هو فكرة كون اليهود في وضع خارجي بالنسبة للواقع الوطني المغربي ، وبأنهم يشكلون اضافة اجنبية بدون

جذور حقيقية ، ولا تعدو ان تكون في نهاية الامر نوعا من الحثالة يتحتم على التاريخ ان يبيدها ٠

وأمام هذا الوعي اليهودي المغربي المتناقض والشقي ، الذي كثيرا ما يعاد توظيفه في حديث ايديولوجي يخون قضيته ، سيبدو خفيف الوزن استحضارنا لماض تاريخي معرض لاعادة نظر جدالية ٠ ان هذا الوعي اليهودي المغربي المنغلق ، في حدود معينة ، أمام النظام الخارجي للتاريخية وللعقلانية السياسية والايديولوجية ، لا تمكن مساءلته من خارج ذاته ٠ وعندما يكون حاضرا بكليته ، فانه لا يقدم اية فجوة يمكن ان تتسلل منها اشارة ما ، تكشف عنه في صورة غير التي يتقدم بها ٠ وانطلاقا من هـذا المنظور، يمكن ان نحاول القيام بتناول مبرز للتناقضات التي تطبع الوعي اليهودي المغربي ٠ فالصفة المغربية التي يعيشها ذلك الوعي ويطالب بها في أشكال جد متباينة ، سرعان ما يرفضها اذا ما حددت موضوعيا وظهر ان الخصوصية الروحية اليهودية مهددة بسبب ذلك ولو بكيفية جد غامضة ٠ وعلى العكس ، فان هذه الهوية الروحية اليهودية لا يمكنها ان تتخلى من تلقاء نفسها عن المغايرة التي تشكلها والتي تتأكد في الوجه الاصيل لليهودية المغربية ٠

هذا هو السياق الذي أتاح للصهيونية ان تستوطن وان تتناسل كخلية سرطانية ، ومن ثم وجهت ضربتها القوية التي قل نظيرها في التاريخ ، وهي مصادرة القيم الاساسية اليهودية لصالح الايديولوجية الصهيونية ٠ ان الايديولوجية الصهيونية ليست ايديولوجية مكتوبة ، بمعنى ان رجوعها الى كتب مذهبية جد محدود لكي لا نقول منعدم ٠ والكتابات السياسية الظرفية ، مثل كتاب تيودور هرتزل ، لا تشكل قاعدة نظرية يمكن اتخاذها كمرجع ٠ وهذا عنصر ضعف وعنصر قوة في نفس الوقت : فالحديث الصهيوني لا يوجد في أي مكان ، وهو موجود في كل مكان ٠ انه متعدد الاشكال ، متنافر ، وطفيلي ٠

طفيلي لانه يتغذى بالتقليد الروحي اليهودي ، ويزعم انه وجد في التوراة مثلا ، تبريره النظري والوجودي ٠ انه خطاب يتجول بين فضاء الاسطورة والروحية وبين فضاء النظام السياسي ونظام الدولة ٠ والادعاء الذي يخلق الالتباس ويسند وجوده ، يرمي الى الجمع بين الفضاء الاول والثاني ، والى التلويح بأن المسيحية قريبة مـــن ملامسة الارض ٠

ان الصهيونية كايديولوجية للرجعية وللحقد ، حسب المعنى الذي يعطيه نيتشه لهذه الكلمة ، تزعم بأنها تمثل الوجه الاصيل الوحيد لليهودية ، والكلمة الحق الوحيدة التي يمكن ان تصدر عنها ٠ ومن ثم الضرورة الاكيدة عندها في محو المغايرة التي تشكل أصالة بل وكينونة اليهودية المغربية والشرقية ٠ وبعد استعمال كل هذه الالتباسات ، حاولت الصهيونية في الاخير ، ان تلجأ الى منطقة المقدس لتبعد كل نقد مهما كانت طبيعته ٠ وهكذا فان كل يهودي يرفض الاندماج في الصهيونية ، يعتبر خارجا عـن الدين ويصنف على أنه معاد للسامية ٠ لكن حقيقة دولة اسرائيل سرعان ما كذبت ادعاءات هذا الحديث المنمق العجيب ٠ ٠لقد كتبنا في مطلع هذا المقال بأن شيئا لم يخطر على بال قد حدث ولا يزال يحدث في اعماق المجتمع الاسرائيلي ، فكيف نصف مسلسل هذا التغيير الذي تتأكد علاماته يوما بعد يوم ؟ وما هو الثقل الذي يمكن ان يمارسه ليحول سياسة الاوساط القائدة في الكيان الاسرائيلي ؟

من الصعب الاجابة على هذا السؤال · ونحن لا نتوخى في هذا المقال القيام بمثل هذا التحليل السياسي · الا اننا مع ذلك ، نتوفر على عناصر كافية لتقييم كثافة هـــذه التحولات التي تتهيأ في العقول ، وداخل المجتمع الاسرائيلي وخارجه · ووسط العشائر اليهودية التي أعربت في أقطار مختلفة وباستمرار ، عن انتمائها الى الصهيونية · وكل ما يجري ، كأنما هو انعكاس لمرآة متعددة ، حيث الحقائق انقاسية للحياة السياسية الأسرائيلية ، تعكس لليهود الشرقيين ، وبخاصة أولئك الذين نزحوا من المغرب ، صورة هويتهم رغم جميع المحاولات التي بذلت لتشويهها واخفائها · وتعتبر قضية وادي الصليب بداية الفتـرة الاساسية لليقظـة السياسية لليهود الشرقيين · ذلك انهم ، في سنـة ١٩٥٩ ، تظاهروا ضد البؤس والتمييز العنصري خاصة في وادي الصليب وهو الحي الذي يعيش فيه خمسة الاف يهودي من شمال افريقيا ومن المغرب خاصة ، في شروط مزرية · (اننا نأخذ هذه المعلومات من تصريحات دافيد بن هروش التي نشرت في ملف الفهود السود بمجلة « أقليات » Minorités ، العدد الاول ، فبراير ١٩٧٦) · وفي ذلك اليوم ، يوم الاربعاء ٨ تموز ١٩٥٩ ، سقط اليهودي المغربي اقريف عقيبة تحت رصاص البوليس قتيلا ، وحوصر وادي الصليب من طرف « حرس الحدود » ، واتهم اتحاد يهود افريقيا الشمالية وسجن قادته · لقد مرت السنوات ، ويمكن الاعتقاد بأن الزمن قد محا ذكرى هذه الحادثة ، غير ان ميلاد حركة الفهود السود يكفي وحده للتدليل على العكس · لكن هناك ما هو اكثر ، هناك القيمة الرمزية والنموذجية لهـذا الحادث التي لا يمكن محوها · لنتخيل لحظة تلك الحقيقة الرهيبة التي انبثقت أمام العينين الجريحتين لاقريف عقيبة ، وذلك الحلم الذي تهاوى وسط الدم · الحلم الصوفي الذي كان يتغذى بالكلمة القديمة : « السنة القادمة في القدس » والذي كان يشكل الملجأ الروحي لليهودية الشرقية بدون ان يرتسم المشروع السياسي قط في افقه ·· هذا الحلم، اذن ، ضرب بدوره ضربة قاضية · تبين للجميع ان يهوديا يمكن ان يقتله يهودي اخر ، وان القمع والاضطهاد يمكن ان يكونا يهوديين ، وان السلطة ، رغم انها تمارس من طرف أشخاص يهود ، فانها لا تكف عن أن تظل سلطة · هناك ، اذن ، عنصرية يهودية ليست موجهة هذه المرة ضد الاجنبي ، بل ضد اليهودي الشرقي باعتباره ينتمي الى عرق مختلف عن عرق اوروبا الوسطى او « الاشكيناز » · ·وهناك لاسامية يهودية مؤسسية· قد يقال ، سذاجة ان تكتشفوا اخيرا ما كان مكتوبا في دستور دولة اسرائيل منـــذ تأسيسها · بدون شك · لكن ، سذاجة اكثر خطورة ايضا ان نستمر في عدم رؤية هذه الحقيقة ، هنا وفي الخارج ، وهي ان التسميم الايديولوجي ، والتهديد بالخطر الخارجي ينيخان بثقل حاسم ويعوقان وعي الجوهر العنصري للحركة الصهيونية ·

ان وادي الصليب يشكل احدى علامات ظهور وضعية ملتصقة بطبيعة دولة اسرائيل ذاتها · وهذا ما يتيح لنا ان نجعل منها حادثة نموذجية وأن نستخلص منها نتائج مشروعة ·

هناك اعتباران يستحقان التسجيل في هذا الصدد · ان تحليل واقع الدولة الاسرائيلية لا يمكن تجنبه باسم منظور أخلاقي او روحي · واذا كان هناك مجال لا يمكن ان تستبعد منه السياسة والايديولوجية ، فهو مجال الدولة ، ولو كان مغمورا ـ كما هو حال اسرائيل ـ برغبة قديمة ، ومدثرا بدثار الاستشهاد ، فالهروب هنا لم يعد ممكنا بعد ان انكشفت الحقائق ·

والاعتبار الثاني ، هو استحالة تجنب وضع الصهيونية موضع التساؤل لان بنيتها الاصلية تتكرر من خلال بنية دولة اسرائيل التي ، في النهاية ، تتعدى الاولى وتغير وجهها ومعناها حسب المسار الذي يقود من المشروع الى الانجاز ٠

ان الصهيونية التي ولدت في الشروط النوعية لاقفاص اوروبا الوسطى ، قد ورثت عن جذورها محددات يمكن اليوم التعرف على جزء كبير منها في مظاهر تعبيرهـــا الايديولوجي ٠ وقد لاحظ ذلك ايلي المالح عندما كتب : « ان المعضـــلات الاجتماعية والسياسية التي تواجهها دولة اسرائيل ، غير منفصلة عن أسس الصهيونية كما عرفت وسادت منذ تأسيس اسرائيل ٠ وهذه الصهيونية المحدودة عند المفاهيم السياسية للقرن التاسع عشر ، قد ألغت من مشروعها البعد الشرقي (اليهودي والعربي) ، لانها تعتمد على مفهوم يعقوبي للسلطة ، وعلى رؤية تاريخية متمركزة حول اوروبا ، وعلى تحديد ترابي فقط للحق » (دراسة نشرها بصحيفة لوموند الدبلوماسي ، ديسمبر ١٩٧٥) ٠

ونجد موني يكيم يؤكد نفس الشيء خلال الندوة الصحفية التي نظمها الفهود السود لاسرائيل ، بباريس في شهر مارس ١٩٧٥ : « ان الصهيونية كحركة سياسية ، قـــد توسعت في اواخر القرن الماضي ودعمت أسسها اعتمادا على الوضعية ذات الخصوصية الكبيرة للعشيرة اليهودية في اوروبا » ٠

هذه الاحكام على الصهيونية تتوزع وتتأكد من خلال عدد كبير من الاحداث والاعمال السياسية والمواقف المتباينة ٠ ذلك ان الصهيونية قد قدمت نفسها ، منذ الوهلة الاولى على انها قومية يهودية ، مما جعلها مطبوعة منذ ميلادها بالتباس مثقل بالعواقب ٠ وقد كانت مطالبتها بالارض تتم حسب خط ملتو ، مليء بالتشابكات وبالرجوع الى الوراء الى محو الخطوات الاولى ، فأحيانا يتعلق الامر بمكان للهروب من الاضطهاد ، وأحيانا ـ وهذا هو التمفصل الاساسي ـ يرتكز المشروع على العودة الى الارض الموعودة وعلى تكوين دولة في فلسطين ٠ هكذا ترتبط الصهيونية ارتباطا مزدوجا بسياق تاريخـي محدد ٠ والتاريخ بالنسبة لها يسير وفق الطريقة المزدوجة للشهوة وللواقع ٠ وهـذا هو مصدر الجدلية المليئة بالتناقضات التي تعتمل في داخلها ولن تتأخر عن الانفجار ٠ ان الصهيونية لكي تبرر مطالبها الترابية ، تستحضر التاريخ ، لكنها تخفي كونها ظرفية ليس لها من واقع موضوعي سوى الرغبة للحفاظ على الهوية الروحية اليهودية الا انها تنتهي عبر الوقائع ، الى نكران وجود فلسطين ووجود الفلسطينيين ٠ ان الصهيونية تريد ان تقدم نفسها كأنها الكلمة الوحيدة والمبعوث النبوي لشعب يهودي وامة يهودية بالرغم من وجود الدياسبورا ٠ لكن ، ما هي حقيقة الامر في الواقع ؟ نجد ان اليهود الاشكيناز (الغربيين) هم مؤسسو الصهيونية ٠ وهذا ظرف تاريخي كان بالامكان ان يؤدي الى احداث قليلة ، ففي داخل الديانة اليهودية ، لم يكن اليهود الشرقيون واليهود الغربيون يشكلون فرقا متنازعة ولم يدخلوا قط في صراعات بقصد فرض هيمنة ما ٠ لذلك فان مسؤولية الصراع القائم بين اليهود الاشكيناز السفارديم الان ، في المجتمع الاسرائيلي ، تعود بدون شك الى زعامة اليهود الغربيين ٠ وكون الحديث الاسرائيلي لا يزال يتكلم الى ومنا هذا ، عن الاشكناز والسفارايم والشرقي ، والاجناس المفصولة ، هو دليل ساطع على انه يحمل في ثناياه بذور التمييز العرقي والعنصري ٠ لكن علينا الا نستبـق الاحداث ٠ سأنقل اليكم تصريحا جد هام بالنسبة للموضوع الذي نعالجه ٠ خلال المؤتمر الصهيوني الثامن الذي انعقد بمدينة بال سنة ١٩٠٧ ، صرح الدكتور ماركوز ايهرنبريس،

الحاخام الاكبر لبلغاريا وأحد اوائل انصار هيرتزل : « ماذا تم خلال السنوات العشر الاخيرة ، لنقرب منا ذلك الجزء الهام من الشعب اليهودي ، ولنكسبه الى جانب فكرة التحرير القومي العظيمة ؟ لا شيء ! فالسكان السفاراديم في الشرق يجهلون كل شيء عن الصهيونية · الا ان من واجبنا أن نولي كل عنايتنا لهذه الجماعة من اليهود ، وذلك لسببين اثنين : خلال تطور اللغة والطقوس اليهودية الشرقية ، انحفرت هوة بين اليهودية الغربية وبين اليهودية الشرقية ··· والشغل الشاغل لحركة قومية مثل الصهيونية يتحتم ان يكون هو توحيد تلك الاجزاء المتفرقة من جسدنا ، وليس ذلك من اجل المصلحة السياسية للصهيونية فحسب ، وانما من اجل مصلحة اعمق هي ادراك الوعي القومي اليهودي » ·

ما يمكن ان نقرأه بين سطور هذا التصريح ، وبوضوح ، هو ان جماعة اليهود الغربيين تعطي لنفسها وضعية امتيازية وتبنيها على مشروع قومي خاص ، لا يشاطرهم اياه جميع اليهود · ونلاحظ ، في هذا الصدد ، انزلاقا حاسما بالنسبة للمستقبل ، ذلك ان الديانة اليهودية ، منذ الان ، ستحكم على نفسها حسب مقاييس سياسية ·

على ان ما كان يتراءى في مختلف تعبيرات الحركة الصهيونية ، سرعان ما تجسد بتضاريس واضحة في الواقع السياسي الاسرائيلي · والادلة على ذلك متعددة ، نكتفي منها بهذا التصريح البالغ الدلالة :

« ماذا يجب ان يكون هدف « تجمع المنفيين » ؟ ليس فقط احضار اليهود الشرقيين الى ارض اسرائيل ، بل ان يرجع لهم كذلك قيمتهم الاولى الاصلية · وهذا ينطبق على جميع فئات الشعب المشتتة ـ لسوء حظهم من جانب القدر ـ بين شعوب ذات مستوى ادنى · وكل يهودي يعتقد اننا غير قادرين على النجاح في تطهير اخواننا الشرقيين من وصمة الاستشراق التي لحقت بهم رغما عنهم ، سيكون مسؤولا عن ذلك امام الله · والمسألة تبعث على القلق الكبير ··· كيف نستطيع ان نرفعهم الى المستوى الغربي لليهود ··· » (من كتاب . « R. Patai : « Israel between East and West)

انطلاقا من اسطورة الوحدة الاصلية للشعب ، في معناها الحرفي هذه المرة ، تلجأ الصهيونية الاشكينازية ذات التمثيلية ، الى القيام بقطيعة شبه اخروية : فهناك اليهودي الطاهر ، الاشكيناز ، المكلف برسالة فدائية ، ثم من جهة ثانية ، اليهودي السفاراديم، المتهاوي ، المشرف على فقدان يهوديته اذا لم يطهر من الوصمة الشرقية · وهذه التفرقة القائمة داخل الديانة اليهودية نفسها توضح ان الصعيد الديني لا يمكن ان ينغلق على نفسه وانه معرض لاتخاذ مواقف توجد حوافزها في المجالين السياسي والايديولوجي · في هذه الحال ، فان المغايرة الدينية لا ترتكز على اختلاف في التأويل ، بل على مقاييس قيمة ستكشف لنا اصلها ·

مرة اخرى نضع ايدينا على مظهر العمل الاستلابي الذي تمارسه الصهيونية داخل الديانة اليهودية · وانطلاقا من موقف محدد ، تحدده الجماعة الصهيونية الحاكمة ، يبعد أناس آخرون ، يهود ، ويوصف السكان الذين يأتون منه بأنهم « شعوب وضيعة ذات مستوى وضيع » ·

اننا لسنا سذجا حتى نعتقد بأن ديانة ما ، كيفما كانت ، يمكن ان تحافظ على نفسها

طاهرة ومنغلقة امام كل تأثير سياسي او ايديولوجي · لكن ما يهمنا قبل كل شيء ، هو ان نبين انه ، عندما نمحص حديث الدولة الاسرائيلية تتبدى لنا بسرعة كبيرة كخلفية للكلمة الروحية ، اللغة القاسية للسلطة · ذلك ان الاستعمار والعنصرية ليسا بضاعتين خاصتين بالاستعمال الخارجي · وليس هذا التأكيد من اختراعنا ، يكفينا هذه المرة أيضا ، ان نترك الكلمة للاسرائيليين انفسهم ، لنقتنع بصحة هذا القول · كتب صحفي اسرائيلي هو اري جيلبيوم مقالا نشره سنة ١٩٤٩ جاء فيه : « مسألة جادة ومهددة طرحتها هجرة افريقيا الشمالية **وهي هجرة عرق لم نعرفه بعد في هذه البلاد** (اسرائيل)· **اننا امام شعب بلغت بدائيته القمة ، فمستواهم التربوي يقترب من الجهل المطلق** ، وعجزهم عن تناول اي موضوع ثقافي اخطر مما نتصور · ان يهود شمال افريقيا خاضعون تماما لاهواء بدائية ومتوحشة ··· في الاحياء الافريقية (باسرائيل) ستجدون الوساخة والمقامرة بلعبة الورق ، والعربدة والفسق · وكثيرون منهم يشكون من امراض خطيرة في العيون والجلد والامراض التناسلية بدون ان نذكر اللاأخلاقية والسرقة · لا شيء في امان مع هذا العنصر الاجتماعي ، وليس هناك قفل باب يستطيع ان يقاوم مفاتيحهم » ·

ان اليهود المغاربة الذين خدعتهم السياسة الادماجية للحماية ، يستطيعون اخيرا ان يكتشفوا معنى الاستعمار · فالمغاربة على الاخص ، يعتبرون في اسرائيل محرضين ، خطرين وخالي الذهن من كل معرفة ثقافيـــة ·وقـــد اصبح « المغربي ذو السكين Morroco - Sakin » نمطا شعبيا في اسرائيل · يقول رفائيل باتاي في هذا الصدد : « ان اليهود الغربيين في اسرائيل يتخذون تجاه اليهود الشرقيين نفس الموقف العام الذي كان يتخذه الاوروبيون المتنورون في علائقهم مع « المولودين » الاستعماريين **عندما التقوا اول مرة بشعوب ما وراء البحار ، ذات الثقافـات والقيم الاجتماعيـــة المختلفة** » ·

هذا الموقف التمييزي المحتقر ، وصفه احد ممثلي العشيرة اليهودية الشرقية فـي القدس ، بأنه « استئصال ثقافي » · وهو موقف يتبلور بالذات حول مشكلة اللغة · ذلك ان (اليديش) وليست العبريـة ، هي التي يعتبرهـا الكثيرون لغة الدين اليهودي لدرجة ان وزيرا اسرائيليا سابقا قال : « كل من لا يتكلم اليديش ليس يهوديا حقيقيا او كاملا » · على ان مختلف المؤتمرات الصهيونية ، وخاصة في بداية الحركة ، قـد عرفت صعوبات كبيرة فيما يرجع للتواصل وبالاخص عند اليهود الشرقيين الذين ، مثلما هو الحال بالنسبة للمغاربة ، يجهلون اللغة اليديشية ، ويتحدثون العربية · ان يهود الاقطار الاسلامية ، المحتقرين في ثقافتهم وفي اصالة حياتهم الدينية ، يشكلون فـي الجوهر ، فئة البروليتاريا باسرائيل مع ما ينتج عن ذلك من عواقب : استغلال ، تفاوت على كل الاصعدة ، شروط حياتية مزرية · وان الدخل العائلي حسب القارة الاصلية وفترة الهجرة ، يتيح لنا تدقيق هذا التفاوت وما يستتبعه من فروق · ففي سنة ١٩٥٩ ـ ١٩٦٠ ، كان الدخل لعائلة من اصل افريقي ـ آسيوي يمثل ٦٨٪ من دخل عائلة اصلها اوروبي او امريكي · ولا داعي لسرد احصائيات اخرى ستكون جميعها مدينة للنظام الصهيوني · لنختتم هذه النقطة بما كتبه ايلي المالح قائلا :

« نلاحظ ليس فقط ان الاوالية الكلاسيكية للحديث القمعي تختزل المهانين الى رجال مشبوهين بلا جدارة لتبرر بذلك ابقاءهم على حالتهم ، بل نلاحظ على الاخص فداحة

الامارات الدالة على موقف عنصري ينفي كل ما هو شرقي (يهوديا كان او عربيا) خارج النسق الاسرائيلي ، وذلك عن طريق اقامة علاقة داخلية بين الاصل العرقي وبين الموقف المطلبي » · ويضيف الكاتب فيما بعد : « هم اذن ، داخل اسرائيل بمثابة يهود اليهود : دائما على خطأ ، ومهما فعلوا فان افعالهم لا تزيد على ان تؤكد ، في اعين الضمير الطيب اليهودي الاوروبي ، وضعيتهم الدنيا · وعن طريق تزحلق للمعنى ، خاص بالمجتمعات العنصرية او الاقطاعية فان « الدونية الاجتماعيـة تعتبر دونيـة داخلية » (نفس المقال المشار اليه سابقا) ··

هناك عدة استنتاجات يمكن استخلاصها من هذا التحليل السريع · وفيطليعة ذلك ، ما نحاول اظهاره : وهو ليس فقط تأكيد الشخصية اليهودية التي تسمى خطأ بالشرقية ، بل اكتشافها · فأمام النكران العنيف من جانب الدولة الاسرائيلية ، والشكوك المتولدة من الهجرة والمذكاة من طرف الايديولوجية الصهيونية ، نجد ان الهوية اليهوديـة السيفارادية (الشرقية) قد تأكدت بقوة ومعها تأكدت ، ولو بدرجة أقل وضوحا ، الثقافة التي تحملها وتغذيها : اي ثقافة العالم العربي · ان هذا الوعي يتأكد قبل كل شيء على الصعيد الديني والروحي · نكتشف ان يهودية الاقطار الاسلامية ليست ديانة بدائية ولا ديانة منبوذين ومسترقين حسب الرؤية الصهيونية ، بل هي تعبير عن ارقى الروحيات· وقد شهد بذلك الدكتور ايروين روزنتال المستشرق والمؤرخ ، عندما كتب يقول : « باستثناء عهد التلمود ، لم تكن هناك ، بلا أدنى شك ، فترة اكثر ابداعا وايجابية في تاريخنا الطويل المليء بالمرتفعات والمنخفضات ، من الفترة التي وصلت فيها الامبراطوريـة الاسلامية الى البحر المتوسط والى المحيط الهندي » ·

وفيما يتعلق خاصة بالمغرب وتونس ، فاننا نسجل في اواخر القرن العاشر الميلادي مثلا ، ازدهارا استثنائيا في مجال تجويد النصوص التشريعية الحلقية والتلمودية التي تطورت في افريقيا الشمالية · وكان مركز الدراسات التلمودية الممتاز يوجد في القيروان ويليه مركز مدينة فاس ، والى جانبهما مراكز سبتة ومكناس ودرعة ، وسجلماسة ، وأغمات ، وتلمسان وغفصة · كذلك ازدهرت الدراسات اللغوية بشكل لم يتقدم له نظير وكان من نتائج ذلك وضع النحو العبري ، واللسانيات المقارنة · (عن كتاب اليهود في افريقيا الشمالية ، سبق ذكره) · وكان يهودا ابن قريش من تاهرت هو الذي قدم ، في رسالة بعثها الى عشيرة فاس ، نظرة اجمالية عن اللسانيات المقارنة · وكان الشاعر اليهودي المغربي دوناش ابن لبرات يعرف العبرية والعربية ، ويتمتع شعره بأصالة تتمثل في صياغته على طريقة الشعر العربي · ونذكر ايضا اسحاق الفاسي (١٠١٣ ـ ١١٠٣) الذي نقل من القيروان الى فاس المركز اليهودي للتشريع وهو في اوج ازدهاره · ان مجموع تاريخ المغرب وافريقيا الشمالية يشهد على هذه الحياة الثقافية والروحية الكثيفة والتي لا يمكن ان نعتبر الفيلسوف ميمونيد هو نموذجها الوحيد كما يظن البعض ·

لكن ، اذا كان لم يعد بالامكان مناهضة الهوية اليهودية الشرقية على الصعيـد الروحي ، واذا كانت خصوبة التقائها بالاسلام وبمجموع الحضارة العربية أصبحت واضحة اكثر فأكثر ، فان جميع المعضلات لم تحل بعد ، فاذا كانت هذه الهوية مطلوبة بصوت مرتفع داخل اسرائيل وخارجها على السواء ، فان ذلك لا يتخذ شكل مشروع وحيد ، واضح وصريح · علينا ان نحترز من الاعتقاد بأن هذا الوعي قادر على تكوين حركة متجانسة ذات اهداف محددة خاصة على الصعيد السياسي · نكون أقرب الى

الحقيقة ، اذا اعتبرناه نقطة اتفاق بالنسبة لحركة فكرية وآراء معقدة ومتباينة · ان هذا الوعي يسجل بدون شك ، بالنسبة لدولة اسرائيل وبالنسبة لجميع الذين يشاطرون الصهيونية معتقداتها ، قطيعة مع الماضي ، واعلانا عن آفاق جديدة · وطبيعي ان كل شيء يدور حول المسألة الحاسمة المتصلة بالاعتراف بالشعب الفلسطيني وبحقوقه في الاستقلال القومي · وما حاولناه في الصفحات السابقة ، هو اظهار كون اليهودي والعربي مرتبطين ارتباطا وثيقا داخل نطاق مغايرتهما نفسها · انهما يمثلان « الآخر » تجاه النظام الالغائي للدولة الاسرائيلية التي تمارس ، في نهاية الامر ، وظيفة استلابية ازاء جميع اليهود سواء كانوا شرقيين او غربيين · وبعيدا عن الاسباب الايديولوجية ، والحسابات السياسية الخاطئة ، واذا سلمنا جدلا بأن هناك معنى اليوم للمطالبة بالرسالة العرقية للشعب اليهودي ، فانه لا يمكن ان نكون يهودا وان ننكر في نفس الوقت ، وجود الفلسطيني · ان جميع الذين حافظوا ـ وهم كثر ـ على الحضور الصامت لاصلهم اليهودي ، يشعرون ربما لاول مرة في حياتهم ، بأنهم يهود ، وذلك بقدر ما يرفض ضميرهم المجروح ، قتل الفلسطيني · وبدون هذا الاحساس ، يتحتم علينا ان نعترف باننا لسنا شعبا ساميا ، وبأننا لا نقتسم ميراث ابناء سام ، وبأن ارض اسرائيل هي دولة اسرائيل ·· فيكون في ذلك خراب اصالة الكلمة الروحية ·

يقدم الينا ايلي الياشار ، مؤسس ونائب رئيس فدرالية اليهود الشرقيين ، شهادة هامة عن هذا الاحتياج الذي ظهر لدى وعي اليهود الشرقيين ، فقد اوضح في مقال نشره بمجلة اقليات « Minorités » ، انتماء اسرائيل الى الشرق الادنى ، ووحدة الاسرة الكبيرة للشعوب السامية ، تلك الاسرة التي ينتمي اليها اليهود والعرب على السواء · ومن ثم تعرض لضرورة الاعتراف « بوجود شعب فلسطيني متوفر على كيان خاص » · وهذا اعلان يدل على تغير في العقول ، الا انه لا يزال ضئيلا تجاه الايديولوجية السائدة · غير ان الحقيقة تعرف كيف تشق طريقها مهما كان الثمن ، من خلال العقبات التي تبدو لاول وهلة صعبة التجاوز · ويمكن تلخيص هذه الحقيقة في العبارة الممتازة التي كتبها ايلي المالح : « حق اسرائيل في الوجود ، مقترن بالاعتراف بالهوية السيفارادية وبالهوية الفلسطينية ، وباحترامهما » ·

بعبارة اخرى ، وبصفة عامة ، فانه اذا كانت سياسة الاوساط القيادية الاسرائيلية توضع موضع التساؤل الان ، فان الفضل في ذلك يعود ، بدون شك ، الى ذلك الوعي الذي تبلور وسط العشائر اليهودية الشرقية · وما حركة الفهود السود سوى احدى علاماته الخارجية · ومهما يكن مستقبل هذه الحركة ، فاليها تعود جدارة الكشف عن الوضعية التي فرضت على اليهود الشرقيين ، وطرح مشكلة تحول البنيات السياسية لدولة اسرائيل ، واظهار كون الكيان الاسرائيلي يعتمد في استمراره على الحرب ·

غير ان الامر بالنسبة لنا ، وهنا تبدو كل تعقيدات المعضلة ، لا يتعلق بالبقاء سجناء في فضاء تحدده الحوادث المقترنة بهذا الوعي السيفارادي وبرأي اليهود الشرقيين في مستقبل المجتمع الاسرائيلي · ذلك ان الرهن الصهيوني قد اضر ولا يزال بمستقبلنا نحن اليهود المغاربة · وطوال المدة التي كان فيها نسق التفكير الصهيوني يقدم الينا خاليا من الثغرات ، وكانت قوة ايديولوجيته تمارس تأثيرها بدون رد ، لم يكن هناك اي امل يتراءى لنا في الافق لتغيير مجرى تطور الامور · وبالنسبة لجميع الذين لم يكفوا ، من بيننا ، عن المطالبة بانتمائهم الى الامة المغربية ، وترجموا هذه الارادة من

خلال كفاحهم في سبيل الاستقلال ، فان هذه الوضعية كانت تعاش بكيفية ماساوية · لم يكن كافيا ان نحدد انفسنا بالسلب تجاه الصهيونية ، وان نقول اننا مغاربة مخاطرين بالتخلي عن تلك المغايرة التي تشكل اصالة تجربتنا الوجودية نفسها : ان نكون يهودا وجزءا لا ينفصل عن بلاد اسلامية · لكننا اليوم ـ وهذا ما نحرص على التنبه اليه ـ نلاحظ ان الحديث الصهيوني الكلي قد بدأ يتبعثر ويتفتت بعد ان مر بتجربة الدولة ، فغدت تناقضاته واكاذيبه ومسلسلاته الاستلابية ، وطبيعته التضليلية ، تزداد وضوحا يوما بعد يوم · ومن ثم فان التوحيد ، بواسطة عنف هذا الحديث الصهيوني ، بين اليهودي والاسرائيلي ، وبين اليهودي والصهيوني ، بمكن ان يرفض اليوم وان تكون لهذا الرفض ، حظوظ في النجاح · على ان هذا الرفض لم يعد يقتصر على موقف احتجاجي · انه يتجسد في الاحداث ، وهنا نلتقي بمشكلة العودة · لقد طرح قانون العودة داخل اسرائيل، وهو يرمي الى منح كل يهودي اصبح اسرائيليا ، حق مغادرة اسرائيل ليعود الى بلاده الاصلية · ومن جانب البلدان العربية ، مثل المغرب مثلا ، فان حركة العودة تحظى رسميا بالتشجيع · الا ان الخطأ سيكون فادحا اذا اعتبرنا هذه العودة مجرد حركة آلية · ذلك ان الالتقاء من جديد بالهوية السيفارادية لا يمثل سوى نصف الطريق · والاقتصار على الصعيد الديني بدون تحمل اعباء مختلف الثقافات الوطنية التي غذت تلك الهوية ، يعتبر قطيعة لا مناص من التغلب عليها · انه من الصعب ، الاعتقاد بأن الديانة اليهودية سيفارادية تكون كيانا منفصلا ، وبان تعايشها مع الاسلام ومع بنياته الاجتماعية والقومية هو مجرد ظاهرة قائمة على التقابل الالي · ان موقفا منتبها للمميزات الاساسية لليهودية الشرقية ، سيبرهن بسهولة ، بانه لا يمكن اعتبارها كشريحة جامدة وضعت في واقع لن تقيم معه اي تبادل · لقد اسهبنا القول لنوضح باننا في نفس الحركة وبنفس الخطوات ، نتعرف على ذاتنا كيهود شرقيين وكمغاربة ، وبانه لا يمكن فصل احدهما عن الآخر ·

اذا كان الرهن الصهيوني قد شكل تهديدا خطيرا لهذه الهوية المزدوجة ، فان الادماج الذي دعا اليه وشجعه نظام الحماية الفرنسية ، يكون بدوره خطرا لم يختف بعد اثره

ان النموذج الغربي الذي حمله الغزو الاستعماري ، قد مارس تأثيرا عميقا على المستعمرين الذين افتتنوا به افتتانا كبيرا · وهذا الافتتان الذي لم يعش بنفس الطريقة من كون الجميع ، والذي كانت تأثيراته تخضع لايقاعات مختلفة ، لم يبدأ الشعور به حقيقة ، في بعض الحالات ، الا عندما انتهت السيطرة الاستعمارية سياسيا · ولا شك ان قوة الفتنة هي ابعث على الخشية من الاسلحة · وفي هذا المجال ، نجد ان اليهود المغاربة ، ومعظمهم من الفئات الموسرة ، قد استسلموا بسرعة لفتنة النموذج الغربي ، وذلك لاسباب تحتاج الى تحليل خاص لا يسمح به المقام · ان جميع الذين عاشوا وتحملوا هذه التجربة هي أخص صميميتهم ، يعرفون الى أي حد كان من الصعب التحكم في هذه الحركة البطيئة والمتحايلة « للتمدين » الغربي ، وبالتالي اصدار حكم تقييمي دقيق لها · ولم تبدأ عملية التقييم النقدي الا بعد فترة الاحتلال · لكن مثل هذه العملية ، كي تكون ممكنة ، لا بد لها ان تتصل في العمق بتحليل نقدي يشمل المجتمع الصناعي الاستهلاكي والمجتمع الجديد الذي يولد في المغرب بعد الاستقلال · اليوم فقط نستطيع ان ننظر الى الاشياء اذا انسقنا مع التيار على امتداد منحدرات الماضي · اربعون سنة من الحماية عملت كأنها مختبر عجيب بدون جدران ولا آلات ، وبدون سمات ولا طرائق محددة ولا ادنى فكرة واضحة ·

ان الحداثة ، والان فقط يمكن التلفظ بهذه الكلمات ، كانت تتسلل بكيفية لم يعرف نظيرها من قبل ، وبصمت ، الى الاشياء والكائنات لتحمل اليها انعكاسات ذلك الغرب البعيد المستثمر في عالم الحلم المرتاب وفي اجواء الجمال والقوة ٠

والوجه الآخر للغرابة التي لا تخلو من فتنة مثل الوجه الاول (الحداثة) والذي لم ينتبه اليه الا قليلا رغم ان عهده قريب ، وهو ذلك المظهر المتصل بالحياة اليومية المبتذلة والمتعلق باحداث التغيير فيها قسرا : لا تضحك بقوة ، لا تتحدث بصوت مرتفع ، خفف من حدة الالوان الصارخة ، اقطع الصلة المباشرة بالاكل ، لا تأكل بأصابعك (اي حصر المتعة في فم منغلق) ، لا تقل : آه ! بل : آي الفرنسية المهذبة ، وعندما تشعر بالالم لا تقل يما ، بل ماما ٠٠٠ محرمات كثيرة ليعلموننا الا نعيش ٠ وكانت هناك رقابة قاسية تنغرس كل يوم في الاعماق لتراقب داخل كل واحد الحركات والسكنات ، واقل اشارة يمكن ان يعرف من خلالها اليهودي المغربي ٠ انه عمل تأكلي لتدجين حساسية غنية ، كانت المدارس الاولى للرابطة الاسرائيلية هي بوتقته ٠ وشيئا فشيئا اخذ الشعور بالعار لكون الانسان يهوديا يتبلور ، ولم يكن يعبر عن نفسه الا عن طريق الاحساس بالعار لكونه مغربيا ٠ كانت القضية الكبرى بالنسبة للاستعمار ، هي محو ملامح وجه اصيل ، وتعويضها بقناع غفل لرجل غربي صغير ٠ كان يتوجب بسرعة التخلي عن الثياب التقليدية او الاحتفاظ بها لارتدائها في لحظات الصميمية داخل البيت ٠ ممنوع الكلام بالعربية خارج المنزل ، وتكفي ادنى لهجة او نبرة موشية ليعتبر اليهودي نفسه ضائعا ٠

لقد كانت العربية ، وهي لغة الحياة العائلية ولغة الرغبة والالم ، لغة الحب والغضب ، او ببساطة لغة الثرثرة ، كانت للاستعمال الخاص ٠ وكان من علامات الظرف ، اتخاذ اسماء مسيحية بدون الشعور بالضيق عند ارتداء هذه الثياب المستعارة الغريبة ٠

وهكذا انفتح طريق « المنفى الداخلي » حسب تعبير رولاند جاكار ، فالحساسية المتآكلة من جراء هذا المجهود الزجري الداخلي ، والشخصية المهددة في حيويتها المتدفقة ، والبنيات العقلية وطرائق التفكير ، كل ذلك كان ينبىء ايضا بتحولات عميقة ٠ وعلى المستوى الاكثر مباشرة ، فان العقول كانت تتعرض ، عن طريق التعليم ، لتأثير ايديولوجية خليط الا انها ذات طابع استعماري سائد ٠ وكانت جميع المظاهر المبتذلة للعمل الحضاري الفرنسي ، ولمحاسن الاستعمار ، تستقبل ، وكثيرا ما تقلد ، بسذاجة تظهر الى اي حد كانت اواليات (ميكانيزم) الاستلاب تدور عجلتها جيدا ٠

الاكثر خطورة ، هو ان هذا الوضع قد ولد عند عدد كبير من اليهود ، خاصة في الطبقات العليا ، احساسا بالتفوق العنصري تجاه المسلمين ٠ ولم يكن غريبا ان نجد اليهودي يتحدث باحتقار عن الآخرين ، الاهليين ، ناسيا انه هو نفسه « اهلي » (اندجين) ومستعمر مثل بقية المغاربة ٠ ولا شك ان الحماية الفرنسية قد زرعت بحذاقة بذور التقسيم ، فحققت تمدرسا مرتفعا بين الاطفال اليهود عن طريق مدارس الرابطة الاسرائيلية٠ الا ان هذه النتيجة الايجابية استعملت في اخفاء تمييز عنصري كان احد اسس سياسة الحماية ، والذي بدأ فوق مقاعد الدراسة ٠ كان الطفل اليهودي مفصولا عن الطفل المسلم، يدخل هو الى المدرسة ، ويلقى بالثاني الى الشارع ٠ ونفس التفاوت الصارخ ، اكثر المقنع ، كان يوجد في مجالات اخرى مثل مجال الصحة ٠ لكن علينا الا نغفل الشيء الاساسي ، وهو ان اليهودي المغربي لم يكن يتمتع بأي حق ولا بأية ضمانة او حرية اخرى

سوى السماح المنوح له بممارسة ديانته في اطار مراقب · كان يتلقى فتات ادارة متعالية محتقرة ، معادية للسامية بقوة ، ولا تدع اية فرصة تسنح لتذكره بوضعيته اليهودية ·

وباختصار ، فان وضعية اليهودي المغربي ، كانت وضعية مستعمر ، مضطهد ، غير انها كانت محجبة وراء بعض امتيازات وهمية ووراء امان لم يكشف قط عن معناه · ذلك ان نظام الحماية دخل الى المغرب وقد عمته الفوضى واشرف على الخراب نتيجة للحملات الامبريالية · واستطاع النظام الاستعماري ، بمساعدة ظروف معقدة ، ان يبدو في اعين السكان اليهود ، بمثابة الضامن للامن الذي لم يكن مهددا في الواقع الا من طرف التوسع الاستعماري · والحقيقة انه كلما حدث صراع او تجابه عنيف بين المسلمين واليهود ، الا وتقاعست السلطة الاستعمارية عن التدخل في اي شكل من الاشكال ، على ان سياسة التمييز التي وضعتها الحماية لم تؤد الى وضع صراعي ، لان تضامن العشيرتين كان مسجلا في الحياة اليومية ، ومن خلال طريقة متشابهة في العيش ، باستثناء صفوة قليلة من اليهود كانت تنعزل على هذه الحياة بتأثير من فكرة الاندماج مع المستعمر ·

وكان جزاء الخوف من « العربي » الذي نماه النظام الاستعماري ، يدفع غاليا ليس فقط عن طريق الحُرمان من جميع الحقوق والحريات ، بل ايضا عن طريق الاهانة المستمرة في شكل معاداة قوية للسامية ترجمت الى افعال من جانب السكان الفرنسيين بالمغرب ·

لقد كان ذلك العالم الاستعماري الصغير ، المضحك بعجرفة ادعاءاته ، والمكون خاصة خلال الفترة البطولية من نفايات الميتروبول ومن الوصوليين الفظين ، الى جانب الناس الطيبين التائهين في سراديب المغامرة الاستعمارية ، كان ذلك العالم يعيش في حلقات مقفلة محظور ارتيادها على اليهود المغاربة مع استثناءات قليلة · بل ان القبول في الثانويات الفرنسية لم يكن يسمح به الا في شكل امتياز لبعض المحظوظين الذين توسل آباؤهم بالتوصيات · وعقب الحرب العالمية الثانية بدأ الوضع يتغير ، لكن ذلك كان اعلانا عن نهاية النظام الاستعماري ·

ان هذه النظرة السريعة التي القيناها على شروط حياة اليهود المغاربة أبان الحماية ، من شأنها ان تساعدنا على ان نفهم لماذا ظلوا ، باستثناء عدد محدود من الاشخاص ، على هامش الحياة السياسية ، جاهلين للحقائق الوطنية وللاهداف التي سعت حركة التحرير الوطني الى تحقيقها · ومع ذلك ، فان هذا التأخر ، وهذا النقص في الوعي السياسي لم يترجم قط الى اتخاذ موقف معاد من جانب او من آخر · على العكس ، اصبحت حظوظ اندماج اليهود في الحياة السياسية ، غداة استقلال المغرب ، حقيقية ومرغوبا فيها من طرف جزء كبير من العشيرة اليهودية نفسها · ساهم في ذلك قرارات ووقائع كثيرة ، في طليعتها التدخل الشخصي للملك محمد الخامس الذي الغى الاجراءات المتخذة ضد اليهود من جانب حكومة فيشي ·

ثم كانت هناك المساهمة في نشاط مختلف الاحزاب السياسية ، وتكوين جمعية لتشجيع التبادل والعلائق الودية بين العشيرتين المسلمة واليهودية · وهناك ، اخيرا ، على المستوى الحكومي ، تعيين وزير يهودي هو الدكتور بن زاكين ، وهو تعيين له سوابق في تاريخ المغرب ، وليس مجرد بادرة ظرفية · وفي مختلف الوزارات والادارات ، نجد مهندسين وأطباء ومحامين واطراف عليا · واذا كان هذا الحظ قد اتلف مؤقتا ، واذا كان اليهود الذين بقوا بالمغرب قد عادوا الى الانطواء على انفسهم بعيدا عن الحياة السياسية ، فان

ذلك يعود الى نوعين من الاسباب المرتبطة · اولهما عمل المنظمات الصهيونية المضطلعة بتنظيم الهجرة والتي بذلت فوق ارض المغرب ، جهودا منهجية لانتزاع اليهود من بلادهم ، ويتواز مع ذكر سياسة دولة اسرائيل القائمة على العدوان التي غيرت تغييرا عميقا العلاقات بين اليهود والمسلمين في جميع الاقطار العربية · ومع ذلك ، فرد الفعل على هذه التغيرات كان اقل ظهورا في المغرب ، حيث حافظ اليهود على تمام حقوقهم ولم يعانوا لا من التمييز العنصري ولا من الاضطهاد · وثاني الاسباب ، يرجع الى المشاكل المتولدة غداة الاستقلال والتي واجهها جميع المغاربة على كل المستويات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية · في هذا المناخ المضطرب وامام الجهود المطلوبة للتكيف مع الوضع الجديد بالمغرب ، استسلم عدد من اليهود الى القلق وآثروا النزوح الى كندا أو فرنسا ·

حظ مجهض ولكن ضياعه غير نهائي ، فجميع الذين بقوا في المغرب يتأكدون اليوم من صحة قرارهم · والمطمح الذي يتبلور بينهم الان ، هو الخروج من العزلة وعدم اعتبار انفسهم في وضعية انتظار · ومهما بدا قولنا متناقضا فاننا نعتقد ان العودة الى المغرب ترتسم ملامحها على ضوء تصور المستقبل · ومعنى ذلك ان موضوع العودة الذي يطرح اليوم كحركة مرتقبة ، يتعدى الدلالة الضيقة التي قد تعطى له ، ولا يهم فقط اليهود المغاربة الذين هاجروا اساسا الى اسرائيل ولم يتمكنوا من العودة · انه يسجل ، في اعتقادنا ، الامكانية الحرة لتجديد الحياة اليهودية المغربية ، والحظوظ في الحفاظ على التجربة النموذجية لتلك الحياة · هل نحن مضطرون الى الالحاح من جديد على ان هذا المشروع لن يكون له معنى كبير اذا اقتصر على استنساخ وضعية ماضية ، واستئناف تقاليد من حيث توقفت مؤقتا · سيكون ذلك عبثا بالاضافة الى ان المغرب يمر بتحولات عميقة في جميع المجالات · غير ان حديثنا لا يرمي الى دراسة الاجراءات العملية لهذا الادماج الجديد في الحياة القومية المغربية · ذلك ان الزعم بأننا نتحدث باسم الجميع ، وبأننا نعرف ما يجب فعله ، سيكون مجرد ثرثرة باعثة على السخرية ·

ان ما هو موضوع موضع التساؤل في هذه المقالة ، هو الرغبة في الحديث عن تجربة معينة بعد ارجاعها الى بعدها الوحيد ، ثم الدفاع عنها لانه يتحتم الدفاع عن هذه التجربة · هل هي صدى غائم لذاتية متهمة بالتعسف والزيف ؟ نعم اذا استمرينا في الخلط بين الذاتية وبين التعبير عن انفعالية قصيرة النظر وخادمة لكل الايديولوجيات · لكن الجواب يكون نفيا اذا اقررنا بانه من اعماقنا يمكن ان تنبثق الكلمة التي يمكن ان يعرفها الآخر وان يتقبلها في أصالتها ، بعيدا عن وهم الحقيقة المطلقة · وهذا الامر مشروط بانجاز عمل توضيحي (مثل الذي حاولناه في هذه المقالة) لازالة كل العراقيل التي تحول دون الارساء فوق هذه الارض الاولى · وليس هذا بالعمل السهل · لقد اصبح اليوم من المألوف مساءلة الذي يكتب لان النص لم يعد يتمتع باستقلاله الخاص الذي يتيح له الاكتفاء بذاته · ونحن نستشعر منذ الآن المساءلة التي تحاول ان تفاجئنا من الخلف : من هو اذن هذا الذي يكتب هنا ؟ ومن اي مكان يكتب ؟ وتستمر هذه اللعبة الى ما لا نهاية تبعا للذوق المصطنع للبلاغة المعاصرة ، فيؤول الامر الى ان يكتب المرء نفسه بدلا من ان يكتب عن شيء · لكن هل كان الامر على غير هذه الصورة !

اننا نحمل في ذواتنا شيئا ما ، كلمة ، منذ امس ، والغد ، وفي كل زمان ·· فهل ستحظى بان تتجسد في كتابة ما ؟ هل سيكون لها حظ التعريف بذاتها ليتقبلها الآخرون ؟

لكن في هذه الحالة سنعطيها صفة قانونية خارجية وسنربط مصيرها بمغامـــــرة شاهـــد شخصي · وسيكون ذلك بمثابة منح الكتابة سلطة متفردة ، سلطة غريبة عن واقعنا ، لان ما يفتح ويغلق سلسلة الاسئلة في الواقع ، هو انني يهودي مغربي · منذ خمسين او ستيـن سنة ، لم نكن نعرف الكتابة ، ولا نزال لا نعرفها : بل نعرفها على كل حال · وامام بصري رسالة بعثها جدي الى احد اصدقائه ، والواقع انه لم يكن يكتب ، كان يتحدث اليه بالعربية ليخبره بان شؤونه على احسن ما يرام ، وبأنه يفكر في ان يتزوج مرة ثانية ، وكان ينقـل هذه المحادثة بحروف عبرية · (وهذا التعبير الخطي كان متداولا الى عهد قريب) · لكنني لا اتصوره قادرا على ان يحمل القلم ليؤكد بأنه يهودي مغربي · لا احد يستطيع ان يضـع موضع التساؤل ما لا يستحق ان يوضع ·

ترجمة : محمد برادة ـ الرباط

رسائل

رسالة الأرض المحتلة :

ملامح من حركة الشّعر الفلسطيني بَعد عشر سَنوات من الاحتلال

تقتصر هذه الرسالة على دراسة ملامح عامة من حركة الشعر الفلسطيني تحت الاحتلال في الضفة والقطاع من خلال مجلة « البيادر » التي صدر العدد الاول منها في آذار ١٩٧٦ وبالتحديد من خلال ستة عشر عددا من هذه المجلة : العدد الاول ـ آذار ١٩٧٦ الى العدد السادس عشر ـ حزيران ١٩٧٧ ، فقد استقطبت « البيادر » معظم الجيل الادبي الفلسطيني الجديد الذي ظهر تحت الاحتلال ، والذي لم يجد امامه اي سبيل للنشر · كانت قد صدرت عدة مجلات عربية مختلفة بعد الاحتلال ، مثل : الوان (١٩٧١) ، فتاة فلسطينية (١٩٧١) . الصنارة (١٩٧٢) ولم تستمر الا لبضعة اعداد فقط ، فلم تحرك اي واقع او تؤثر فيه . وبالتالي لم يكن لها اي علاقة بحركة الادب ·

ان اقتصار المقال على مجلة « البيادر » هو ، بالتأكيد ، اقتصار تعسفي حتى نستقرىء من خلالها حركة شعرنا الفلسطيني للشبان الجدد بعد عشر سنوات من الاحتلال ، خصوصا وان نشر الكتب الادبية ما زال ضعيفا جدا وخاضعا لدور النشر القليلة . وبالتالي فأن حفنة من الكتب والاسماء لا تستطيع ان تقنع الناقد بأهميتها امام عشرات القصائد على صفحات مجلة واحدة ·

عوامل محددة وحاسمة :

ما معنى ان تستوعب القصيدة الجديدة قضية سياسية ؟ وهل استطاعت القصيدة الجديدة ان تستوعب زمنها في التناقض والصراع ؟ اين تكون القصيدة الفلسطينية في ذلك ؟ وهل هناك قصيدة فلسطينية بالتخصيص ؟ ما وجودها الفعلي ؟ ما اثرها فيما حولها ؟ لماذا تكون ؟ كيف نمت وتطورت خلال الدهشة والاكتشاف وخلال الموت والحياة والفداء والحب ؟ هذه التداعيات تنطرح عميقة في صلب قصائد « البيادر » · وحين يحاول

الناقد ان يكون في داخل وعي السؤال ، تتوفر عوامل محددة وحاسمة في تجذير الموقف النقدي :

١ ـ القصيدة الفلسطينية موجودة ومتميزة لا بوجودها المستقل ، ولكن بقضيتها الانسانية التي اخترقت الوجدان البشري ، فالتحمت بتراث الشعوب المقهورة والمناضلة معا ٠

٢ ـ القصيدة الفلسطينية في الشعر العربي المعاصر قضية عربية تتوفر في عمق الوجدان العربي بعد ان هزته وصقلته وغيرته كليا في ١٩٤٨ ، ١٩٦٧ ٠٠٠ فاكتشف فلسطين فعليا الى حد التوهج الذهني ، ثم اكتشف الانسان الفلسطيني منذ صار هذا الانسان دما مخصبا وشجرا وعصافير وفؤوسا وسواعد عمال ، فهدأ الاضطراب والذهول، وبدأت القصيدة الجديدة تعشق الشمس والقمح والبحر ، فلا البكاء التقليدي ولا وله الذكريات ٠ ولكنه العشق الصباحي الرائع ٠ ان القصيدة الفلسطينية الجديدة هي قصيدة العشق الجديد ٠

٣ ـ القصيدة الفلسطينية ذاتها هي ذات الشاعر الفلسطيني تطورت معه ، وبالتالي كونت واقعه المتغير في الصراع ٠ انها لا تؤرخ ولا تعتبط اعلامها ، ولكنها بالتأكيد تحرض وتنفخ في الكور ٠ تبصر وتحدق في الجرح ٠ تشرح وتفلسف وتستفز ٠ تحزن قليلا على سعة حزنها ، وتتفاءل رغم الكوى الصغيرة المحدودة في عالمها المعتم ٠ ترمز ولا تغمض ، فالرمز الجديد هو انسانها الجديد ، وهي تحمل رموزها وتنزرع في لغة متطورة تتجاوز قاموسها الشعري التقليدي ، وتتجاوز حقدها العاطفي الملتهب الى وعي شامل ٠ هكذا يتجادل المضمون والشكل في تطويرها ٠

٤ ـ القصيدة الفلسطينية موجودة بين الجماهير ، تتفاعل وتفعل ، وهي بذلك لا تعاني ، عامة ، مشكلة الاتصال والتوصيل ، مثلما تعاني القصيدة المعاصرة من الابهام والتلفيق والثرثرة كقياس لهموم الانسان البرجوازي الصغير ٠ان القصيدة الفلسطينية تفهم عصرها وتفهم مرحلتها ، وبالتالي تعرف طريقها الى الناس ٠

كل ما سبق هو نتائج محسومة من تراكمات الشعر الفلسطيني المعاصر خلال مراحله المتعددة ٠ اين تقف قصائد ـ البيادر ـ من كل ذلك ؟ لقد استقطبت « البيادر » غالبية الطليعة من جيل جديد من الشعراء الفلسطينيين ، فقدت على مدار ستة عشر شهرا ٤٣ شاعرا فلسطينيا مقابل ٩٨ قصيدة ، كلهم متواجدون تحت الاحتلال ، بالاضافة الى قصيدة واحدة لشاعر فلسطيني مغترب ، وثمانية شعراء عرب ، وشاعرين اجنبيين ٠ لقد اخذ الهوى الصحفي « البيادر » حينا ، فتعاملت مع بعض الاسماء باخراج براق مصقول ، واهملت اسماء مهمة اخرى ، وحينا حاصرت نفسها بنفسها ضمن اطارات مزاجية ، ولكنها رغم كل اخطائها كانت المجال الوحيد المتوفر لهذا الخضم من الشعراء الجدد الذين يطمحون الى تكوين مرحلتهم الجديدة في الشعر الفلسطيني ٠ هكذا يجب ان نحاسب هذا الشعر بتواجده داخل حركة الشعر العربي والانساني ، وداخل واقعه الخاص المميز بوضوح ، اساسا ، بالاحتلال والصراع : ـ

● **الارض :** تلتصق القصيدة بـ « الارض » فتصير خميرتها ويصير الشاعر حراثا متشقق القدمين والكفين وهو يرفض الرحيل حين يصبح زارعا يحلم بالمطر والقمح ،وممتلئا

بالعشب والتراب ، يغني حزينا ، واعيا حزنه ، امام الذين رحلوا :

رحلوا ـ تركوني مسبيا ـ اجمع حبات القمح

وانتظر الاتي ـ اخباري تعرفها ـ ما زلت اقاوم ـ

طير الرخ يحاول سلب البيدر ـ زينب حلفت الا

تذبح فرختها ، الا في يوم لقاء احبتها ـ والفرحة تكبر ٠٠٠ (١)

والشاعر يرتكز الى تراثه الشعبي ، فينهض ، ويعترف ، ويكشف الاعماق :

يا صاحب الطير اسهر على طيرك

عجل عليه بالعلف ليوخذوا غيرك

الله يجازي الحصيدة اللي حصدناها

لا زرع اكلنا ولا ميه شربناها ٠٠٠ (٢)

وهو ايضا يحمل قلبه وفأسه معا ، متناقضا مع اهتزازه الرومانسي اليائس :

انني اغرق في اليأس الى قمة رأسي

حاملا قلبي وفأسي ٠٠٠ (٣)

وفي هذا التوتر قد يغرق الشاعر في حوار محبط ، فيستخدم مقاطع من التراث تعبر عن موقف يتداعى الى « بقايا » اقطاعية :

يا طيـــور طايـــره — يا وحوش سايـــره
سلمن ع امـــي وابوي — وقلن جبينه راعيه
ترعى غنم ترعى نوق — وتقيل تحت الدالية (٤)

ان هذا المقطع من « حدوثة الست جبينة » يخبىء عنصرية تفوق اللون الابيض فـــي شخصية « جبينة البيضاء » التي خدعتها ، الى حين ، جاريتها السوداء ، فبكت وضعها ٠ والشاعر هنا يعزز دور « الاميرة » ـ الاقطاع ـ ويستدعي « الارض » من خلالها ، وهـــو استدعاء خاطىء حتما ٠ الشاعر اساسا لا يقصد الى مضمون رجعي ، ولكن عـــدم التعمق في دراسة التراث الشعبي هو الذي قاده الى نتيجة خاطئة ٠

الارض هي كل القوى المسحوقة المضطهدة ، وهي مخزون ضخم يتجاوز في ذاكـــرة الشاعر ، وهو الذي يلتصق بها ، انتماءه الطبقي الى الفلاحين ،الى انتماء شامل لجماهير العمال والفلاحين ، ومعاناة مستمرة داخل وخارج ذاتيته المتوهجة :

يلونني اصفرار الارض

يا ويلاه

ما أقسى اصفرار الارض في الجسد (٥)

الارض هي الواقع وهي المخيلة : قمح ، شجر ، ماء ، تراب ، حجارة ، خصيـــب ،

امرأة ، عصافير ، ليل ، نهار ، مواسم ، موت ، صحراء ، شهداء ، دم ، حياة ، حب ، تتكاثف وتندفع الى حد التراكم والتفجر · ان الاحتلال في وجدان الشاعر ، هو ،اغتصاب الارض كليا واغتصابه شخصيا · ولذلك يرى الشاعر ان اساس وجوده مندمج مع عناصر الارض · هو الشاعر ،،عنصر ، وهاج من عناصرها · كلما تصاعد حلمه من خلالها ، ازداد وعيه لقيمها · لا ينفرط هذا التراكم برومانسية « الطبيعة » التقليدية · فالشاعر المقهور لا يصف الشجرة او النهر او الاعشاب ، بل تنفرز كل همومه الكبيرة الواقعية في هذا الرمز الكبير :

وحين تشجرت حولي

وارخيت نصف غدير من الشعر فوق ذهولي

بكيت ·

تشابك في الذهن لون التراب

وطعم غريب طفولي (٦)

كل شيء في وجدان الشاعر الفلسطيني مرتبط بالارض · فلسطين هي الارض · وحين تتراخى هذه العلاقة قليلا ، يثور ، ثم يناقش حزنه · ويفلسفه · ان هذه العلاقة لا تخضع لاي تجريد · انها لا تتراخى ، في حدود المفردة الضيقة · انها تنسحب على مسافات واسعة · هي الام ، وهي الانسانية كلها ، لا جغرافيا ، لا خرائط فحسب ، ولكنها قارات بأكملها ، ومستقبل بعيد ·

قد يكون « البيت » ملكية البرجوازي الصغير ، هو الحلم السطحي في القصيدة :
اني محتاج للراحة ، اني محتاج للدفء
اني محتاج ان امنك موطيء اقدامي
اني محتاج ان اغسل ذاتي بعبير الارض
اني محتاج ان احضن غلات الارض ·· (٧)

ولكن هذا السطح يناقض انسانا مقهورا في العمق ، لا يحقد بقدر ما ينتشر صراعا ضد الموت ، وضد القهر ، وضد ثبات الواقع المرير ، حتى انه يتصور قدرته الفائقة في البحث عن عالم خال من التناقضات ، عالم مثالي بحت :

سأبحث عن عالم لا تموت به النفس
ظمأنة في الحياة ،
فلا خوف لا بؤس لا كبرياء
ولا رهبة من عقاب السماء (٨)

الجزيرة الخيالية التي ينتفي فيها كل الصراع ، هي ردة فعل رومانسية للواقع الثقيل المعقد الذي يحمله الشاعر هما يوميا تحت سطوة الاحتلال · وهي ردة خاطئة تبتعد عن « الارض » الواقعية التي تحترق وتجدب وتخصب وترتوي بالدم ، فلا رحيل عنها بحثا عن عالم اخر ، بل اقتراب المنفيين المغتربين ، ودعوتهم اليها :

باسمك باسمي ، باسم جميع الاشياء
ادعو الطائر ان يرجع للوكر ، فان الوكر
تقمص روحي ، عذبني ، وانا لا انكر
ان عذابي صار النوم على حذر يعلو
عن وجه الارض ... (٩)

الارض هي الشمل · ولكن ذلك لا يكفي ليكون الموضوع السياسي واضحا ومرتبطـــا بحركة الى الامام ·

● **الوعي الطبقي :**

يتراجع الوعي الطبقي امام الحس الوطني العام ، فيغيب حينا ، ويتوهج حينا ، ولكـن السائد اهتزاز الوعي الطبقي وتناثره في الجملة الشعرية المضطربة :

الويل للوسائد الطرية

اذا نسيت يا رفيق عبرها عيونها البهية
الويل للوسائد الطرية

اذا نسيت يا رفيق عبرها حرارة القضية (١٠)

التقريرية المباشرة الفجة ـ الوسائد الطرية ـ في تحديد وصنع البرجوازية الصغيرة ، و ـ عيونها البهية ـ في تحديد شكل الوطن ، و ـ حرارة القضية ـ في فهم الالتزام ، حالة سائدة هنا في محاولة الشاعر لربط وعيه الطبقي بحسه الوطني العام · ان «الطبقة» صيغة ضائعة لا يمكن تلمسها او قراءتها او التعرف عليها :

مشرعة ارصفتي للشحاذين وكل المخلوقات

الممنوعة في السر ، اتيت الى وطن
فاجأني بالناس ، تزاحمت الناس
على ارغفة تتساقط من ارحام الاهل ،
وقلت انتظري يا امرأة اعرفها !
هذا زمن الجوع ، وفقدان الاسماء (١١)

حين يريد الشاعر ان يتحرك مع « الشحاذين » تعبيرا عن الطبقة المسحوقة ، يتآكـل في حالات صوفية لا علاقة لها بالوعي الطبقي · هذا هو تاثير ـ مظفر النواب ـ فـــي وترياته الليلية على الشعراء بأغلبيتهم الساحقة :

منتقلا في مطر الليل الغولي يبددني الله
وحب الله وهذا الوجد الصوفي
اغادر هذا الضيق المفعم بالاشياء
احمل سيف الجوع ... (١٢)

ونلاحظ سيطرة غنائية بحر الخبب ـ المتدارك ، وسيطرة مفرداته ، خصوصا : الليل ، البكاء ، الجوع ، الوجد ، الله ، ...وقد وجدت مفردة « الليل » الحزينة تنتشر كالجرثومة في مطالع معظم القصائد ، او في ثناياها · هذه السيطرة تصادر اي وعي تقدمي لمصلحـة

تصوفية جديدة توغل في الشعر ، فيكون الطرب الزائف ، وتكون عتمة الاحاسيس :

منذ تدور في نهد الورق صليب الجذر
ومنذ تفرخ في رحم السنوات الوقت
وصارت في الامكنة الابعاد ، جرى في ذرات
الارض العرق الطيب واستمطر رب الخصب
من الغيم الماء ٠
٠٠٠٠٠
علمني يا وقت الزيف الزيف ، وقل لي
كيف انافق ، اتعبني وجع الصدق
٠٠٠٠
خلصني من سمك القرش الوطني
٠٠٠
أمسح جرحي بالحزن الخالص (١٣)

هي وتريات النواب الليلية تستفحل ، وتناطح عقول الشعـــراء الشبـــان الجـــدد ، فتلغيهم الى حد مأساوي ، ويتحول الاحتلال الى مناكفات صوفية تتميع داخل المراهقـة المكبوتة :

كيف سأقتل هذا الوحش الساكن في قلبي
اجمل منك ضباب الشارع ، اشهى
من شفتيك الظامئتين الى الصدق
خصور التلميذات ، وانعم من خدك
هذا المطلي صباغ الزيف طباشير الحور
ترسم في قلب اللوح الاسود
وجه المستقبل بالحناء (١٤)

كيف يمكن ان نفهم ثورة الطلاب ، كيف يمكن ان نحس بثورة الطلاب هنا ، من خلال هذه التهويمات المختلطة ؟ ان مظفر النواب بريء من مقلديه ، وبريء من التيه الـــذي يوغلون فيه :

شكرا يا حكام القمة
والخمرة من تحت العمة
٠٠٠ يا اولاد القحبة
ما زالت انهار الويسكي
تجري في الدار البيضاء
والمبعوثون الى الامم المتحدة
فزاعات تحمل اسماء الدول العربية
٠٠٠٠ ما زلنا نزني في الثورة ٠٠٠ (١٥)

نثر تقليدي ، وتكرار هجين هابط لا قيمة له ولا مدلول سوى عقاب النفس واذلالها امام الاحتلال ، وامام تقاعس الشاعر عن الوصول الى لب الصراع ٠

ان الركالة والخيال الفج وميوعة الالفاظ والتقريرية التقليدية والغنائية المفرطة تسلب الشعر كل مبرر لان يكون شعرا !

● **الاستلاب :**

يعاني الشعر ، بالاضافة الى فقدان الوعي الطبقي ، معاناة واضحة من استلاب الشاعر · فهو مغترب في ارضه ، حائر ، ضائع ، في الوقت الذي عبر فيه عن التصاقه في الارض ، وعشقه المتفاني لها· يتوفر هذا الاستلاب من تسلل الاحاسيس الوجودية والدينية والنزعات المتطرفة ، فيفقد الشاعر طريقه ، ويعلن ، صراحة ، حيرته :

أنا سيزيف
يا بطلا بلا نصر بلا موت (١٦)
غابة عمري موحشة
ادخلها في الليل وحيدا
فيكبل خطواتي الرعب
ويحاصرني شوك الدرب
وانادي في جوف الليل
يا عمري الضائع في سنوات الرعب
يا عمري الضائع في سنوات الرعب (١٧)

ينعكس هذا الاستلاب على معالجة الموقف الوطني ، فيفشل الشاعر ، ويرتبك · فاذا أراد ان يتحدث عن « بيروت الحرب الاهلية » احتار ، ووقف دون التصاعد نحو الموقف الايجابي :

اركض خلفك يا بيروت
واسأل عن شارع فردان
واسأل عن قمر ضائع
صلى الخلفاء بحاراتك
صلى الشيطان ، وصلينا
هل كنت مسجاة حقا قدام الموت (١٨)

بيروت بعيدة جدا طالما ان الشعر لم ينبش الركامات ، ولم يكشف عن وجهها الجديد ·

بيروت هناك بلا ربان
والماء تحجر في النبعة وتحجر في عين الرمانة
تحجر ملء عيون الشعب الثائر
في تل الزعتر ··· (١٩)

خلط متعثر ومتخلف تفترسه الاسقاطات الذاتية دون اي معاناة لاكتناه الموقف التقدمي ·

ان الرقابة الصهيونية تقمع وتصادر وتمنع ، ولكن الشاعر الواعي المتمكن من لغته ، يستطيع ان ينتزع موقفه التقدمي بمزيد من المعاناة ، ومزيد من التثقيف ، والكتابة الجيدة ·

ع · خ ·

هوامش

١ ـ اسعد الاسعد : اغنية الحصادين ـ البيادر آذار ـ ١٩٧٦

٢ ـ ذاته

٣ ـ عبد القادر صالح : حاملا قلبي وفأسي ـ البيادر حزيران ـ ١٩٧٦

٤ ـ ذاته

٥ ـ علي مبارك : مقاطع عن لقاء البحر ـ البيادر تموز ـ ١٩٧٦

٦ ـ وليد هليس : كتابة على جدار المقبرة ـ البيادر كانون اول ـ ١٩٧٦

٧ ـ علي لبد : ما زالت في العمر بقية ـ البيادر نيسان ـ ١٩٧٧

٨ ـ موسى علوش : سابحث عن عالم ـ البيادر حزيران ـ ١٩٧٧

٩ ـ ناجي ظاهر : الطائر والوكر ـ البيادر حزيران ـ ١٩٧٧

١٠ ـ علي مبارك : مدركات عن الحب ـ البيادر تموز ـ ١٩٧٧

١١ ـ محمد حمزة غنايم : الغفران ـ البيادر ايار ـ ١٩٧٧

١٢ ـ ذاته

١٣ ـ عبد اللطيف عقل : احزان عاشق مات صغيرا ـ البيادر ايار ـ ١٩٧٦

١٤ ـ ذاته

١٥ ـ سميرة الخطيب : رجع الوتريات الليلية ـ البيادر نيسان ـ ١٩٧٧

١٦ ـ عبد الناصر صالح : صفحة من آلام عاشق ـ البيادر ايار ـ ١٩٧٦

١٧ ـ علي لبد : ما زالت في العمر بقية ـ البيادر نيسان ـ ١٩٧٧

١٨ ـ ليلى علوش : بيروت ١٩٧٦ ـ البيادر اذار ـ ١٩٧٧

١٩ ـ للي كرنيك : بيروت ثمرة الموت والاحتراق ـ البيادر تشرين ثاني ـ ١٩٧٦ ٠

رسالة مدريد

الاستشراق الاسباني

١ ـ

اسبانيا · الفصائل الاممية · جثة فرنكو · الانتخابات · كان صديقي الفلسطيني يقودني في الشوارع بين الغجر واقبية النبيذ ، حيث مدريد القديمة · والغجري يجلس نصف ممدد وسط الساحة ، وحوله الفضوليون والعشاق وزجاجات النبيذ الفارغة · لا تستطيع ان تعتبر مدريد مستشفى · الاعلام في كل مكان · قالوا انها الانتخابات · لكني كنت ارى اعلام مصارعي الثيران ، وقد لبسوا ثياب همنغواي وهم يركضون بين الفرح والدهشة والموت ·

العرس الاسباني هو عرس الديمقراطية · لكنها ككل الديمقراطيات · غدا يفوز الوسط قال صديقي الفلسطيني · جاء الغد ، ومثل كل الديمقراطيات فاز الوسط · لكن « الباسيوناريا » كانت هناك · هذه المرأة التي تخرج من الكتب وتصبح شاشة تلفزيون· الح تجاعيد وجهها وفي حركة اليدين حيث الاصابع المليئة بالشرايين الزرقاء ، آثار الاحلام التي تتخاطفني وانا اقرأ القصص التي لا تنتهي عن الحرب الاهلية الاسبانية · لكنها هناك · شاشة صغيرة شبه مستطيلة ، ووجه هذه المرأة يمتلىء بدهشة الاطفال · واطفال مدريد ، الذين عاشوا الحرب الاهلية وهم يرون جثة تحكم الى ما لا نهاية ، يفاجئون بالكتب والتلفزيون والرايات ·

وبيكاسو مات · ومالرو مات · وهمنغواي اطلق رصاصة على رأسه قبل ان ينتهي الصيف الحار في داخله ·

سألت صديقي عن لوركا · قال لي اشياء لم اعد اذكرها · حدثني عن جراد البحر والاسماك والشعر الفلسطيني الذي يترجم الى الاسبانية · لكنني كنت متأكدا انني سأقابل لوركا · فمدريد ليست مستشفى · وبرشلونة ميناء للاسماك وليست نصف مستشفى ، كما حاولوا اقناعي · ولم اقتنع · لا يمكن ان تأتي الى اسبانيا دو ن ان ترى لوركا · من مدريد الى الاندلس ، لا يظهر لوركا الا ليختفي · ولا اراه · المدة الاخيرة التي

لمحته فيها ، كان مصلوبا داخل دمه · ولوركا ليس فلسطينيا · على الشاشة الصغيرة لاحدى دور السينما في الحي اللاتيني بباريس كان « ارابال » يرقص على ايقاع الموت ، ولوركا يصلب والماء يرتفع كالمحيط وسط المدينة وبيوت الصفيح · قلت لصديقي الفلسطيني الذي سألني عن تل الزعتر ، أن تل الزعتر يشبه « اسبانيا في القلب » ، وان لوركا صلبوه ، وان الاشياء لا تتكرر وان تشابهت لحظة بشكل عجيب : من الداخل حيث « الفالانج » ومن الجوار حيث هتلر او بيغن · لكن هوشي منه قال مرة ان احذية المطاط تنتصر على الدبابات والطائرات · وهوشي منه لا يكذب · والفقراء يصدقون الفقراء ·

لكن العدس هو عدس الديمقراطية التي عادت اخيرا · اخر قلاع الفاشية يسقط كالكرتون ، بعد أن مات الحارس · يستطيع فرنكو ان يموت · لكن الشعب الاسباني لا يستطيع ان يموت · وفي النهاية تصبح الفاشية مجرد جثة · حتى البرجوازيون الذين خضعوا او ساعدوا الفاشية عن « قناعة » ، يهربون الان من الرائحة · وبيكاسو كان يعرف ان الريشة لن تسقط ابدا · وحده نيرودا الذي احب اسبانيا ، لم ير هذا الضوء ، لان سماء التشيلي كانت تواجه اقدام الجنرالات · وبينوشه سوف يموت · وستعود سانتياغو لتهتف لالليندي ونيرودا والديمقراطية التي ذبحت ·

في شارع خوسيه انطونيو الذي يشبه شارع الحمراء في بيروت ، او شوارع الدار البيضاء التجارية ، كانت الاعلام تتقدم وسط ابواق السيارات وايقاع اقدام رجال الشرطة الذين لم يخلعوا الكرباج الفاشي عن وسطهم ، لكنهم لا يستعملونه الان لضرب المتظاهرين او لسحق العمال · بعضهم كان يهتف ، وبعضهم الاخر كان يصفق · الشرطي يمكن ان يكون جميلا قال صديقي · لكنه شرطي على اي حال · اجمل شيء هو صفارات رجال الشرطة التي تتحول من جرس انذار الى آلة موسيقية في خوسيه انطونيو، كنت ارى الرايات واستمع الى النشيد الاممي يخرج من الحناجر والاكف · كأن مدريد عادت مدينة · وكأن هذا القبر الذي اقامه فرنكو لم يتسع لغير جثته ·

اسبانيا تعني الذكريات · من ابن عباد الى الموشحات · ومن قرطبة الى الحمراء · العربي الذي يدخل اسبانيا يواجه بأن هذه البلاد هي اجمل مرآة يراها في حياته · كأنك في فاس او الدار البيضاء او دمشق · لكن اللهجة تختلف · بلاد وانهار وغابات من المرايا · لا بد من التمتمة باسم طارق بن زياد ، او الكلام عن عبد الرحمن الداخل · لكن اسبانيا ، الاندلس ، شيء اخر واكثر عمقا · انها عروبة-من نوع اخر · لا اتكلم عن الفتح ولا عن الذكريات · اتكلم عن المرايا · نفس الرائحة الدموية · رائحة لوركا وتل الزعتر · نفس الاصوات والمآذن · والذين قتلوهم يقتلوننا ·

في شارع خوسيه انطونيو ، كنت ابحث مع كارمن رويث المستعربة الشابة ـ ٢٩ سنة · عن الوجه العربي الذي لم يغب عن اسبانيا · ففوجئت بكلام جديد · كلام لا يشبه كلام المستشرقين أو الرهبان : « احب ان اعرف وافهم الواقع العربي · فأنا اشعر أن العلاقة بين الشعوب ليست شيئا من الماضي · فنحن في اسبانيا ننتمي فعليا الى العالم الثالث تاريخ اسبانيا المعاصرة ، وتاريخ اميركا الجنوبية هو تاريخ استعمار ثقافي وازمات اقتصادية وسياسية · ومحاولاتنا لحل مشاكلنا ، تتشابه الى حد كبير مع محاولات حل مشكلات العالم العربي والاسلامي · عندما اتابع المفكرين الاميركيين الجنوبيين ، يتأكد لدي ان المشاكل تشبه مشكلات القومية العربية والوحدة · يحاول الجيل الجديد من

المستشرقين الاسبان ، ان لا يرى العالم العربي كثقافة هامشية أو كألف ليلة وليلة · لكن كواقع موجود وقريب ، نحبه ونحترمه » ·

٢ ـ

لوحة سريعة لتاريخ الاستشراق الاسباني ·

تقدم كارمن رويث ، هذه اللوحة عن تاريخ الاستشراق الاسباني :

يوجد ثلاثة اجيال من المستشرقين :

الجيل الاول ·

ويتمثل اساسا بثلاثة مستشرقين : اسين بلاثيوس ، غومثالث بالينثيا وريبيرا · قاموا بتوسيع مجال ونطاق الدراسات الاستشراقية · وبحثوا في علاقات الثقافة الاسبانية المسيحية المغربية ، بالحضارة الاسلامية الشرقية · وتتركز الدراسات حول الاندلس باعتباره ارضا للقاء الحضارتين ·

اسين بلاثيوس · وهو كاهن كاثوليكي · درس وعمل في مجال الافكـــار الفلسفيـــة والدينية · بحث في تأثير الافكار الاسلامية في دانتي من خلال اثر « رسالة الغفران »· الف كتابا بالغ الاهمية هو : Eseatalogia de la Diuinia Comedia درس تأثير الافكار الاسلامية في الكوميديا الالهية ·

غومثالث بالينثيا · درس في مجال الادب والقصة · وقارن بين تقاليد الحكايـــة الاسبانية ، وتقاليد الحكاية العربية كما في « الف ليلة وليلة » ·

ريبيرا درس الموسيقى والفولكلور والتقاليد · اي آثار الحضارة العربية على تقاليد الشعب الاسباني ·

الجيل الثاني ·

المستشرق **غارثيا غوميث** · هو وريث الجيل الاول · وقد تابع البحوث السابقة ، وقدم للمجتمع الاسباني في الثلاثينات ، الشعر الرومانسي ، الزجل والموشحات (نص عربي ـ اسباني) كما درس ابن قتمان ·

اصبح غوميث سفيرا في انقرة · وكان اهم مستعرب في زمنه · لكن لم يفعل شيئا من اجل ايقاف القانون الذي حذف اللغة العربية من الدراسة الجامعية · وهنا دخلت الدراسات العربية في ازمة حقيقية · وقد تعمقت هذه الازمة عند اعلان قانون التعليم في اسبانيا ١٩٧٣ · حيث اخرجت اللغة العربية من التاريخ والفلسفة وبقيت فقط في قسم اللغويات وبشكل اختياري · والان لا يوجد في اسبانيا سوى حوالي ٤٠٠ طالب يدرسون اللغة العربية ·

الجيل الثالث

ويتمثل اساسا بالاستاذ **بترو مارتينز موفتابث** · فهناك مسؤولية اجتماعية فـــي دراسته · وقد فتح مجال الدراسات المعاصرة · خرج من مجال الاندلس والتراث ،

واقام اتصالا بين المجالين القديم والحديث ، وكان وحيدا في محاولته هذه · يقوم الاستاذ **مارتينز بدراسة الشعر العربي المعاصر** · فهذا اول من درس نزار قباني · والشعر الفلسطيني ، والسياب وادونيس والبياتي · كما اصدر كتابا صغيرا هو « مقدمة للادب العربي الحديث » · كما اصدر عام ١٩٦٩ بالتعاون مع محمود صبح كتاب « الشعر الفلسطيني المقاوم » · مقدمة ونصوص · والمهم في هذا الكتاب انه كان بالغ الاثر على البنية الطلابية الاسبانية ·

كما ان هناك مجموعة اخرى من الدارسين :

مارثينيو بيفراس ويهتم بالسينما والقصة · درس السينما والصورة ·

ماريا خيسوس بيفيرا درست في السنوات الاخيرة قصص نجيب محفوظ وزكريا تامر ·

كارمن رويث تقوم بدراسة الفكر القومي العربي · تعد اطروحة عن القومية العربية و «القوميات القطرية » في المشرق العربي ·

برناجييه لوبيث غارثيا اعداد دراسة عن الاستعراب والاستعمار ·

سيرافين فاغول · قام بدراسة الموال المصري والاغاني الشعبية ·

يترافق هذا النشاط البحثي مع اصدار مجلة « المنار » · ومع اعداد كتاب ضخم عن الادب العراقي المعاصر · واخر عن الادب التونسي ·

تشير هذه اللوحة الى مسألة اساسية · هي وعي الدراسات العربية وتقديمها من منطلق جديد · فلقد تعاون المستشرقون الاسبان مع الاستعمار بشكل عام · وقد تركز التعاون في قطاع الدراسات الافريقية · حيث كان الدارسون في اغلبيتهم من العسكريين السابقين الذين عاشوا في المغرب الاقصى · بعض المستعربين كانوا كهنة · وقد تعاونوا مع الاستعمار بمعنى انهم لم يظهروا العرب بوصفهم شعبا مستقلا ·

هذه اللمحة السريعة تكتفي بالعرض · اذ لا بد من الاهتمام بجدية اكبر بالدراسات العربية في اسبانيا · فهذا ليس بالاستشراق القديم الذي عرفناه مع الضباط الفرنسيين وازلامهم وكهنتهم الذين حولوا بيروت الى مستنقع · واسبانيا في البداية والنهاية هي مرآة عربية · انها تمتد من الاطلسي الى القارة الاميركية ، حيث عالم يشبهنا وثورات تشبهنا وهزائم تشبهنا وانتصارات نريد ان نشبهها ·

الاف الطلبة العرب في اسبانيا ، بين دراسة الطب ودراسة الادب · واسبانيا تولد من جديد · والاعلام التي ارتفعت مرة اخرى لن تسقط ·

عندما غادرت مدريد الى بيروت كنت اشعر انني انتقل داخل مدينة واحدة · الاشارات نفسها والرايات نفسها · لكن الوحش في بيروت لم يمت بعد ·

الياس خوري

شهريات

المقاومة الفلسطينية

الوضع الامني في الجنوب :

واجهت المرحلة الثالثة من اتفاقية شتورا المتعلقة بالجنوب ، صعوبات لم تواجهها المرحلتان الاولى والثانية اللتان نفذتا على التوالي يومي ٣٠ تموز و ٦ آب ، بالرغم من التسهيلات الكاملة التي وضعتها المقاومة الفلسطينية تحت تصرف السلطات اللبنانية وتحت تصرف قوات الردع العربية ، لانجاز عملية التنفيذ ، وهي تسهيلات اعترفت بها جميع الاطراف المتعاملة مع الموضوع ، بحيث لم يعد احد قادرا على القول بعد ذلك ان المقاومة تعرقل عودة الامن الى الجنوب بأي شكل من الاشكال ٠

وقد برزت الصعوبات في وجه هذا التنفيذ من اسرائيل بالدرجة الاولى ، ثم من اطراف « الجبهة اللبنانية » المتعاونين معها ٠ الطرف الاسرائيلي يهمه بقاء الازمة مفتوحة ليضغط بها على سوريا وعلى محادثات التسوية السياسية لازمة الشرق الاوسط ، « والجبهة اللبنانية » تستغل الازمة لمساومة الرئيس سركيس والمسؤولين السوريين على مستقبل الحل السياسي للأزمة اللبنانية ٠ وكلاهما اسرائيل و « الجبهة اللبنانية » يلتقيان عند هدف ضرب المقاومة وانهاء الوجود الفلسطيني المسلح في لبنان ، وهو ما يظهر واضحا من استعراض الوقائع ٠

فعلى صعيد الاستعداد للتنفيذ بدأت منذ ٨/١٥ الاجتماعات الرسمية لهذا الهدف ، فعقدت اللجنة اللبنانية ـ الفلسطينية المنبثقة عن اتفاق شتورا ، اجتماعا في صيدا ناقشت فيه بعض الاجراءات المهدة للتنفيذ في الجنوب ، ثم عقدت اللجنة الثلاثية (اللبنانية ـ السورية ـ الفلسطينية) اجتماعا بحثت فيه قضية التنفيذ (٨/١٨) ، واتفقوا على ان كل الاطراف جاهزة للتنفيذ بانتظار بعض الاتصالات (الاميركية) ، وتلا ذلك لقاء بين فؤاد بطرس وزير الخارجية اللبناني وعبد الحليم خدام وزير الخارجية السوري في شتورا (٨/٢٣) اعلن خدام بعده ان « الجانب الفلسطيني يبدي

استعداده للتنفيذ ، وقيادة الجيش اللبناني اتخذت الترتيبات لتنفيذ الاتفاق ، ولكن اسرائيل تريد استمرار الوضع في الجنوب ، وتريد استمرار هذه الازمة لاستغلالها وابتزازها » ، كما اعلن بطرس ايضا « تداولنا في جميع الامور التي تتعلق بتنفيذ الجدول الزمني والتفصيلي الموضوع في شتورا ، والتي ينبغي اتخاذها بأسرع وقت ممكن لوضع ما اتفق عليه موضع التنفيذ في الجنوب » ٠

في هذه الاثناء بدأت تبرز اعتبارات محلية تعارض التنفيذ في الجنوب ، وتطلب من خلال « الجبهة اللبنانيه » حل مسألة الوفاق اللبناني اولا ، الامر الذي دفع الدكتور سليم الحص لان يعلن (٨/٢٠) معارضته لربط الوفاق بالحل الامني بالجنوب ٠ وبرزت ايضا اعتبارات اسرائيلية لها الهدف نفسه كشف النقاب عنها عبد الحميد البعيجان سفير الكويت حين حذر من هجوم اسرائيلي على الجنوب (٨/٢٠) ، بينما كان ياسر عرفات وصلاح خلف وزهير محسن يؤكدون معا وفي يوم واحد (٨/٢١) على ضرورة تنفيذ المرحلة الثالثة من اتفاق شتورا ٠ ودعما للمواقف الرافضة للتنفيذ بدأت حملة القاء المتفجرات في مختلف المناطق اللبنانية ، وافتعلت احداث طائفية في الشوف ، وبدأ الحديث عن ضرورة موافقة اميركية على التنفيذ تضمن عدم تدخل اسرائيل واستغلالها للوضع ٠ وفي هذا السياق التقى في دمشق خدام وابو اياد واستعرضا المسائل المتعلقة بتنفيذ الاتفاق (٨/٢٦) ، وترددت انباء ان سوريا ولبنان (٨/٢٧) لم يوافقا على شروط اسرائيلية نقلتها اميركا للموافقة على دخول قوات ردع عربية الى الجنوب ، بينما اعلن احمد اسكندر احمد وزير الاعلام السوري ان اسرائيل هي التي تشجع استمرار القتال على حدود لبنان الجنوبية ٠

واصبح من الواضح ان قضية التنفيذ الامني في الجنوب قد خرجت من النطاق الفلسطيني واصبحت قضية تخص السلطة اللبنانية والتناقضات العالقة فيها محليا ودوليا ، وبدأت تعطيها اهتماما خاصا ، فشهد القصر الجمهوري في ٨/٢٩ اجتماعا ثلاثيا ضم سركيس والحص وبطرس بحث « الاجراءات التي هي قيد التحضير » ، ونفى بطرس قبل الاجتماع انه تم الحصول على ضمانات اميركية ٠ واوضح ابو اياد من جهته ، وبعد اجتماع ثان بينه وبين خدام في دمشق ان « الجانب اللبناني هو الذي طلب مهلة للتنفيذ في الجنوب » وان طلب المهلة كان لاجراء اتصالات دولية ، ومن اجل خلق اجواء محلية لوقف اطلاق النار (٨/٣٠)، وفي اليوم التالي (٨/٣١) عقد اجتماع فلسطيني ـ لبناني وضعت فيه الصيغة النهائية لتفاصيل التنفيذ المطلوب ، واتفق على ان يتحدد يوم التنفيذ في اجتماع لاحق ، بانتظار قرار لبناني ، واعلن مصدر فلسطيني قيادي استعداد المقاومة للتنفيذ في الجنوب من جانب واحد ، اذا تأخر الجانب الآخر ٠

وبانتظار القرار اللبناني لموعد التنفيذ كان ابو اياد يكثف اتصالاته شارحا لمختلف الاطراف حقيقة الموقف الفلسطيني ، فعقد في ٩/١ اجتماعا مع الرئيس سركيس واعلن انه « اتفق معه على كل شيء » ، وفي ٩/٢ اجتمع مع لجنة الطوارىء في الحركة الوطنية التي اعلنت بعد الاجتماع انها « مستعدة للتعاون مع جميع الاطراف الساعية لاستعادة السلام في الجنوب » ، وفي ٣ـ٩ زار « المرابطون» و « الجبهة القومية » ٠

ويبدو ان شيئا ما طرأ على صعيد الاتصالات الدولية ، دفع السلطة اللبنانية الى تغيير لهجتها واعلان شيء من التفاؤل ، فأعلن بطرس ان « ساعة

التحرك اصبحت قريبة الى حد ما » (٩/١) ، وكان قد اجتمع في اليوم نفسه مع جورج لاين القائم بالاعمال الاميركي ، واعلن كامل الاسعد رئيس مجلس النواب من جهته (٩/٢) ان « حل المشكلة الامنية في الجنوب قريب ، والفلسطينيون ليسوا السبب في التأخير »، بينما اعلن اللواء مصطفى طلاس في وقت لاحق (٩/٣) ان « القوات اللبنانية ستتولى خلال ايام مهمات الدفاع عن الجنوب » ٠

ولكن هذا التفاؤل اللبناني الرسمي رافقته حملة مضادة من قبل اسرائيل و « الجبهة اللبنانية » ففي ٩/٣ اعلن موردخاي غور رئيس الاركان الاسرائيلي « نحن حريصون على ان لا يتمكن الفلسطينيون من التمتع بقاعدة في لبنان تتيح لهم امكانية شن هجوم ضدنا ٠٠ان اسرائيل تراقب عن كثب تطورات الموقف في جنوب لبنان » ٠ وفي اليوم التالي مباشرة اعلن كميل شمعون « ان الخطر محدق بالجنوب طالما ان هناك وجود فلسطيني مسلح » ٠ وامام تناقض المواقف هذا وجه كورت فالدهايم الامين العام للامم المتحدة نداء « الى كل اطراف النزاع الدائر في جنوب لبنان بأن يشاركوا في الجهود التي تبذل حاليا لوقف اطلاق النار » (٩/٨) ٠

وبينما بات واضحا ان السلطة اللبنانية تضع كل رجائها على تلقي ضمانة اميركية للتنفيذ ، لم تفعل اميركا سوى نقل الشروط الاسرائيلية الى الحكومة اللبنانية ، وفي ٩/٨ تسربت انباء عن تنسيق اميركي ـ اسرائيلي بشأن الجنوب ، ابلغت فيه تل ابيب واشنطن انها « لا تعترض على وجود قوات نظامية لبنانية في جنوب لبنان » بشرط ان تبتعد القوات الفلسطينية عن الحدود اللبنانية ـ الاسرائيلية ، وذكرت مصادر فلسطينية مطلعة ان هناك ثلاثة شروط اسرائيلية ٠

١ ـ انسحاب القوات الفلسطينية لمسافة ١٥ كلم اي الى خلف نهر الليطاني ٠

٢ ـ ان تكون غالبية القوات اللبنانية التي ستتوجه الى الجنوب من المسيحيين ٠

٣ ـ ان لا يتعرض احد بعد دخول القوات الى مجموعات سعد الحداد الذي يقود القوات الانعزالية في الجنوب ٠

وعلى ضوء هذه الشروط سربت السلطة اللبنانية الى الصحف معلومات مفادها انه لم يجر حتى الآن تسلم اي ضمان اميركي ، وان الرئيس سركيس ينتظر هذا الضمان قبل ارسال قوات نظامية لبنانية الى الجنوب ٠ وفي ٩/١٥، وبعد لقاء بين سركيس وشمعون ، اعلن شمعون ان الضمانة الاميركية للجنوب لم تتوفر بعد ٠ ويبدو ان هذا اللقاء الذي سبق زيارة شمعون الى دمشق ، كان الاشارة الشمعونية لتصعيد توتر الوضع في الجنوب ، اذ بدأت بعده مباشرة هجمات انعزالية مدعومة بقصف مدفعي اسرائيلي كثيق استهدفت العودة للسيطرة على التلال الاستراتيجية وعلى محاور الطرق ، في ظل حديث متواتر عن استعداد اسرائيل لاحتلال الجنوب ، بينما كان المراقبون يميلون للاعتقاد بأن هدف التوتير العسكري الانعزالي ـ الاسرائيلي ، هو دعم مهمة شمعون في دمشق ، ودعم مهمة موشي دايان وزير الخارجية الاسرائيلي في محادثاته المنتظرة في نيويورك مع سايروس فانس وزير الخارجية الاميركي ٠

وبهذه التطورات بقيت قضية الجنوب اي المرحلة الثالثة من اتفاق شتورا ، معلقة دون تنفيذ ، تهدد الوفاق اللبناني ، وامن سوريا ، والعلاقات اللبنانية ـ الفلسطينية ، بحيث يمكن القول ان المقاومة نفذت كل ما طلب منها في اتفاق شتورا ،

بينما لم تنفذ الاطراف الاخرى اي بند من البنود المترتبة عليها ٠

تمثيل « الفلسطينيين »

النشاط السياسي الفلسطيني المتعلق بالقرار ٢٤٢ ودعوات الولايات المتحدة للاعتراف به ، استمر لشهر اخر ، حتى بعد صدور بيان اللجنة التنفيذية برفضه . وذلك من خلال المجلس المركزي الفلسطيني الذي عقد دورة خاصة لهذا الغرض في دمشق في ٨/٢٥ ٠ وقد بدأ المجلس اعماله بتصريح ادلى به عبد المحسن ابو ميزر الناطق الرسمي بلسان المنظمة قال فيه : ان المجلس لن يبحث في موقف المقاومة من القرار ٢٤٢ ، وبأن القرار اساسا ليس على جدول اعماله ٠ وفي ٨/٢٦ انهى لمجلس اعماله ببيان مركز على القضايا التالية :

١ ـ شجب المناورات الاميركية والصهيونية الهادفة الى الالتفاف حول حقوق شعبنا في العودة وتقرير المصير واقامة دولته المستقلة على ترابه الوطني ، وتمثيل شعبنا المستقل والمتكافىء ٠٠

٢ ـ تأكيد قرارات المجلس الوطني الفلسطيني ٠٠٠ وخاصة فيما يتعلق بالقرار ٢٤٢ الذي يتجاهل حقوق شعبنا الوطنية ويتعامل مع قضيتنا كقضية لاجئين ، والتأكيد على تنفيذ قرارات الجمعية العامة للامم المتحدة بشأن القضية الفلسطينية ، وخاصة القرار ٣٢٣٦ ٠

ولكن هذا الموقف لم يجمد النشاط السياسي المتعلق بهذه القضية ، فبعد صدوره اصدرت جريدة « الاهرام » القاهرية على القول بأن مسؤولين مصريين اتصلوا على وجه السرعة بمنظمة التحرير ، بشأن اجتماع مقترح بين الولايات المتحدة والمنظمة (٨/٢٧) ومع ان مثل هذا اللقاء لم يتم (حتى الآن) ، فان ثلاثة احداث هامة تجمعت لتعطي للحوار الدائر حول الموقف من « الفلسطينيين » ابعادا جديدة وهامة :

الحدث الاول : وصول عرفات الى موسكو على رأس وفي فلسطيني لاجراء محادثات مع المسؤولين السوفيات ٠ وقد التقى عرفات في هذه الزيارة مع اندريه غروميكو وزير الخارجية مرتين ولساعات طويلة ، وادلى اثناء ذلك بتصريحات قال فيها : ان الولايات المتحدة تحاول احباط جهود التسوية بالسعي لاخراج الاتحاد السوفياتي من هذه الجهود ، وتجاهل المشكلة الفلسطينية ، ثم صدر عن الزيارة بيان مشترك يؤكد المواقف السوفياتية المعروفة لجهة عقد مؤتمر جنيف بحضور منظمة التحرير وتأييد حقها بانشاء دولتها المستقلة ٠ وانهى عرفات زيارته يوم ٨/٣١ ٠

الحدث الثاني : قيام الحكومة الاسرائيلية باقرار شرعية الاستيطان في الاراضي العربية المحتلة ، واعلانها عن تطبيق القوانين الاسرائيلية على المواطنين العرب ، وكشفها النقاب عن « معاهدة سلام » أقرها الكنيست رسميا فيما بعد ، مع قرار اخر اتخذ بالاجماع يؤكد على رفض التفاوض مع منظمة التحرير ٠

الحدث الثالث : اعلان مواقف اميركية جديدة بشأن تمثيل الفلسطينيين ٠ ففي ٩ـ١٢ اعلنت وزارة الخارجية الاميركية في بيان رسمي ٠ « انه من أجل ان يكون السلام دائما ، فان اتفاق السلام يجب ان يكون مدعوما ايجابيا من قبل جميع اطراف النزاع بما في ذلك الفلسطينيون ٠٠ وهذا يعني ان الفلسطينيين يجب ان يشاركوا في عملية السلام ٠ ان ممثليهم يجب ان يحضروا جنيف من أجل حل القضية الفلسطينية » ٠ وذكر البيان أن الولايات المتحدة « تقوم بالمشاركة مع دول المواجهة

بالاضافة الى السعودية باستطلاع عدد من البدائل بالنسبة لمشاركة الفلسطينيين في مفاوضات السلام » ٠

وفي ١٥-٩ صدر بيان جديد عن الخارجية الاميركية اعلن ان « الولايات المتحدة تدرس بجدية اقتراح تشكيل وفد عربي موحد الى مؤتمر جنيف ٠٠٠ هناك بالطبع خيارات اخرى ، ونحن سنبحث هذه الخيارات » ٠ وقال البيان « تركنا للاطراف اتخاذ قرار حول كيفية تمثيل الفلسطينيين ٠٠ ونحن لا نحاول ان نفرض رأينا حول من سيشكل هذا التمثيل الفلسطيني » ٠

وفي اليوم نفسه اوضح فانس الموقف الاميركي بتفصيل اكثر فقال ان بدائل تمثيل الفلسطينيين في مؤتمر جنيف هي : فلسطينيون ضمن وفد اردني . او فلسطينيون ضمن وفد عربي ٠

وقد اطلق الموقف الاميركي كما ورد في البيان الاول ردود فعل فلسطينية عديدة اتسمت بايجابية متحفظة ، وكانت ابرز الردود :

- رد ياسر عرفات الذي قال ان « تصريح الناطق الرسمي لوزارة الخارجية الاميركية حول أهمية الدور الفلسطيني وعدم جدوى اي تسوية بدون حل المسألة الفلسطينية ومشاركة الفلسطينيين في عملية السلام كشرط لنجاحها ، يشكل انطلاقا من ذلك ، خطوة ايجابية تؤكد حقيقة موضوعية ، وهي ان قضية فلسطين هي جوهر الصراع في الشرق الاوسط ، وهي تأكيد على صحة موقف منظمة التحرير الذي اكده المجلس الوطني الفلسطيني » ٠

- رد وكالة الانباء الفلسطينية « وفا » الذي قال « رغم ان التصريح الاميركي الرسمي جاء عاما ، ولم يسم الاشياء بأسمائها ، ولم يلامس حقوق شعبنا الثابتة والمعترف بها ، والمتمثلة في حق العودة وتقرير المصير وانشاء الدولة الفلسطينية المستقلة ، الا انه وكما قال ابو عمار ، خطا خطوة الى الامام على هذا الطريق ٠٠ » ٠

- رد مكتب العلاقات الخارجية في المنظمة الذي قال « ان المبادرة الاميركية خطوة متقدمة تظهر ان واشنطن تتخذ موقفا اكثر ايجابية وموضوعية في نزاع الشرق الاوسط٠٠ ان منظمة التحرير تعتبر ذلك خطوة متقدمة على طريق السلام، لقد بدأت الادارة الاميركية تتخذ موقفا اكثر ايجابية واكثر موضوعية محل النزاع في الشرق الاوسط ، بدلا من دورها السابق والمؤيد تماما للعدوان الاسرائيلي والتوسع » ٠

- رد الدكتور جورج حبش أمين عام الجبهة الشعبية الذي قال ان البيان الاميركي « هو الطعم المقدم الى المقاومة الفلسطينية كي تقع في الفخ » واكد رفض الجبهة للقرار ٢٤٢ ٠

- رد الجبهة الديمقراطية الذي قال « ان البيان الاميركي لا يأتي بجديد ، لأنه لم يذكر ان منظمة التحرير يجب ان تذهب الى جنيف بصفتها الممثل الشرعي الوحيد » ٠

وبالرغم من أهمية هذا الموقف الاميركي الا ان التحفظات حوله كانت كثيرة ولاسباب عديدة ابرزها :

١ - عدم الثقة بالموقف الاميركي من القضية الفلسطينية ومن منظمة التحرير الفلسطينية بالذات ، والتحسب الى عنصر « المناورة والخداع » في هذا الموقف ٠

٢ - تعمد الموقف الاميركي ان يتحدث عن تمثيل « الفلسطينيين » دون تحديد لمضمون الكلمة والتطرق الى منظمة التحرير كممثل شرعي لهم ، الامر الذي

يترك هامشا واسعا للمناورة الاميركية يلتقي مع مساع كثيرة مبذولة لاستبعاد منظمة التحرير والالتقاء بذلك مع الموقف الاسرائيلي ٠

٣ ـ ارفاق الحديث الاميركي عن تمثيل « الفلسطينيين » بالحديث عن البدائل التي تدعو لتمثيلهم ضمن وفد عربي او اردني الامر الذي قد يعني رفض توجيه دعوة رسمية خاصة للمنظمة لحضور مؤتمر جنيف ، تلبية للمطلب الاسرائيلي الدائم ٠

٤ ـ تعمد عدم الالتزام والربط بين تمثيل الفلسطينيين ، وبين الحقوق التي يطالبون بها ، بحيث يكون المجال مفتوحا لان تكون قضية التمثيل في النهاية قضية شكلية بحتة ، او انها لا تخرج عن اطار الفهم الاميركي لحل القضية الفلسطينية ٠ والمتمثل بانشاء كيان في الضفة الغربية تحت اشراف اردني ـ اسرائيلي مشترك وعلى مدى فترة زمنية طويلة قد تصل الى عشر سنوات ٠

مؤامرة « البدائل » الدائمة :

في الوقت الذي كانت فيه قضية تمثيل منظمة التحرير الفلسطينية تتفاعل دوليا وتصبح مسألة مركزية في محادثات الامم المتحدة بين فانس ووزراء خارجية دول المنطقة ، برزت بشكل ملفت للنظر جملة من النشاطات المعادية للمنظمة ، تطرح كلها ضرورة تشكيل بديل لها يتولى الحديث باسم الفلسطينيين وتشير كثير من الدلائل الى ان بعض الجهات العربية يقف وراء مثل هذه الحملات ويشجعها ، اما لانه يريد هذا البديل فعلا لخدمة اهداف خاصة يريدها ، واما كعملية ابتزاز لمنظمة التحرير على أمل ان تندفع نحو تقديم التنازلات لاميركا ، تحت ضغط التلويح بفرقاء اخرين مستعدين لتقديم هذه التنازلات ٠

وهكذا ٠٠ وبشكل مفاجيء ، برز محام مجهول في الضفة الغربية يدعى حسين الشيوخي ، واعلن في حديث من الاذاعة الاسرائيلية (٢١ـ٨) ان منظمة التحرير قد افلست ، وان عرفات لا يمثل الفلسطينيين ، وان على عرب المناطق المحتلة ان « يأخذوا الامر بأيديهم » ٠

وفي ٨ـ٩ تولت الاذاعة الاسرائيلية ابراز نبأ يقول ان مجموعة من الشخصيات في الضفة الغربية يعملون على عقد مؤتمر فلسطيني ، ويرون « ان الوقت قد حان لكي يتكلم الفلسطينيون في الضفة الغربية ويسمعون صوتهم » ٠

وكشف التلفزيون الاسرائيلي في اليوم التالي مباشرة (٩ـ٩) هوية هذه الشخصيات حين اجرى مقابلة مع مصطفى دودين الوزير الاردني السابق ، اعلن فيها ان وفدا من شخصيات الضفة الغربية يعتزم زيارة الدول العربية للمطالبة بأن يستأنف الاردن مسؤولياته نحو الضفة ، وابرام معاهدة ثنائية بين الاردن واسرائيل بالاشتراك مع ممثلين عن الضفة ٠

والجدير بالذكر ان موشي دايان وزير الخارجية الاسرائيلي ، اعلن اثناء توجهه الى نيويورك ، وفي نطاق رفضه للقبول بتمثيل الفلسطينيين المستقل في جنيف بأي صيغة من الصيغ ، موافقته على التفاوض مع فلسطينيين من الضفة وقطاع غزة ، وهو ما يلتقي مع مطالب دودين لقاء كاملا ٠

وقد كان رد الفعل الفلسطيني الوحيد على هذه المحاولات قول وكالة « وفا » ان « هذه ليست هي المؤامرة الاولى ، ولن تكون الاخيرة ، وتحرك دودين يتم بتنسيق كامل مع اسرائيل والاردن » ٠

العمليات الفدائية :

وفي وسط هذا الصخب السياسي المليء

بأجواء المناورات والتآمر واصل الفدائيون الفلسطينيون اعمالهم ، واستطاعوا ان يقدموا انجازات كثيفة في مختلف المناطق المحتلة لفتت انظار المراقبين ، ونفذوا في فترة لا تتجاوز الشهر ١٤ عملية فدائية في ١٤ منطقة امتدت من تل ابيب الى نابلس والقدس ، الى غزة وبئر السبع ، وتسببت بعدد ملحوظ من الجرحى والقتلى الاسرائيليين ، وبعدد كبير جدا من المعتقلين العرب الذي تجمعهم اسرائيل بشكل عشوائي للتحقيق معهم ، بعد كل عملية فدائية · (راجع جدول العمليات الفدائية) ·

بلال الحسن

المناطق المحتلة

لعل ما حدث خلال الفترة الاخيرة في المناطق المحتلة هو عملية اختزال امينة وصادقة لقصة تاريخ فلسطين ، فالاحداث الاخيرة هي في جوهرها نسخة مكررة عن جوهر الاحداث السابقة · وربما يكون واقع التكرار اشد ألما على النفس من واقع المأساة ، ذلك ان التكرار يجعل المرء يمضغ المأساة يوميا ويراوح مكانه اي في نقطة البداية ، مع ان المسافة بينه وبين البداية خمس وسبعون عاما ونيف !

النسخة المكررة التي عادت وفرضت ظلها على المناطق المحتلة هي :

١ ـ اجراءات اسرائيلية ذات شقين ، الاول استهدف الارض ، بواسطة النقاط الاستيطانية الجديدة ، والثاني استهدف الانسان بواسطة القرار الخاص بمساواة السكان العرب في مجال الخدمات بالسكان الاسرائيليين · وهذه الاجراءات بمجملها تستهدف تكريس الاحتلال والتمهيد للضم·

٢ ـ اجراء عربية في المقابل ، ذات شقين هي الاخرى ، الاولى ، الاستنكار التظاهري للاجراءات الاسرائيلية ،والثاني العمل بصمت ، وتحت غطاء الصراخ التظاهري ضد الاحتلال ، لخلق مجموعة من العملاء في المناطق المحتلة ترضى عنهم اسرائيل ، بهدف خلق « البديل » للمثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني ، لتقفز من خلال هذا البديل الى تسوية يتم فيها تثبيت السيادة الاسرائيلية على الارض ، وتثبيت السيادة « العربية » على صاحب الارض · وقد تمثلت الاجراءات « العربية » هذه في مجموعة الشيوخي التي برزت مؤخرا في الضفة الغربية ·

٣ ـ صمود الجماهير الفلسطينية في وجه الاجراءات الاسرائيلية التي تحدث في وسط النهار ، والاجراءات العربية التي تحدث تحت ستار الليل ·

□

القرار الخاص بالمساواة في مجال الخدمات : وسط النشاط الاستيطاني المحموم في المناطق المحتلة ، وفي غمرة التصريحات الاسرائيلية القائلة بان الاراضي الفلسطينية المحتلة منذ ١٩٦٧ هي جزء لا يتجزأ من « ارض اسرائيل » ، وانه من غير المعقول ان يقدم المرء على ضم اراض تخصه ، اقدمت الحكومة الاسرائيلية في الرابع عشر من شهر اب على اتخاذ قرار بمساواة سكان الضفة الغربية وقطاع غزة بالسكان في اسرائيل في مجال الخدمات ، وذلك بهدف تكريس الاحتلال وتمهيد الطريق امام الضم الرسمي ·

وقبل التطرق الى مواقف الكتل السياسية في اسرائيل تجاه هذا القرار ، وردود الفعل في الضفة الغربية عليه ، سنقف قليلا حول المجالات التي يمسها والتكاليف التي يتطلبها ·

من بين الامور التي تشملها الخدمات ، توسيع شبكة الكهرباء في المناطق المحتلة وضمها لشبكة الكهرباء الاسرائيلية ، ومد شبكة مياه جديدة تكون قادرة على تزويد جميع المناطق بالمياه ، وبناء مدارس ومستشفيات ، واقامة مؤسسات ، وسن قوانين خاصة بالعمال العرب ، وكذلك منح مخصصات للاطفال والمسنين ، ومخصصات اخرى مثل مخصصات الولادة والتأمين ضد البطالة · ومن الجدير بالذكر انه يوجد في المناطق المحتلة قرابة ٦٠٠ الف طفل ، وتبلغ مخصصات هؤلاء في العام الواحد ١ر٤ مليار ليرة ، كما ويوجد قرابة ٦٠٠ مليون ليرة في العام الواحد · اي ان تكاليف عملية المساواة تكلف الخزينة الاسرائيلية في حال تطبيق القرار اكثر من ملياري ليرة ·

ولكن هل ستتحمل اسرائيل هذا العبء المالي ؟

لقد صرحت المصادر الحكومية في اسرائيل ان تمويل خطة المساواة في الخدمات لن « يكون من ميزانية الدولة » كما وانه لن يكون على حساب دافع الضريبة في اسرائيل · واشارت الى انه يمكن تغطيته من النسبة المقتطعة من العمال العرب الذين يعملون في اسرائيل ، وتبلغ ٥ر٢٪ من معاش العامل ، ومن مصادر اخرى لم تفصح عنها · واعرب كبار الموظفين عن اعتقادهم بأن « القصد هو مناورة سياسية فقط » ·

وقد انكر رئيس حكومة اسرائيل مناحيم بيجن ان يكون القرار مناورة سياسية ، وركز على انه صدر من خلال دوافع انسانية محضة ، وقال « ليس له اي معنى سياسي » واضاف « ان القرار ليس بداية ضم ، وصدر لاسباب انسانية .... والقصد هو تحسين اوضاع السكان العرب » (هآرتس ١٦ـ٨ـ٧٧) ·

وهذا وزير الدفاع عيزر فايتسمان ، وهو صاحب الفكرة ، يحذو حذو بيجن مركزا على الاعتبارات الانسانية الكامنة وراء اتخاذ القرار ، معيدا الى الاذهان الاوضاع المزرية التي يعيشها العمال العرب الذين يعملون في المرافق الاقتصادية في اسرائيل والذين « يتلقون معاشا زهيدا ويرغمون على المبيت في المزابل والمخازن او مساكن خربة » ومعترفا ايضا « بموت عشرة عمال عرب من جراء انهيار منزل عليهم وهم نائمون » (انظر يديعوت احرونوت ١٩ـ٨ـ٧٧) · ومن الجدير بالذكر ان قادة الليكود عادوا وكرروا في كل مناسبة « الدوافع الانسانية » للقرار ·

الا ان تعقيبات رجالات التجمع العمالي المعارض اتسمت بالاستهجان ، فقد وصف شمعون بيرس زعيم حزب العمل القرار

بانه « غير جاد وغامض ومسرحي » واشار الى ان تطبيقه يستلزم مبالغ مالية ضخمة، اما مئير تلمي احد قادة « مبام » فوصفه بـ « الخطوة الخطيرة » بينما قال عضو الكنيست يهوشوع رابينوفيتش انه « يجب ازالة اقنعة الورع التي تتستر بها حكومة الليكود » وقال اهارون يدلين ان « قرار الحكومة هو قرار سياسي ، مع اوراق تين انسانية ... » (انظر هآرتس ١٦-٨-٧٧) .

وانقسم الكتاب والمعلقون الاسرائيليين الى فريقين تجاه القرار الخاص بالمساواة في مجال الخدمات ، الفريق الاول انبرى للدفاع عن وجهة نظر بيجن وفايتسمان ، معتبرا القرار بمثابة « عمل خيري » ولا يعني بالضرورة ضم المناطق المحتلة او خطوة نحو الضم ، وعزا الشبهات التي تحوم حول القرار الى « التقصير الاعلامي » مثل الكاتب اريه تسيموكي (انظر يديعوت احرونوت ١٩-٨-٧٧) ومثل الكاتب يديديا باري ، المعروف عنه بانه من غلاة الداعين الى ضم المناطق المحتلة ، والذي حاول جاهدا ابعاد شبهة سياسة الضم عن القرار بقوله في مقال له (يديعوت احرونوت ١٧-٨-٧٧) « ان من يعتقد ان رفع المستوى الاقتصادي والاجتماعي للسكان يدفعهم للتمشي مع سيادة امة اخرى يقع في خطأ مرير .وتثبت التجربة التاريخية في العالم الرحب وفي اسرائيل عكس ذلك ، فمع ارتفاع المستوى الاجتماعي والاقتصادي لاقلية قومية ، يحكم اشقاؤها دولا مستقلة مجاورة ، يتعاظم مطلبها في حق تقرير المصير والانضمام الى الدول المجاورة .. » .

وقال ان تحقيق هدف اقامة دولة يهودية ذات سيادة في جميع ارجاء « ارض اسرائيل » وضمان استمرارية هذا الوجود يتوافق مع تشجيع هجرة السكان العرب ، وتساءل « هل يؤدي تحسين الظروف الاقتصادية والاجتماعية لعرب المناطق الى تشجيع هجرتهم ، او على العكس من ذلك ، يعزز من رغبتهم في البقاء في اماكنهم » ؟

اما الفريق الآخر فيرى في هذا القرار توجها نحو « ضم زاحف » للمناطق المحتلة مثل الكاتب شموئيل شمطوف (عل همشمار ١٨-٨-٧٧) الذي وصف القرار بانه « خطوة نحو ضم الضفة الغربية وتطبيق القانون الاسرائيلي عليها » . ومثل مردخاي اورن (عل همشمار ١٧-٨-٧٧) الذي وجه نقدا شديدا ولاذعا للقرار معتبرا اياه خطوة لضم الضفة الغربية وقطاع غزة « ان قرار حكومة بيجن حول السياسة الجديدة في المناطق ما هو الا مشروع ليست فيه ذرة من الحقيقة . امامنا اعلان ذو معنى سياسي متحرش ، موجه لحكم كارتر ، او الدول العربية والاتحاد السوفياتي والعالم كله ، ينص على ان دولة اسرائيل بزعامة بيجن وفايتسمان وديان عاقدة العزم على عدم اعادة مناطق الضفة الغربية الى حكم اجنبي ، وتحويلها الى جزء لا يتجزأ من دولة اسرائيل ، رغما عن أنف وسخط العالم كله . وهذا هو المعنى الحقيقي لقرار الحكومة حول سياستها الجديدة تجاه المناطق » .

واعاد الكاتب الى الاذهان ادعاءات الدول التي تحكم شعوبا اخرى « اننا هنا، من اجل تطوير بلادكم ، وجلب الرخاء لكم ، واقامة مستشفيات ومدارس وطرق » ليقول « ونعرف اليوم بان هذه التصريحات لم تفد في شيء » وبعد ان اشار الى ان الشعوب التي رزحت تحت الحكم الاجنبي رفضت هذا المنطق ، وقاتلت من اجل تقرير مصيرها قال ان « ردود الفعل الاولية التي تصدر في المناطق تثبت ان الجماهير

الفلسطينية ابعد من ان تقـــع اسيـــرة تصريحات السيد بيجن ، ولن تكف عـــن العمل من اجل حقها في تقرير مصيرهـــا الوطني في اطار احلال الســـــلام فـــي المنطقة ٠٠٠ » ٠

ردود الفعل في المناطق المحتلة : على الرغم من ان زعماء حكومة الليكود انكروا بأن يكون القرار يحمل معنى سياسيـــا ، وانه صدر لاسباب « انسانية » لم تقـــع جماهير المناطق المحتلة « اسيرة تصريحات السيد بيجن » فقد اجمعت وسائل الاعلام الاسرائيلية على ان ردود الفعل فـــي المناطق المحتلة تراوحت بين « الريبـــة والشك » وبين « الغضب والغليان » تجاه القرار ٠ فصحيفة « القدس » التي تصدر في القدس العربية ، اعتبرت القرار بانـه « بمثابة خطوة جديدة لتغيير الوضـــع الراهن في الضفة » واعادت الى الاذهـان قول سكرتير الحكومة اريه نيؤور بانـــه « لا يجب تفسير القرار كضم ، لانه لا يمكن ضم ارض اسرائيل الى شعب اسرائيل »٠

اما صحيفة « الفجر » فقد اعتبرته قبل كل شيء « فرض ضرائب باهظة جديدة » كما وانه « خطوة اخرى فـــي الضـــم الزاحف » واعتبرته ايضا بمثابة « حلقـــة في مؤامرة اسرائيلية اردنية ٠٠٠ » لفرض وصاية مشتركة على المناطق المحتلة ٠

وعلى صعيد ردود الفعل عند رؤســاء البلديات ، اعلن رئيس بلدية غزة رشـاد الشوا رفضه للقرار « جملة وتفصيلا » لاعتقاده بانه يتغاضى عـــن الحقـــوق الشرعية للشعب الفلسطيني ، وذكر بانـــه سيرسل برقيات استنكـــار للمسؤوليـــن الاسرائيليين والاميركييـــن والى الامـــم المتحدة ٠ كما واعلن رئيس بلدية الخليـل فهد قواسمة انه سيعارض القرار بكل قوة اذا ما اتضح له بانه يحمل بين طياتـــه ضما للمناطق المحتلة ، اما رئيس بلديـة طولكرم حلمي حنون فاعتبره « خطوة نحو الضم » وذكر « ٠٠٠ اننا سنوضـــح للسكان ما يستتر وراء هذا القـــرار ، سنوضح لهم ان هذا لا يعنـــي اقامـــة مستشفيات ومدارس اخرى ، بل خطـــوة نحو الضم ٠٠٠ واليوم جاء القـــرار كخطوة اولى لتحقيق فكرة جبوتنسكي »٠

ومن الجدير بالذكر انه لم يظهر احـد في المناطق المحتلة يتعاطف مـع القـرار ، وان الذين يعارضونه بقوة كما تقـــول وسائل الاعلام الاسرائيلية هم رؤســـاء البلديات و « شخصيات اخرى معروفـة بتطرفها وبتأييدهـــا لمنظمـــة التحريـــر الفلسطينية » ٠

النشاط الاستيطاني : شهدت المناطـــق العربية المحتلة نشاطا استيطانيا محموما على صعيد البرامج المستقبلية ، والتطبيق العملي ٠ ففي الضفة الغربية اقيمت مؤخرا مستوطنتان ، الاولى بالقرب من ام الريحان في منطقة جنين والثانية في حوش عتسيون في منطقة الخليل ٠ ومن الجدير بالذكر ان السلطات الاسرائيلية حرصت هذه المـرة على احاطة اقامة هاتيـــن النقطتيـــن الاستيطانيتين بالكتمان ، ثـــم سمحـــت بالاعلان عن اقامتهما ٠ فقد كشف مراسل دافار (١٢-٨-٧٧) النقاب عن قيـــام مستوطنة جديدة تحمل اسم « مجـــدال عوز » في غوش عتسيون ، على الجانـــب الشرقي من طريق بيت لحم الخليل ، وذكر بان المستوطنة اقيمت سرا وسمـــح الان بالاعلان عن قيامها كما وافاد ، بـــأن المؤسسات الاستيطانية قررت اقامـــة مستوطنة اخرى شرقي الطريق على بعـــد بضعة كيلومترات الـــى الشمـــال مـــن المستوطنة الجديدة ، في منطقة الشيـــخ عبد الله ابراهيم ٠

كما واعلن في اواخر شهر آب عـــن قيام مستوطنة ناحال جديدة تحمل اسـم

« ريحان » شمال قرية يعبد في منطقة جنين على بعد ٤ كم من «الخط الاخضر »٠ وكان عضو الكنيست توفيق طوبي (راكاح) قد تقدم عند منتصف شهر تموز باقتراح لبحث تصرف سلطات الاحتلال ضد سكان قريتي طورا وام الريحان ، و « استيلائها بالقوة على اراضي القريتين » ونقلت عن الاتحاد (١٩ـ٧ـ٧٧) ان « سلطات الاستيطان تحاول منذ وقت طويل ارغام سكان القريتين ـ ويربو عددهم على الالف نسمة ـ على التنازل عن اراضيهم المشجرة المقدرة باربعة آلاف دونم » ٠

وفيما يتعلق بالاستيطان المستقبلي في الضفة الغربية ، فقد كشف النقاب عن خريطة استيطانية (انظر عل همشمار ١ـ٨ـ٧٧) تضم ١٢ مستوطنة ، يعتزم جوش ايمونيم اقامتها في مناطق مختلفة من الضفة بهدف الاسراع في عملية التهويد ، وهذه المستوطنات هي :

(١) دوتان : في منطقة قباطيا (٢) شومرون : شمال غرب نابلس بالقرب من الطريق الى جنين (٣) ترسا : شمال شرق نابلس على الطريق الى الغور (٤) قرني شومرون : جنوب غرب الون موريه (٥) تبوح : على الطريق الامني بين مسحة وحوارة (٦) شيرا (٧) نبي صاع (شمال غرب مستوطنة عنوة) (٨) بيت ال (٩) بيت حورين (١٠) جبعون (١١)يريحو (ضواحي القدس) (١٢) زيف: ـ جنوب كريات اربع في منطقة الخليل ٠

وفي غضون ذلك نشرت الصحف الاسرائيلية ان مجموعة من يهود الولايات المتحدة تعتزم اقامة مستوطنة جديدة تحمل اسم « قلب صهيون » لتنطلق بعد ذلك لاقامة ١٢ مستوطنة اخرى ٠

ـ اما في قطاع غزة ، فقد تم الاحتفال في ١١ـ٨ـ٧٧ بوضع حجر الاساس لمستوطنة جديدة بين دير البلح وخانيونس، تحمل اسم قطيف ، وقالت دافار (١٢ـ٨ـ٧٧) ان هذه المستوطنة ستستقبل مهاجرين متدينين من الولايات المتحدة ٠ والى جانب ذلك تعتزم سلطات الاحتلال اقامة مستوطنة اخرى في تلك المنطقة في غضون بضعة شهور ٠

وفيما يتعلق بالنشاط الاستيطاني في الاراضي المصرية المحتلة ، فقد احتفلت سلطات الاحتلال في ١١ـ٧ـ٧٧ بقيام مستوطنة ناحال تحمل اسم « حوليت » في مشارف رفح ٠ وبذلك يصل مجموع ما اقيم من مستوطنات في مشارف رفح ١٣ مستوطنة ، ومن المقرر اقامة اربع مستوطنات اخرى في هذه المنطقة ٠

ومن الجدير بالذكر ان سلطات الاحتلال منهمكة منذ مدة في اعمال التنقيب عن البترول في سيناء ٠ وتجري اعمال التنقيب في ثلاث مناطق ٠ (١) منطقة مشارف رفح ، وقد تم العثور في حقل « سدوت » على الغاز دون النفط (٢) منطقة العريش داخل البحر ، وقد تم العثور في البئر البحري الذي يحمل اسم « زيف١» على بعد ١٨ كم من شاطىء العريش على دلائل نفطية على عمق ٣٠٠٠ م ٠(٣) منطقة خليج السويس ، مقابل شاطىء الطور ، حيث تم حفر ثلاثة آبار داخل البحر ويجري العمل الآن لحفر البئر الرابع بحثا عن البترول هناك ٠ واعلن المسؤولون الاسرائيليون ان تكاليف اعمال التنقيب هذه ستصل خلال هذا العام ٤٤٠ مليون ليرة ، وتم تجنيد ١٦٠ مليون ليرة من « جهات اجنبية » ٠ ولم تحدد هوية هذه الجهات ٠

وبالنسبة لهضبة الجولان ، جرى عند منتصف شهر تموز ، الاحتفال بدخول طلائع المستوطنين ـ ٥٠ عائلة ـ مدينة

كتسرين التي يراد لها ان تصبح المدينة المركزية في الهضبة السورية ٠

ومن المعروف ان هضبة **الجولان تعتبر** اكثر المناطق العربية المحتلة تأثرا من اعمال الاستيطان والتهويد بسبب ضآلة عدد السكان العرب هناك ٠ ويوجد فيها الآن ١٠ مستوطنة تضم قرابة ٣٦٠٠ مستوطن ، ويأمل هؤلاء المستوطنون ان يصبح عدد اليهود في الهضبة بعد اربعة اعوام ٣٠ الف مستوطن ٠

رؤساء البلديات يفشلون مخطط ديان : عشية مجيء وزير الخارجية الاميركية الى اسرائيل في نطاق رحلته الاخيرة للشرق الاوسط بغرض تمهيد الطريق لعقد مؤتمر جنيف ، وجه موشيه ديان وزير خارجية اسرائيل دعوة الى رؤساء البلديات في الضفة الغربية والى عدد من « الوجهاء » هناك لحضور حفل استقبال سايروس فانس وزير خارجية الولايات المتحدة ، في محاولة منه منح رؤساء البلديات دورا سياسيا معينا يتناقض وسياسة م٠ت٠ف بهدف الالتفاف حول مسألة التمثيل الفلسطيني ، وخلق زعامة منافسة لمنظمة التحرير الفلسطينية، واحداث خلافات وبلبلة بين صفوف رؤساء البلديات ٠ الا ان محاولته هذه باءت بالفشل تماما ، ولم يلب دعوة ديان الا شخصيات هزيلة ، ومن المشكوك فيه ان ينظر نحوها ديان نفسه نظرة احترام ٠

عقب الدعوة ، وفي الثالث من آب عقد رؤساء البلديات الرئيسية في الضفة اجتماعا تدارسوا فيه مسألة الدعوة التي وجهها وزير خارجية اسرائيل اليهم ٠ وذكرت معاريف (٧-٨-٧٧) **ان المجتمعين** اتفقوا على عدم تلبية الدعوة باعتبار ان « م٠ت٠ف هي الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني ، ويجب الاستمرار في الخط الذي سار عليه رؤساء البلديات في الضفة منذ مدة : عدم القيام بأية مبادرة لا تباركها م٠ت٠ف » ٠

وعلل رئيس بلدية رام الله كريم خف رفضه لدعوة ديان بالقول انه يعتقد ان على رؤساء البلديات ان يعملوا فقط في الشؤون البلدية ، وليس لهم اي دور سياسي « والجهة الوحيدة المخولة بالتحدث باسم الفلسطينيين هي م٠ت٠ف الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني ٠٠٠ وان محاولة التغاضي عن هذه القيادة واقامة بديل لها هي محاولة مفضوحة ، وليست مقبولة لدى جماهير الشعب » ٠

وفي العاشر من آب اقام ديان حفل الاستقبال لوزير الخارجية الاميركي ،ووجد الاخير في استقباله بالاضافة الى الاسرائيليين ، مذكرة وقع عليها رؤساء عشر بلديات في الضفة الغربية ، ارسلت نسختان عنها الى وزير خارجية الاتحاد السوفياتي ، والى السكرتير العام للامم المتحدة ، تضمنت كما ذكرت دافار (١١-٨-٧٧) « الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي للشعب الفلسطيني ، وحق اقامة دولة فلسطينية ، وتوجيه انتقادات للسياسة الاسرائيلية في الضفة الغربية » ٠ ووقع على المذكرة رؤساء بلديات نابلس ، الخليل ، رام الله، قلقيلية ، طولكرم ، البيرة ، بيت لحم ، حلحول ، طورا وبيتونيا ٠

ووجد ايضا ، بالاضافة الى المذكرة ، بين الحضور « وجهاء » عربا اجتمعوا به وطرحوا على مسامعه امورا ترضي صاحب الدعوة ، و « من بينهم المحامي عزيز شحادة من رام الله ، واحد ابناء الشيخ الجعبري من الخليل ، اكدوا انه يجب الاخذ بعين الاعتبار في كل حل في

المستقبل للضفة الغربية ، الحفاظ على علاقة ما بين الضفة والاردن » ٠

ولادة عميل : يحدث عادة ، ولكن على فترات متباعدة تمتد احيانا سنوات ، ان تشهد المناطق العربية المحتلة ولادة عميل ٠ ففي الجزء الثاني من شهر آب ، وفي الوقت الذي ازدادت فيه حرارة مساعي التسوية ، والحديث عن ضرورة ايجاد بديل لمنظمة التحرير الفلسطينية ، سواء من قبل اسرائيل او اطراف عربية ، تمت عملية ولادة قيصرية ابصر النور فيها عميل ٠ قامت اسرائيل فيها بدور القابلة ، واطراف عربية خارج الضفة بالدور الاساسي الآخر ! وسمي المولود الجديد : الشيوخي ٠ ولم تغفل الاطراف ذات العلاقة بالولادة عن الحاق نسبه بالفلسطينيين ، واعداده ليقيم منظمة فلسطينية جديدة مناوئة لمنظمة التحرير الفلسطينية ، ومؤيدة بطبيعة الحال للاب والقابلة !!

وقبل التحدث عن مواقف الشيوخي ومجموعته والجهات الخفية المستترة وراءه ، تجدر الاشارة الى ان اسمه ـ وهو شخص مغمور ـ ظهر مرتين في الصحف الاسرائيلية في مناسبتين ، قبل ان يردد صباح مساء في وسائل الاعلام الاسرائيلية ٠ ولعل في ذكر هاتين المناسبتين التي اقترن فيها اسمه ما يساعد على القاء الضوء على جوانب هامة من ولادته واهدافه ٠ المرة الاولى التي يظهر فيها الاسم ـ وقد اخطأت في كتابته صحف اسرائيلية كثيرة ـ عندما رئس في اوائل شهر آب مجموعة من « وجهاء » منطقة الخليل وتوجه الى عمان لحضور احتفالات الاردن باليوبيل الفضي للملك حسين ، والتي قاطعها معظم رؤساء بلديات الضفة الغربية باستثناء رئيسي بلديتي بيت لحم وبيت ساحور ٠ والمناسبة الثانية ، عودته من الاردن واعلانه للصحف في اسرائيل بأن الاردن سمح بمرور المنتوجات الزراعية عبر الجسور المفتوحة بعد ان كان قد فرض عليها قيودا في بداية شهر آب ٠ وكان لهذا القرار الذي بشر به الشيوخي وقع حسن على مسامع عدد كبير من اصحاب كروم العنب في الضفة الغربية ٠

بعد ذلك ، لم يعد اسمه يقترن بتصدير العنب ، بل بالحديث عن تزعمه لمجموعة من سكان الضفة الغربية ، وعقد المؤتمرات الصحافية ، والمقابلات الاذاعية ، والحديث عن ظهور البديل لمنظمة التحرير الفلسطينية ! اشار الصحفي الاسرائيلي يهودا ليطاني (هآرتس ٢٢ـ٨ـ٧٧) الى ذلك بقوله : « ان مجموعة من سكان الضفة الغربية معروفة بولائها للاردن ، تنظمت مؤخرا بغرض عقد مؤتمر فلسطيني يضم معارضي م٠ت٠ف في احدى العواصم العربية ، وعلم ان النية تتجه لعقد المؤتمر في عمان او دمشق او بيروت » ٠ وقال ان المنظم الرئيسي للمجموعة هو المحامي حسين الشيوخي من رام الله ومن سكان الخليل سابقا ، كما وذكر بان مصطفى دودين وهو وزير سابق في حكومة الاردن بين افراد المجموعة ٠ كما ورددت وكالة الانباء الاسرائيلية « عتيم » كما جاء في يديعوت احرونوت (٢٣ـ٨ـ٧٧) القول بانه يقف خلف مجموعة الشيوخي « فلسطينيون يؤيدون الملك حسين ، عيل صبرهم ، بما يصفونه «تصرفات عرفات» الذي الحق حسب رأيهم كارثة بالفلسطينيين ، من بينهم شخصيات معروفة ، منهم وزراء سابقون في حكومة الاردن » ٠

كما ورددت الصحف الاسرائيلية ادعاء الشيوخي ومجموعته بان له انصارا

ومؤيدين بين صفوف شخصيات فلسطينية تقيم خارج المناطق المحتلة ، داخل وخارج م٠ت٠ف ، تعارض النهج السياسي الذي تسير عليه م٠ت٠ف ٠

ماذا يقول الشيوخي ؟

في المقابلة التي اجراها معه مراسل يديعوت احرونوت (٢٤ـ٨ـ٧٧) ركز الشيوخي على القول ان م٠ت٠ف لا تمثل الفلسطينيين في المناطق المحتلة ،وان هنالك جهة واحدة مهيمنة على المنظمة ٠ وهي منظمة فتح بزعامة عرفات ٠ كما واعرب عن معارضته للكفاح المسلح الذي تنتهجه المقاومة ، ودعا الى الابتعاد عن اساليب العنف « انني لا ادعو الى نضال حسب الطريقة الجزائرية ٠٠٠ علينا ان نكون انسانيين ، وان نحسن الصورة التي الصقت بنا بسبب الحرب في لبنان »٠

واعرب عن معارضته لحضور الفلسطينيين مؤتمر جنيف في حال انعقاده، لاعتقاده بأن ذلك من مسؤولية الدول العربية « لا ينبغي على اي فلسطيني ان يذهب الى جنيف ٠٠٠ بل يجب ان يحضر فقط مندوبون عن الدول العربية التي عقدت المشكلة الفلسطينية وأدت الى الوضع الذي نعيش فيه ، ويجب على الدول العربية ان تتحمل العبء ، وعلينا ان لا ندعها تتنصل من ذلك » ٠

وردا على سؤال وجه اليه اذا ما كان يؤيد اجراء مفاوضات مع اسرائيل ، قال « يتعلق الامر قبل كل شيء بالجماهير، فاذا ما ارادت ذلك ، سأعمل باسمها ٠ انني لا اسعى لحكم الفرد » ٠ وقال ان آلافا من الفلسطينيين جاءوا الى بيته للاعراب عن تعاطفهم معه « واعتقد ان معظم الفلسطينيين يشاركونني في مواقفي٠ ان مبادرتي ليست بنت ليلة وضحاها ، فنحن نمهد الطريق منذ قرابة اربعة اعوام ، والآن حان الوقت لدق الاجراس، واعتقد ان الجماهير ستستجيب لهذه الصرخة » وقال انه لا يخشى م٠ت٠ف ، ووجه انتقادات شخصية لرئيس م٠ت٠ف ٠

وبعد ذلك عاد الشيوخي واجرى مقابلة اذاعية (انظر هآرتس ٢٨ـ٨ـ٧٧) اكد فيها ان « م٠ت٠ف انحرفت عن اهدافها الاصيلة ، عندما اخذت تتدخل في شؤون دول عربية اخرى مثل لبنان والاردن ٠٠٠٠ » واشار الى انها الحقت اضرارا بالقضية الفلسطينية « باستخدامها سلاح الارهاب » ودعا المنظمة الى تركيز نشاطها في الميدان السياسي فقط ، وتترك ميدان القتال للدول العربية ٠ وانكر ان يكون له ولمجموعته ارتباط بالاردن ، واكد على ان ذلك لا يعني انه ضدالنظامالاردني٠ ولم ينس توجيه انتقادات شخصية لياسر عرفات ٠

ووسط الحديث عن تصريحات المحامي حسين الشيوخي ومجموعته التي لم يجرؤ اي فرد من افرادها على الافصاح عن هويته ، علق مدير مكتب رئيس حكومة اسرائيل على ظاهرة « البديل » الاخذ بالنمو في الضفة الغربية بقوله انه « يعلق عليها اهمية كبرى » ٠

في هذه الاثناء ، وفي ٢٤ـ٨ـ٧٧ وزعت مناشير في مدن الضفة الغربية تدعو « الدول العربية الى تشكيل لجنة في طرق صرف المبالغ المالية على يد ياسر عرفات زعيم م٠ت٠ف » وطالبت ايضا زعماء الدول العربية تشكيل لجنة اخرى للتحقق من نسب ياسر عرفات الذي هو « ليس فلسطينيا وليس مصريا ، ولا حتى عربي » واشارت الى « ان ياسر عرفات عميل للمخابرات الاميركية ، القيت عليه مهمة زرع بذور التفرقة في صفوف الشعب الفلسطيني ، وتوتير العلاقات بين الدول

العربية » ٠

وحذرت المناشير مؤيدي م٠ت٠ف في الضفة « يجب على هؤلاء الناس ان يدركوا باننا لن ندعهم ، وسنضربهم بيد من حديد ٠ انهم مطاليون بالكف عن عمالتهم لعرفات في الضفة » وحملت المناشير توقيع « جبهة القوى الفلسطينية الموحدة » (انظر يديعوت احرونوت ٢٥ـ٨ـ٧٧) ٠

ومن المعروف انه لا يوجد في المناطق المحتلة تنظيم فلسطيني يحمل هذا الاسم ، ولذا ، يبقى من غير الواضح هوية الجهة المتسترة وراء اسم وهمي ، الا انه يبقى من الواضح ان الهوية لا يمكن لها الا ان تعود الى احد اثنين وبرضى الاثنين : سلطات الاحتلال الاسرائيلية ، وسلطات عربية ٠

كانت ردة الفعل في المناطق المحتلة على تصريحات الشيوخي شديدة ، فقد وزعت الهيئات الوطنية هناك مناشير في نابلس استنكرت فيها ظهور العملاء في الساحة ، ودعت الجماهير الى الاتحاد في « وجه اعداء الوطن » الذين بدأوا ينشطون لشق الصفوف ٠ ووصف مراسل معاريف (٢٢ـ٨ـ٧٧) ردود الفعل في الضفة بانها اتسمت بالغضب وتوجيه الانتقادات الشديدة للمجموعة التي يرئسها الشيوخي و « نعتها باوصاف قاسية ٠

لقد وصفوها بانها ثمرة مؤامرة اسرائيلية اردنية تستهدف صرف انظار السكان عن الاستيطان في الضفة » ٠

ويبدو ان ردة الفعل القوية في الضفة جعلت افراد المجموعة يتخوفون من الكشف عن هويتهم ٠ واشار المراسل الى ذلك بقوله ان مجموعة الشيوخي التي يتراوح عدد افرادها ما بين ٧ـ١٠ اشخاص « يخشون الكشف عن هويتهم » ٠

ومما يلفت النظر ان الصحفيين الاسرائيليين ، امام رفض رجال المجموعة الافصاح عن نفسها ، توجهوا الى شخصيات معروفة بولائها للنظام الاردني ، لعلهم يجدون عندها الخبر اليقين ٠ وجل ما وجدوه استنكار مبادرة الشيوخي ، وامتداح م٠ت٠ف ! فقد علق رئيس بلدية بيت لحم الياس فريج بالقول : « هذا بالون ربما يقصد منه مصالح جهة ما ـ ولكن بالتأكيد ليس الفلسطينيين ٠ انها خرافة قد ينجم عنها فقط الحاق الضرر بسكان الضفة » ٠

اما المحامي عزيز شحادة فقال : « لم اسمع عن مبادرة كهذه ٠ ومن الغريب طرحها في الوقت الذي يعترف فيه العالم باسره بمنظمة التحرير الفلسطينية ، ويعتبرها الممثل للشعب الفلسطيني » اما ابو الزلف رئيس تحرير صحيفة «القدس» فذكر ان هذه المبادرة « هراء ٠ اشخاص غير جادين ٠ ومبادرة غير جادة ٠ لن ينجم عنها شيء ٠ ولا يستحق هؤلاء الانتباه » ٠

ومع ذلك فقد بقي هؤلاء يحظون باهتمام الصحفيين الاسرائيليين الذين كشفوا النقاب عن شخصيتين مركزيتين في مجموعة الشيوخي ، وهما مصطفى دودين من الخليل ، وزير الشؤون الاجتماعية سابقا في الحكومة الاردنية ، ورمضان خوجه من دورا عضو في البرلمان الاردني سابقا ٠

ولم يكن امام هاتين الشخصيتين ، بالرغم من اشارة الصحف الاسرائيلية الى انهما عصب مجموعة الشيوخي ، الا التبرؤ من الشيوخي نفسه ٠ فقد قال الاول في سياق تبرؤه : « لقد هاجمتني م٠ت٠ف دون ذنب اقترفته ٠ لقد وصلتها معلومات دون اذني ، ودون ان اسأل حول

ذلك ، والنتيجة كانت تصويري كشريك للشيوخي في آرائه · هذا غير صحيح · لم اتحدث معه حول آراء سياسية ، ولم اجتمع معه في عمان ، ولا توجد بيننا علاقة سياسية او شخصية » ·

اما الثاني فتبرأ على الشكل التالي : « يجب ان يكون واضحا انه لا يوجد بيني وبين الشيوخي اي شيء · لم اتحدث معه، ولم انسق معه اي موقف سياسي ···· » (انظر معاريف ٢٩-٨-٧٧) ·

ويبدو ان الشيوخي وجد نفسه بعد ان اصيب بنوبة قلبية في غمرة حملته ضد م·ت·ف والتبشير لمجموعته ، وقد تبرأ منه اقرب المقربين ، مضطرا الى التبرؤ هو الآخر من نفسه · فقد اشارت آخر المعلومات التي نشرتها الصحف الاسرائيلية ان الشيوخي اخذ يتبرأ من مواقفه السابقة حين عاد واعلن « ان م·ت·ف هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني » على مسمع من الاب الصامت والقابلة الثرثارة ·

عبد الحفيظ محارب

اسرائيليات

أ- المخططات الاقتصادية الجديدة وعلاقة الهستدروت بالحكومة

اثبتت نتائج الانتخابات الاسرائيلية للكنيست التاسع التي جرت في شهر ايار الماضي ان الوضع الداخلي الاقتصادي والاجتماعي كان من الامور الحاسمة في هذه الانتخابات التي اسفرت عن فوز كتلة « ليكود » اليمينية وتسلمها السلطة في اسرائيل · وتشير النتائج الرسمية للانتخابات ان كتلة « ليكود » قد فازت في الاساس،بفضل اصوات ابناء الطوائف الشرقية الفقيرة التي تسكن غالبيتها في المدن الكبيرة ومستوطنات الحدود . في وضع اجتماعي واقتصادي صعب للغاية ، يعكس الهوة الاجتماعية القائمة بينها وبين ابناء الطوائف الغربية الذين يشكلون في غالبيتهم الطبقة المتوسطة والغنية في اسرائيل · وقد نجح « ليكود » في كسب اصواتهم ، بفضل الوعود الكثيرة التي قدمها لهم في مجال تحسين اوضاعهم · وهناك من بات يعتقد في اسرائيل ، ان استمرار تولي « ليكود » السلطة في المستقبل ، سيكون مرهونا الى حد بعيد بموقف هؤلاء السكان الذي يتوقف اساسا على مدى تنفيذ الوعود التي قدمت لهم ، رغم ان هذا الامر يبدو صعبا جدا الآن بسبب المشاكل الاقتصادية المتأزمة التي تعيشها اسرائيل ، بحيث ان اقصى ما يمكن عمله في هذا المجال هو استمرار الخدمات والمساعدات التي كانت تقدم لهذه

الطبقات أيام حكم « المعراخ » ٠

وليس الوضع الاجتماعي الصعب لهذه الطبقات الفقيرة هو الامر الوحيد الذي ورثه « ليكود » عن « المعراخ » في المجال الداخلي ، وانما هناك مشاكل اقتصادية متأزمة ، لا بد من التوقف عندها قبل التطرق الى الحلول التي يعرضها « ليكود» وامكانية تنفيذها ٠ وقد اشار وزير المالية الاسرائيلي السابق يهوشواع رابينوفيتش، في مجال عرضه لاعمال وزارته في الجلسة الختامية لحكومة « المعراخ » ، « ان هناك مشكلات اساسية املت سياسة حكومته الاقتصادية (حكومة رابين) ٠ وتتمثل هذه المشكلات في «الزيادة الضخمة في نفقات الامن المحلية وفي الاستيراد الامني في الفترة التي تلت حرب « يوم الغفران » ، ارتفاع اسعار الوقود الذي سبب اهتزازا في الاقتصاد العالمي كله ، ارتفاع اسعار الواردات الاخرى ، خاصة المواد الغذائية المستوردة من الخارج ، والمواد الخام ، ثم الركود في النشاط الاقتصادي وفي الطلب في الاسواق داخل البلدان الاساسية التي تتاجر معها اسرائيل ٠ وقد ادت هذه المشاكل الى تطورين اقتصاديين اساسيين : ارتفاع ليس له سابق في العجز الجاري في ميزان المدفوعات الذي ارتفع من ١ر١ مليار دولار في سنة ١٩٧٢ حتى ٤ر٠٤ مليار دولار في سنة ١٩٧٥ . وارتفاع كبير في الاسعار ، حيث بلغت نسبة ارتفاع الاسعار للمستهلك خلال السنين الثلاثة المذكورة ١٦٦٪ ٠ ثم ازدياد ديون اسرائيل الخارجية وارتفاعها من ٤ر١ مليار دولار في نهاية ١٩٧٢ الى ٩ر٣ مليار دولار في نهاية سنة ١٩٧٦ » (دافار ، ١٣-٦-٧٧)٠ وباختصار يمكن تلخيص المشكلة الاقتصادية في اسرائيل ، في انها ناتجة عن الثغرة القائمة بين الموارد الاساسية المتوفرة للاسرائيليين ، وبين متطلباتهم واستهلاكهم ، بحيث يمكن القول ان مستوى المعيشة المرتفع نسبيا المتوفر لهم ، هو على حساب المساعدات الخارجية خاصة الاميركية ، والقروض التي يحصلون عليها في الاسواق الخارجية ، وليس على حساب انتاجهم ، رغم كل احاديثهم عن التفوق الزراعي والصناعي لديهم ، فهم مجتمع يقوم على التسول وليس على الكفاية الذاتية ٠

ويشير رابينوفيتش (المصدر السابق) الى ان هذه المشاكل الاقتصادية هي التي املت سياسة « المعراخ » في هذا المجال ، التي تمثلت حسب قوله ، في النقاط التالية: « ١ ـ الهدف الاساسي كان ولا يزال تقليص العجز في ميزان المدفوعات ، لان عجزا كهذا يشكل خطرا على الاقتصاد وعلى العمالة والقوة الامنية ، ويزيد من التعلق السياسي ٠ ٢ ـ تقليص الطلبات المحلية وفي الاساس تقليص الاستهلاك الفردي والعام ٠ ٣ ـ تغيير بنية الاقتصاد، من خلال منح افضلية للفروع التي تساهم في تحسين ميزان المدفوعات سواء بواسطة زيادة الصادرات او انتاج مواد بديلة للمواد المستوردة ٠ ٤ ـ خلق توازن في وضع العمالة من خلال الغاء وضع العمالة القائضة ، وتجنب الانزلاق الى بطالة كبيرة ٠ ٥ ـ كبح ضغوط التضخم المالي ، مع خفض سرعة ارتفاع الاسعار من سنة الى اخرى ٠ ٦ ـ تحسين الظروف من اجل تجديد الانعاش الاقتصادي ٠ ٧ ـ تحسين وضع الطبقات الاجتماعية الفقيرة ، من خلال تقليص تدريجي للثغرات الاجتماعية القائمة » ٠ وتنفيذا لهذه السياسة ، عملت حكومة المعراخ على ثلاثة مستويات : اولا عملت مباشرة على مركبات ميزان المدفوعات بواسطة زيادة

رقمية الصادرات وغلاء الواردات · ثانيا، عملت على تقليص الطلبات المحلية ، من اجل خفض الواردات ، وتوفير مصادر يمكن توجيهها الى فرع الصادرات، وسوية مع ذلك تخفيف الضغوط التي تؤدي الى رفع الاسعار · ثالثا ، تم تنفيذ عدد من الاصلاحات الاساسية في مجال الضرائب المباشرة وغير المباشرة (ضريبة القيمة الاضافية) ، مع اتباع خطوات اقتصادية خاصة مثل خفض علاوة غلاء المعيشة حتى ٧٠٪ بالاتفاق مع الهستدروت ، واتباع اسلوب التخفيض الزاحف في قيمة الليرة الاسرائيلية ، ثم خفض تدريجي في قيمة المساعدات الحكومية للمنتوجات والخدمات الحيوية ·

هذه هي اهم اسس سياسة الحكومة السابقة في الحقل الاقتصادي ، ورغم انها استطاعت تحقيق بعض المكاسب (مثلا انخفاض العجز في ميزان المدفوعات في سنة ١٩٧٦ بقيمة ٧٨٠ مليون دولار) الا انها تبقى مكاسب هزيلة بالمقارنة مع ضمانة المشكلات التي ذكرت اعلاه · ويلاحظ ان فترة ما قبل الانتخابات قد تميزت بالتوقف عن اتخاذ اي اجراءات اقتصادية جديدة ، الامر الذي زاد من تفاقم سوء الوضع ، وادى الى تقليص فاعلية الاجراءات التي اتخذت في السابق، وزيادة العجز في ميزانية الدولة ، بحيث فاق كل ما كان متوقعا في السابق · وباختصار يمكن القول ان « الليكود » قد ورث وضعا اقتصاديا صعبا ، تبدو خططه البديلة السابقة التي عرضها في فترة ما قبل الانتخابات وايام كان في المعارضة ، وكأنها بعيدة كل البعد عن الواقع ·

اقتصاد حر وتقليص دور الحكومة في الحقل الاقتصادي

ركزت كتلة « ليكود » في برنامجها الاقتصادي البديل الذي عرضته قبل الانتخابات الاخيرة للكنيست على خمسة نقاط اساسية على النحو التالي :

اولا ، اقتصاد حر وتقليص تدخل الحكومة في النشاط الاقتصادي · ثانيا ، كبح التضخم المالي بواسطة تقليص العجز في ميزانيات الحكومة وفي مجمل السيولة في القطاع العام · ثم تقليص الاجهزة الزائدة من خلال التمويل المنظم للمستخدمين الى الفروع الانتاجية · ثالثا ، تقليص العجز في ميزان المدفوعات بواسطة الزيادة الفعلية للصادرات وخفض الواردات ، بما في ذلك الاستيراد الامني · رابعا ، تبسيط السياسة الضريبية ، بانتهاج نوعين من الضرائب فقط : ضريبة تصاعدية على الدخل وضريبة على القيمة الاضافية كنسبة موحدة على الانفاق · خامسا ، استقرار علاقات العمل وايجاد صلة مباشرة بين الانتاج والاجر ، ومقابل ملائم للوظيفة والخبرة والمبادرة والزيادة الانتاجية الفعلية وللجهد والمسؤولية · (معاريف ، ٢٢ـ٤ـ٧٧) ·

وبعد فوز « ليكود » في الانتخابات ، بادر وزير الاقتصاد الجديد سيمحا ارليخ الى شرح السياسة الاقتصادية الجديدة التي تنوي حكومته اتباعها وفق الاسس العامة المذكورة اعلاه · وقد اثارت اقواله ردود فعل غاضبة بين مختلف القطاعات الاقتصادية داخل اسرائيل ، خاصة بين اعضاء الهستدروت وتنظيمات العمال ، نظرا لما تحمله بين طياتها ، من تغيير كبير في الوضع القائم الذي اعتاد عليه الاسرائيليون ايام حكم « المعراخ » رغم كل ما يحمله من اخطاء وتشويهات · فمثلا يفسر ارليخ مبدأ الاقتصاد الحر والحد من تدخل الحكومة في النشاط الاقتصادي بقوله : « ان المبدأ هو ان توفر الحكومة

والدولة خدمات للمواطن لا تستطيع شركة خاصة تقديمها له : مثل الامن ، المطارات الجوية والموانىء ، المياه ، والطرق وما شابه ذلك · وحسب هذا المبدأ ، فان كل ماتستطيع شركة خاصة تنفيذه ، على الحكومة ان تتوقف عن القيام به على حساب الجمهور ومن صندوقها · وبالطبع لا انكر حق الحكومة في الاشتراك في مشاريع طلائعية لا يستطيع رأس المال الخاص او لا يرغب في تنفيذها ،ولكن هذا امر خارج عن القاعدة· ففي الولايات المتحدة ، حتى صناعة السلاح هي بين ايدي شركات خاصة ، ومن الولايات المتحدة لم يتضرر نتيجة لذلك » ، (في مقابلة مع معاريف ، ٢٧ـ٥ـ٧٧) · ويتهم ارليخ حكومات « المعراخ » السابقة في ان سياستها الاقتصادية كانت تهدف في الاساس الى زيادة تعلق المواطنين بها لخدمة اهدافها ، « فما حدث عندنا خلال سنين ـ وهذا جزء هام وبارز في اخطاء المحكم « المباني » في تنوعاته ـ هو ان الحكومة تحولت الى منافسة لمواطنيها · فمن جهة واحدة تحصل ضرائب عالية من المواطن ، ومن جهة اخرى تستعمل هذه الاموال في اقامة مشاريع تنافس بها المواطنين دافعي الضرائب · وامثلة على ذلك : الحكومة هي اكبر مستورد محتكر للمواد الغذائية الاساسية ، مثل الزيوت واللحوم والسكر والطحين والعلف والحبوب · والحكومة هي التي تتاجر بمقادير ضخمة · فهي تستثمر الاموال في ذلك ، وتقيم المخازن والادارات والموظفين ، والسيارات والسائقين ·وعليها ان تنفق مليارات من الليرات على التبريد والخزن · لماذا ؟ لكي يكون المواطن متعلقا بالجهاز الحاكم، ومستعبدا له · اما نحن فسنوقف ذلك كله · سنوجد لقب « المستورد المرخص » · كل من يستطيع ان يبرهن ، على انه يملك المال الكافي والمخازن ، والبرادات ، ويكون ملزما بالاحتفاظ بكميات وافية من الاحتياط ، بحيث يقتصر دور الحكومة على مراقبة الاسعار فقط ، من اجل منع التلاعب بها » · وتنفيذا لهذه السياسة ينوي ارليخ بيع الشركات الحكومية مثل شركة الكهرباء والمعامل الكيماوية والبترو ـ كيماوية ومعامل تكرير البترول ، حيث تطرح اسهمها في السوق للبيع · « كذلك ليس هناك سبب لان يكون للحكومة سيطرة مطلقة على مديرية عقارات اسرائيل ، وليست هناك حاجة الى وزارة للاسكان تتوسط بسعر مرتفع جدا بين المواطن ومسكنه · يجب تسليم الاراضي للاشخاص ، واعفاء مواد البناء من الضرائب ، من اجل جذب مستثمرين لبناء مساكن للايجار ··· وبهذه الطريقة، سيتحرر المواطن من التعلق بالنظام ،الامر الذي احدثه حكم المعراخ طوال اعوامه من اجل الاحتفاظ بالحكم : سيكون هناك تدخل ادنى من جانب الحكومة في التطورات الاقتصادية ، وستمنح حرية المبادرة للاشخاص والشركات ، من اجل البناء والتطوير وربح المال ثم دفع ضرائب كثيرة · واعتقادي هو ان مساكن للايجار هي الحل الوحيد لانتقال العمال من مكان عمل الى آخر » · (المصدر نفسه) ·

وبالنسبة للبند الثاني في برنامج « الليكود » الاقتصادي ، اي كبح التضخم المالي بواسطة تقليص ميزانيات الحكومة فقد ذكر ارليخ انه اذا استمرت نسبة التضخم الحالي من ٤٠ـ٥٠٪ في السنة، فسيحدث في اسرائيل انهيار اقتصادي وبطالة جماهيرية · « سنحارب التضخم سواء بواسطة تقليص نفقات الحكومة او بواسطة خفض مستوى المعيشة والاستهلاك الفردي والعام خلال السنتين المقبلتين على الاقل · وعلى المواطنين

ان يدركوا ان مجرى الاصلاح وتصحيح الاخطاء سترافقه آلام وتنازلات ... » ٠ ولا بد هنا من الاشارة الى نقطتين اساسيتين اعلن عنهما ارليخ في سياق حديثة حول سياسته الاقتصادية للسنين المقبلة ، اثارتا موجة عارمة من الاستياء والاستنكار ، خاصة ان اقواله هذه جاءت قبل انتخابات الهستدروت ، الامر الذي استغله دعاة « المعراخ » افضل استغلال ٠ فقد اعلن ارليخ انه تنفيذا لهذا البند في سياسته ، اي كبح التضخم المالي لا بد من اجرائين اساسيين : اولا خفض الاعانات الحكومية التي تمنح بوجه خاص للمواد الغذائية الاساسية ، ثم للقطاعات الانتاجية المختلفة خاصة للصناعيين ، لتشجيع فرع الانتاج ٠ ثانيا ، حدوث بطالة على نطاق واسع نتيجة خفض الميزانيات العامة وتجميد ملاك المؤسسات الرسمية ، وتقليص النشاط الاقتصادي العام ، خاصة في فرع الخدمات ٠ وقد دافع ارليخ عن افكاره هذه بقوله : « عندما اتحدث عن خفض الاعانات الحكومية ، فإن الامر يجب الا يخلق فزعا ٠ فالعادة عندنا ، انه عندما يجري الحديث عن هذه الاعانات ، فان المتحدثين لا يرون امامهم سوى الزيت والارز ومنتوجات الحليب والخبز والسكر (وهي المواد الغذائية التي تدفع الحكومة اعانات من اجل المحافظة على اسعارها المنخفضة) ٠ اريد ان اعلن بوضوح ، ان الاعانات لهذه المواد ما هي سوى نسبة ضئيلة ، ربما ١٥٪ من سائر الاعانات التي تدفعها الحكومة ... انها امر ثانوي جدا ٠ والمشكلة لا تتمثل في دفع اعانات من اجل المحافظة على اسعارها المال (التسليف والتسهيلات التي تمنح للمستثمرين من اصحاب رؤوس الاموال)٠ اريد ان اعلن اننا لن نمس الطبقات الفقيرة والضعيفة ، وانما الطبقات القوية ... » (في مقابلة مع يديعوت احرونوت ، ٨-٧-٧٧) ٠ واعلن ارليخ ايضا ان سياسته تهدف الى خفض التضخم المالي الذي وصلت نسبته الى ٣٨٪ في السنة الماضية ، بنسبة ١١-١٣٪ في السنة المقبلة ، وذلك بواسطة سلسلة من الخطوات الاقتصادية التي ستنفذ خلال الاشهر المقبلة ، واولها تجميد مستوى المعيشة ثم تخفيضات كبيرة في ميزانية الحكومة والنفقات العامة ٠ ولا تختلف تطلعات ارليخ هذه عن سياسة حكومة « المعراخ » ، سوى في القدرة على التنفيذ ، فالدعوة الى تجميد مستوى المعيشة وخفض ميزانيات الحكومة قائمة منذ سنين ، الا ان تنفيذها كان محدودا جدا ، الامر الذي زاد من تفاقم التضخم الاقتصادي ، حتى وصل الى ٣٨٪ خلال السنة الماضية ٠

اما في بند الضرائب فان ارليخ يتطلع الى تبسيط الاجراءات والاجهزة ، والغاء البيروقراطية القائمة في هذا المجال ، الا ان هذا الامر لن يؤدي الى تخفيف عبء الضرائب عن الاسرائيليين ٠ وقد تولد هذا الانطباع عقب الانتخابات ، حيث انتشرت اخبار مفادها ان وزير المالية الجديد سيخفف الضرائب على السفر الى الخارج، وبعض الضرائب الاخرى كضريبة الامن ٠ وقد اكد ارليخ هذا الامر بقوله : « ان من يعتقد انني انوي الغاء ضريبة السفر من اجل تسهيل سفر الاسرائيليين الى الخارج هو مخطىء ٠ ان ما ننوي صنعه هو تسهيل الاجراءات ٠ واذا الغيت ضريبة السفر ، فسيتم ادخالها في ضريبة القيمة الاضافية ... سيتم تبسيط الاجهزة وتبسيط الاجراءات » (المصدر نفسه) ٠ وفي هذا المجال تنوي الحكومة الجديدة ، الغاء معظم الضرائب غير المباشرة ،

ودمجها في ضريبة القيمة الاضافية ، التي فرضتها الحكومة السابقة خلال السنة الماضية ٠

اما الامر الاكثر اثارة في مخططات وزير المالية الجديد ، فهو اعلانه انه سيعمل على الغاء الرقابة على العملة الصعبة خلال سنة اذا استطاع ذلك (اعلن ذلك في مقابلة مع ملحق هآرتس ، ٢٢ـ٧ـ٧٧) ٠ وهذا احد الامور التي نصحه بها الخبير الاقتصادي الاميركي ميلتون فريدمان الذي استقدمته حكومة « ليكود » بهدف الاستشارة ، الامر الذي اثار استياءا شديدا بين اوساط المعراخ والهستدروت ، بسبب ارائه المتطرفة التي ستؤدي ،في حال تنفيذها الى تغيير الوضع الاقتصادي الاسرائيلي من جذوره ٠

فريدمان : الغاء الاعانات الحكومية وتقليص تدخل الحكومة في الاقتصاد

يعتبر البروفسور ميلتون فريدمان وهو يهودي اميركي ، اكبر المتطرفين بين الخبراء الاقتصاديين في العالم الذين يعارضون كليا كل تدخل حكومي في الاقتصاد ٠ ومهمات الحكومة ، حسب نظريته ، تبدأ وتنتهي في المجال الضيق ، الذي كان قائما في نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر : الامن ، القضايا الخارجية ، الشرطة والقضاء ٠ انه يعارض تماما عبارة «ميزانية تطوير»، وحسب رأيه على الحكومة الا تطور شيئا ، لان ما لا تستطيع الطاقات الاقتصادية تطويره ، فانه لا يستحق التطوير ٠ كذلك يدعي ان الحكومة يجب ان تمتنع عن الاهتمام بقضايا التعليم والصحة والبريد وما شابه ذلك ، لان هذه الامور جميعها يمكن ان تنفذ على نطاق خاص ، واسعارها يجب ان تحدد حسب طاقات الاقتصاد ٠

لقد دعي فريدمان من قبل حكومة « ليكود » للاستشارة وتقديم الحلول لمشاكل اسرائيل الاقتصادية ٠ وقد اجتمع حال قدومه الى المسؤولين الجدد في اسرائيل ، والى زعماء الهستدروت وممثلي الصناعيين ٠ وتركزت اقتراحاته على النحو التالي ، كما جاءت على لسانه في مقابلة مع صحيفة يديعوت احرونوت (٨ـ٧ـ٧٧) : اولا ، الغاء الرقابة على العملة الصعبة ، وابطال تحديد نسبة تبادل العملة (بحيث تعين نسبة التبادل حسب السوق بصورة حرة) : « اعتقد انكم انتم الاسرائيليون يجب ان تقاسوا من الم الضمير ، لانكم بواسطة اسلوب الرقابة على العملة الصعبة ، تحتفظون بما قيمته ٥٠٠ مليون دولار تخص مواطنين يهود تركوا اسرائيل ـ وفي نفس الوقت تغضبون على روسيا ، لانها لا تسمح للمهاجرين اليهود ، بنقل ممتلكاتهم معهم٠ كيف تبررون ذلك ؟ » (المصدر نفسه) ٠

ثانيا : تخفيض نفقات الحكومة ، من اجل توفير مصادر اكثر للاستعمالات الخاصة ولتشجيع الانعاش ، والعمال وتحقيق مستوى معيشة اعلى ٠

ثالثا ، الغاء القروض التي تمنحها الحكومة بدون ارتباط بقيمة العملة ٠ واذا كانت الحكومة مهتمة بمنح قروض لاصحاب المبادرة ، فعليها ان تخضع ذلك لارتباط ما بالعملة ٠ وينطبق هذا الامر على الرقابة على التسليف المصرفي ايضا، وعلى الاعانات الحكومية ٠ اما السلف الموجهة (تمنح مثلا للمشاريع في مناطق معينة مثل مناطق الحدود) فيجب استبدالها باعانات حكومية علنية ، وهكذا يتم اعفاء البنوك من المهمة ٠ بهذه الطريقة يمكن تشجيع القيام بنشاطات مالية دولية في اسرائيل كفرع صادرات ٠ بعد ذلك يأتي دور الغاء الرقابة على الاسعار

تدريجيا · اما بالنسبة للضرائب فيعتقد فريدمان ان عبء الضرائب يمكن تخفيضه بواسطة تقليص نفقات الحكومة لان « الضريبة الحقيقية المفروضة على السكان هي مجموع نفقات الحكومة » ·

اما اشهر اقوال فريدمان في اسرائيل ، التي تعبر عن عدم واقعية هذا الخبير ، هو انه ليس صحيحا ان اسرائيل تعاني من عجز بقيمة ٣ر٣ مليار دولار في ميزان مدفوعاتها ، حيث ان « دخل الجباية وسندات البوندس تمنح كبديل للامن والاعتزاز الذي توفره اسرائيل ليهود العالم · اما المساعدات الاميركية ، فتمنح كبديل لما توفره اسرائيل من نفوذ للولايات المتحدة في الشرق الاوسط · لذلك يوجد هنا مساعدة مقابل مصالح ، وهذا جزء من صادرات الخدمات · واذا اخذنا هذا الامر بالحسبان ، فان عجز اسرائيل قليل جدا » (هآرتس ، ٦ـ٧ـ٧٧) ·

وقد اعلن الوزير ارليخ فيما بعد (في مقابلة مع ملحق هآرتس ، ٢٢ـ٧ـ٧٧) ان حكومته تبحث بجدية مقترحات فريدمان هذه ، خاصة فيما يتعلق بالغاء الرقابة على العملة الصعبة ، اذ يمكن تحقيق ذلك خلال سنة ·

اجراءات اقتصادية جديدة

في هذه الاثناء يبدو ان هناك هوة عميقة بين تصريحات وزير المالية الجديد بشأن الاقتصاد الحر وتشجيع المبادرة الحرة من خلال الحد من تدخل الحكومة في النشاط الاقتصادي والغاء الرقابة على العملة الصعبة الخ · وبين امكانية تنفيذ هذه الامور نظرا للواقع الاقتصادي الصعب الذي اصطدم به وزير المالية بعد فترة التريث والجمود التي سادت نشاط وزارة المالية قبل الانتخابات للكنيست ·

وقد اعلن ارليخ بعد توليه منصبه « علي ان ابدأ باطفاء الحرائق ··· فالوضع الاقتصادي صعب جدا » · وبناء على ذلك اقرت حكومة « ليكود » سلسلة من الاجراءات الاقتصادية تتضمن تخفيضا كبيرا في نفقات الحكومة ، ورفع اسعار المواد الاستهلاكية الضرورية بواسطة الغاء الاعانات الحكومية التي تدفع مقابلها (للحفاظ على انخفاض اسعارها) ثم اجراء تخفيض اخر في قيمة الليرة بنسبة ٢٪ ، بحيث اصبحت قيمة الدولار ٨٩ر٩ ليرة اسرائيلية · وقد اعلن وزير المالية ارليخ في مؤتمر صحفي ان الاجراءات ستؤدي الى رفع معدل الاسعار بنسبة ٦ر٤٪ بحيث يبلغ معدل ارتفاع الاسعار العام خلال هذه السنة ٢٨٪ مقابل ٣٨٪ في سنة ١٩٧٦ ، لانه « بدون تخفيض في الاعانات الحكومية ورفع اسعار المنتوجات الاستهلاكية الاساسية ، وبدون تخفيض ليس له سابق في ميزانية الدولة ، فاننا سنعود الى تضخم مالي سريع وانخفاض كبير في فائض العملة الصعبة·ان هذه الاجراءات معناها انه ابتداء من اليوم ستدفع اسعار المواد الاساسية التي تدفع الحكومة اعانات مقابلها ، بمعدل ٢٥٪ على الاكثر ··· وقد رأينا ان هناك حاجة ملحة لاستخدام هذه السياسة ، لان العجز في ميزانية الدولة يزداد في كل يوم ، الامر الذي سيلزمنا في المستقبل برفع الاسعار بصورة اكبر · ولولا هذه الاجراءات لوصلت ميزانية الدولة لهذه السنة الى ١٣١ مليار ليرة بدلا من ٥ر١٢٢ مليار ليرة كما كان مخططا (اي زيادة بمقدار ٥ر٨ مليار ليرة) ، الامر الذي كان سيؤدي الى تدفيق ١٣ مليار ليرة جديدة الى السوق (اصدار اموال جديدة) ، بحيث تتحول الليرة الى ورقة عديمة القيمة » (هآرتس ، ١٨ـ٧ـ٧٧) ·

وتتلخص الاجراءات الجديدة التي اتخذت على النحو التالي :

١ ـ التخفيض في الميزانية : خفض مباشر في ميزانية الدفاع بقيمة ١ر٤ مليار ليرة ، وفي ميزانيات الوزارات الاخرى بمبلغ ٩٠٠ مليون ليرة ٠

٢ ـ الغلاء : ارتفاع اسعار المواد الغذائية بنحو ٢٥٪ (ما عدا السكر) ، والبنزين والمواصلات العامة بـ ٢٥٪ ، المياه ـ اكثر من ٣٠٪ ، الكهرباء ٢٥٪ ، رسوم البريد والهاتف ـ من ٢٠ ـ ٣٠٪ ٠

٣ ـ منح تعويض فوري للطبقات الفقيرة بنسبة ٥ ـ ٦٪ ٠

٤ ـ استقرار التخفيض الزاحف بحيث يتم تخفيض الليرة بنسبة ٢٪ ، ليصبح الدولار ٩ر٨٩ ليرة اسرائيلية ٠

٥ ـ تجميد ملاك الموظفين في الوزارات الحكومية باستثناء وزارتي الصحة والتعليم ودوائر جباية الضرائب في وزارة المالية ٠

٦ ـ رفع نسبة الفائدة على قروض التطوير بـ ٢ ـ ٣٪ ٠ والامر يتعلق هنا بالقروض التي تضمها لاهداف التطوير الصناعي والزراعي والسياحي (يديعوت احرونوت ، ١٨ـ٧ـ٧٧) ٠

وافاد المراسلون الاقتصاديون في اسرائيل ان هناك اجراءات جديدة على هذا القرار متوقعة في المستقبل القريب ، تتمثل في خفض اخر للاعانات الحكومية، وزيادة اسعار المواصلات العامة والكهرباء ورفع قيمة ضريبة القيمة الاضافية من ٨ الى ١٠٪ على الاقل ، مع الغاء ضريبة الشراء ٠

ورغم ان هذه الاجراءات اثارت معارضة شديدة داخل اروقة الهستدروت وبين صفوف المعارضة ، رافقتها اضرابات محدودة للعمال ، الا ان هذه المعارضة بقيت محدودة ، ولم تتجاوز النطاق الذي كانت تصل اليه ايام حكم المعراخ ، والسبب في ذلك يعود الى ادراك الجميع، سواء داخل حزب العمل او الهستدروت، لخطورة الوضع الاقتصادي ، وان هذه الاجراءات كانت ضرورية في وضع كهذا، ولا تعبر عن السياسة المتكاملة التي تنوي الحكومة الحالية انتاجها في المستقبل، كما عبر عن ذلك الوزير ارليخ ٠

واذا كانت معارضة الهستدروت قد جاءت محدودة هذه المرة ، ولم تتعد بيان اللجنة التنفيذية الاجتماعي ضد خطوات الحكومة الرامية الى رفع اسعار المواد الاستهلاكية الضرورية ، فان المستقبل ينذر بتأزم في العلاقات بين الطرفين ، خاصة بعد فوز المعراخ في انتخابات الهستدروت ورغبته في تحويلها الى قلعة حصينة ضد خطط « ليكود » الاقتصادية كما عبر عنها وزير المالية ارليخ ٠

« حكومة » الهستدروت مقابل حكومة « الليكود »

يعتمد تطور الوضع الاقتصادي الاسرائيلي خلال السنين القريبة المقبلة ، الى حد كبير ، على العلاقة القائمة بين الحكومة والهستدروت وحالات تطورها ٠ فقد ادت الانتخابات لكل من الكنيست والهستدروت ، الى انقسام مركزي القوى بعدما كانا مجتمعين في يد « المعراخ » ٠ فالحكومة في يد « الليكود » اي السلطة الرسمية والهستدروت في يد « المعراخ » ، اي المعارضة الجديدة ٠ واذا كان زعماء « ليكود » قد راهنوا على فوزهم في انتخابات الهستدروت ، بعدما فازوا في انتخابات الكنيست ، كشرط ضروري

للسيطرة على الوضع الداخلي والخارجي سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ، فقد جاءت نتائج انتخابات الهستدروت كضربة لخططهم هذه ، خاصة في المجال الاقتصادي ، نظرا لما تتمتع به الهستدروت من نفوذ قوي في هذا المجال · وقد بادر زعماء « ليكود » فور ظهور نتائج الانتخابات الى الاعلان ، بأن الوضع الداخلي في اسرائيل سيسوء جدا اذا استغل « المعراخ » منبر الهستدروت للطعن في الحكومة وسياستها ، خاصة بعد تصريحات ارليخ حول امكانية حدوث بطالة على نطاق واسع ، وحول الغاء الاعانات الحكومية للمواد الغذائية الاساسية وما شابه · وقد اعلن شمعون بيريس زعيم المعارضة ، عقب ظهور نتائج انتخابات الهستدروت ان المعراخ « سيحارب حكومة « الليكود » من على منبر الكنيست، بينما ستناضل الهستدروت في المجالات المخصصة لها · ولن نوافق على المس بحقوق العمال والمأجورين وسنعارض كل محاولة للقضاء على مكاسبهم · ان الهستدروت تعارض بحزم خطط « ليكود » الرامية الى تركيز اقتصاد اسرائيل على البطالة ، وستناضل ضد التضخم المالي ومحاولات الغاء الاعانات الحكومة على المواد الاستهلاكية الاساسية» (ملحق معاريف ، ٢٤ـ٦ـ٧٧) ·

وكانت انتخابات الهستدروت التي جرت يوم ٢١ـ٦ـ١٩٧٧ قد اسفرت عن فوز « المعراخ » بنسبة ٥ر٥٥٪ من الاصوات تقريبا ، بينما فاز « ليكود » بنسبة ٢ر٢٨٪ ولم تحصل الحركة الديمقراطية للتغيير (داش) سوى على ٨ر٠٢٪ من الاصوات (انظر نتائج الانتخابات الرسمية للهستدروت ـ دافار ، ٧ـ٧ـ٧٧) · وتمكن هذه النتائج كتلة المعراخ في الهستدروت من السيطرة على المكتب التنفيذي الذي يعتبر حكومة الهستدروت بصفته اعلى هيئة تنفيذية داخلها ، وقد اعلن ميشل انه لن يسمح بتمثيل « ليكود » في هذه الهيئة بسبب دعوته الى فصل النقابات المهنية عن قطاع الهستدروت الاقتصادي او ما يسمى بهيئة العاملين « حفرات عوفديم » (معاريف ، ٢٤ـ٦ـ٧٧) · وهذه هي احدى الامور الهامة التي ادت الى فشل « ليكود » في انتخابات الهستدروت ، فقد ابرز دعاته قبل الانتخابات التناقض القائم بين المهمتين اي كون الهستدروت نقابة مهنية وفي نفس الوقت تمثل قطاعا اقتصاديا ضخما · وعلى هذا الاساس اعلن مرشح « ليكود » لمنصب سكرتير عام الهستدروت ، عضو الكنيست دافيد ليفي ، قبل الانتخابات ، عن نيته ، في حال فوزه ، بيع مصانع الهستدروت . خاصة ان سكرتير الهستدروت يصبح في حال فوزه ، رئيس « هيئة العاملين » التي بيدها صلاحية تقرير مصير ومستقبل المشاريع التي تخصها · كذلك فقد اثرت تصريحات وزير المالية ارليخ قبل الانتخابات للهستدروت ، حول البطالة المتوقعة بين صفوف العمال في المستقبل القريب، وحول تخفيض الاعانات الحكومية ورفع ضريبة القيمة الاضافية ، ثم دعوة المستشار ميلتون فريدمان ـ جميع هذه الامور اثرت على فشل « ليكود » في الانتخابات للهستدروت خاصة وان زعماء « المعراخ » احسنوا استغلالها في دعايتهم الانتخابية ، في لقاءاتهم مع العمال ·

الهستدروت ـ اكبر هيئة نقابية واقتصادية في اسرائيل ·

وقبل التطرق الى نوع العلاقة ومواضيع الخلاف التي يمكن ان تنشأ بين الحكومة والهستدروت في المستقبل ، لا بد

اولا من التعرف على مؤسسات الهستدروت ومهماتها · فهي اكبر تنظيم عمالي في اسرائيل من ناحية عدد اعضائه وقوة نفوذه الاجتماعية والاقتصادية · تأسست في سنة ١٩٢٠ في حيفا ، وورد في مبادئها الاساسية « ان الهستدروت توحد وتنظم جميع العمال بدون فرق في الدين او العرق او القومية او الرأي ، من الذين يعيشون بجهدهم الخاص بدون استغلال غيرهم ··· وتخدم الهستدروت اعضاءها بواسطة تطوير الاقتصاد وتشجيع المبادرة التعاونية على انواعها ، وتحسين ظروف عملهم ، والاعتناء بالثقافة وباللغة العبرية ، واستيعاب الهجرة وتوفير ضمان اجتماعي وايجاد علاقات صداقة مع حركة العمال الدولية » (نقلا عن اريه افنيري ـ يديعوت احرونوت ، ١٩ـ٦ـ٧٧) ·

ويبلغ عدد اعضاء الهستدروت اليوم نحو ١ر٣٦٧ر٠٠٠ عامل وعاملة ، وسوية مع ابناء عائلاتهم نحو ٢ر٣٩٠ر٠٠٠ نسمة· ولكن خصوصية الهستدروت لا تتمثل في عدد اعضائها فقط ، وانما لها مهام جوهرية في الاساس ، تشمل التنظيم المهني وتقديم الخدمات لاعضائها خاصة الخدمات الطبية، ثم تطوير قطاع اقتصادي خاص ، بالاضافة الى الاهتمام بالتعليم ومتطلبات اعضائها ·

وانطلاقا من هذه المهام ، فللهستدروت ثلاثة فروع اساسية :

١ ـ التنظيم المهني الذي يضم اليوم نحو ٩٠٪ من سائر المأجورين في الاقتصاد في اطار اربعين نقابة اقليمية · وقد شوه مظهر الهستدروت خلال السنوات الاخيرة ، وتضعضعت سيطرتها في هذا المجال بسبب تأزم علاقات العمل وكثرة الاضرابات ، الامرالذي ادى الى تجاهل متزايد لسياسة الهستدروت من جانب تنظيمات العمال القوية ، واستخفاف بصلاحياتها ، حيث ادى ايضا الى هبوط قوة « المعراخ » داخل الهستدروت ، رغم فوزه في الانتخابات ·

٢ ـ مؤسسة الخدمات الطبية او ما يسمى « بصندوق المرض » (كوبات حوليم) ، وهي اعلى مؤسسة طبية في اسرائيل سواء من ناحية حجم عملها او من ناحية مستواها · وتبلغ ميزانية « كوبات حوليم » هذه السنة نحو ٣ر٧٥ مليار ليرة ، حيث تمنح خدمات طبية لـ ٢ر٧ مليون شخص ، وتملك مئات العيادات و١٦ مستشفى تحوي ٥٣٠٠ سرير · وتعتبر « كوبات حوليم » من اكبر مؤسسات العاملين في اسرائيل حيث تستخدم ٢٢ الف عامل بينهم ٤٥٠٠ طبيب· وهناك ارتباط الزامي بين كل مضمون في « كوبات حوليم » وبين العضوية في الهستدروت ، اي ان كل مضمون في هذه المؤسسة هو عضو في الهستدروت ·

٣ ـ هيئة العاملين ـ وهي الذراع الاقتصادي القوي في الهستدروت ، وتعتبر اكبر جهاز اقتصادي في اسرائيل ، حيث توفر عملا لنحو ٢٠٪ من سائر الطاقة البشرية العاملة ـ نحو ٢٥٠ الف شخص، وتنتج نحو ٧٠٪ من الانتاج الزراعي · و٢٦٪ من الانتاج الصناعي ، وتسيطر على نحو ٩٩٪ من المواصلات العامة · واهم مؤسسات هيئة العاملين ، هي بنك العمال (بنك هبوعليم) الذي يعتبر من اكبر ثلاثة بنوك في اسرائيل ، فهو يدير ٢٧٤ فرعا ، وفروعا اخرى في الولايات المتحدة وبريطانيا وسويسرا وكندا · وقد تجاوزت ميزانيته العامة لسنة ١٩٧٦ الـ ٦٣ مليار ليرة · ثانيا ، مجمع «كور» الذي يضم ٧٦ مصنعا في مختلف الفروع، ويتوقع ان يصل حجم مبيعاته هذه السنة

الى نحو ٩ مليار ليرة ، مخصص منها للتصدير نحو ٢٧٠ مليون دولار · ويعمل في مصانعه نحو ٢٤ الف عامل · ثالثا ، « مساكن العاملين » (شيكون عوفريم) وهي اكبر شركة بناء غير حكومية في اسرائيل · وقد انشأت منذ سنة ١٩٦٨ فقط ٤٠ الف مسكن في ٦٠ مستوطنة يسكنها اكثر من ٢٠٠ الف شخص · رابعا ، شركة التأمين « هاسنيه » وتسيطر على نحو ٢٠٪ من قطاع التأمين في اسرائيل · ويتوقع ان تبلغ اقساط التأمين التي ستدفع لها هذه السنة ٦٥٠ مليون ليرة · خامسا ، تعاونيات « همشبير همركزي » ، وهي الجمعية التي تزود « الاستيطان العامل » والجمعيات الاستهلاكية · سادسا ، شركة البناء « سوليل بونيه » بفروعها المختلفة حيث ستصل ميزانية اعمالها هذه السنة الى ٤ر٥ مليار ليرة داخل اسرائيل و٢١٤ مليون دولار في الخارج · عدد العاملين بها في الداخل هو ٢١٥٠٠ عامل ، وفي الخارج ٥٦٠ اسرائيلي و٢٠ الف عامل محلي · سابعا ، شركة « ثنوفه » للتسويق الزراعي ، التي ستصل عائداتها هذه السنة الى ٧ مليار ليرة · وتنتج الشركة نحو ٩٠٪ من منتوجات الالبان في اسرائيل وتستخدم نحو ٤٠٠٠ عامل · ثامنا ، دار النشر « عام عوفيد » التي وصلت مبيعاتها في السنة الماضية الى ٥ر١٥ مليون ليرة، واصدرت ٢١٥ كتابا ·

بالاضافة الى هذه المؤسسات الاقتصادية الضخمة ، فان الهستدروت يملك اسهما كثيرة في شركة المياه « مكوروت » وشركة الطيران « ال ـ عال » وشركة الملاحة « تسيم » ، وشركة الطيران « اركيع » ، وشركة « ديلك » للوقود · وهناك ايضا فروع اقتصادية اخرى تنتمي الى « هيئة العاملين » بيد انه لا تعتبر ملكا لها ·

وينتمي الى هذه الفئة الكيبوتسات والمستوطنات التعاونية ، ومستوطنات العمال والشركات التعاونية العاملة في حقل الانتاج ، وتزويد الخدمات ، ونقل المسافرين والبضائع مثل « ايجد » و«دان» (المعلومات نقلا عن يوسف شفيط ـ ملحق يديعوت احرونوت ، ١٧ـ٦ـ٧٧)·

ان هذه المؤسسات الضخمة تجعل من الهستدروت حصنا قويا بالنسبة «للمعراخ» يستطيع من خلالها التأثير كثيرا على الوضع الداخلي والتصدي لسياسة الحكومة في المجالين الاقتصادي والاجتماعي خاصة وان هناك ثلاث قوى رئيسية تقف وراءه : « الاستيطان العامل » ، الذي تزيد قوته النسبية بين اعضاء الهستدروت اربعة اضعاف عن قوته بين سائر الناخبين للكنيست · ثم موظفو وعاملو مؤسسات الهستدروت والقطاع الاقتصادي الهستدروتي ، حيث ان مصدر معيشتهم متوقف على استمرار سيطرة « المعراخ » على الهستدروت ، واخيرا ، نحو ٣٠٠ الف متقاعد معظمهم من السكان القدامى الذين ينتمون الى « المعراخ » وهم اعضاء في الهستدروت ·

مصالح متناقضة وبوادر خلافات قوية

يجمع المعلقون الاسرائيليون ان العلاقة بين الهستدروت والحكومة ستختلف اختلافا كليا عن تلك التي كانت قائمة مع حكومة المعراخ · فرغم الخلافات التي كانت تنبت في الماضي ، خاصة في كل مرة بعد اتخاذ اجراءات اقتصادية جديدة ،فان العلاقة بين قيادة الهستدروت وبين الحكومة ، كانت بين اشخاص ينتمون الى حركة واحدة ، ويمثلون مصالح متشابهة تقريبا · اما الان فان زعماء الهستدروت غير مقيدين بأي نوع من الالتزام تجا

الحكم الجديد ، فسكرتير الهستدروت ، يروحام ميشل كرجل المعراخ ، يأسف بالطبع على انهيار حركته في انتخابات الكنيست ، ولكن كرئيس كتلة « المعراخ » في الهستدروت من الجائز جدا انه ينظر الى الامر بشيء من الترحيب : ففي نهاية الامر فان السلطة التي يواجهها ليست من حزبه ، وانما جهة غريبة يمكن توجيه الضربات لها وبقوة · ولن يضطر الى المبالغة حول التأثير الذي يمكن ان تحدثه ضرباته على الامور التي يتحمل مسؤوليتها رفاقه في الحركة داخل الحكومة ، وعلى العلاقات داخل الحزب ثم على مركزه الشخصي · ان سقوط المعراخ في انتخابات الكنيست قد اكسبه حرية العمل في الهستدروت ·

« ··· كذلك فان حكومة اسرائيل اصبحت اكثر حرية الان في علاقاتها مع الهستدروت ··· فحكومة الليكود لن تستطيع بأي حال من الاحوال تجاهل الهستدروت · ولكن يمكن الافتراض انها ستشعر ـ في السنوات الاولى من حكمها على الاقل ـ بالتزام أقل تجاه زعماء الهستدروت ومؤسساتها · ستحاول تجنب مواجهة مع الهستدروت ـ ولكن من الممكن الافتراض انها لن تكون مستعدة لان تدفع مقابل منع المواجهة ذلك الثمن الغالي الذي كان يدفعه وزير المالية السابق رابينوفيتش ، والمتمثل في تشويش سياسته الاقتصادية » (ابراهام طال ـ هآرتس ، ٣ـ٧ـ٧٧) ·

على اي حال ، فقد اعلن ميشل ان المواجهة مع الهستدروت لن تحدث لاي سبب · « فالهستدروت هي عامة ، وتمثل جميع العمال · ولن نتردد في الوصول الى اتفاق مع الحكومة ولكننا سنناضل من اجل الامور التي لا نوافق عليها ··· اننا نعمل الان على اعداد خطة للاجور والاسعار والضرائب والارباح » · (في مقابلة مع ملحق هآرتس ، ١ـ٧ـ٧٧) · واعلن ميشل كذلك ايضا انه يعارض تجميد الاسعار والضرائب والاجور او الارباح لسنتين ، كما جاء على لسان بيغن عشية الانتخابات · « فالصادرات عندنا متعلقة بالواردات · واسعار المواد الخام تتغير بين الحين والاخر · وهناك تعلق بجهات دولية · ان رئيس الحكومة يعتقد انه بالامكان وضع خطة تجميد لسنتين · اما انا فأرى ان هذه خطة غير عملية » (المصدر نفسه)·

بالاضافة الى ذلك هناك ثلاثة مشاريع قوانين ستطرح على الكنيست خلال الفترة القريبة المقبلة ، لها علاقة مباشرة بما يحدث داخل الهستدروت وبمستقبلها · وقد ذكرت هذه القوانين في الخطاب الاول لمناحيم بيغن كرئيس للحكومة : قانون الضمان الصحي ، قانون التقاعد الرسمي، وقانون التحكيم الالزامي في فروع الخدمات الرئيسية · فقانون الضمان الصحي الرسمي سيحول الى التأمين القومي او الى مؤسسة جباية اخرى ، صلاحية جباية اقساط المضمونين في صناديق المرض · واليوم يتم هذا العمل بواسطة الهستدروت بواسطة مكتب الضريبة ، حيث ينقل مئات الملايين من الليرات من الضريبة التي يدفعها كل عضو في كوبات حوليم الى الهستدروت · و «تعتبر هذه الاموال الوقود لنشاطات الهستدروت · فهو المصدر المالي الوحيد لدفع رواتب الاف موظفي الهستدروت · وفي حال غياب هذا المصدر ستضطر الهستدروت الى القيام بأقالات جماعية لموظفي مجالس العمال والنقابات المهنية ومقر اللجنة التنفيذية » (امنون برزيلاي

خارطة رقم «١»

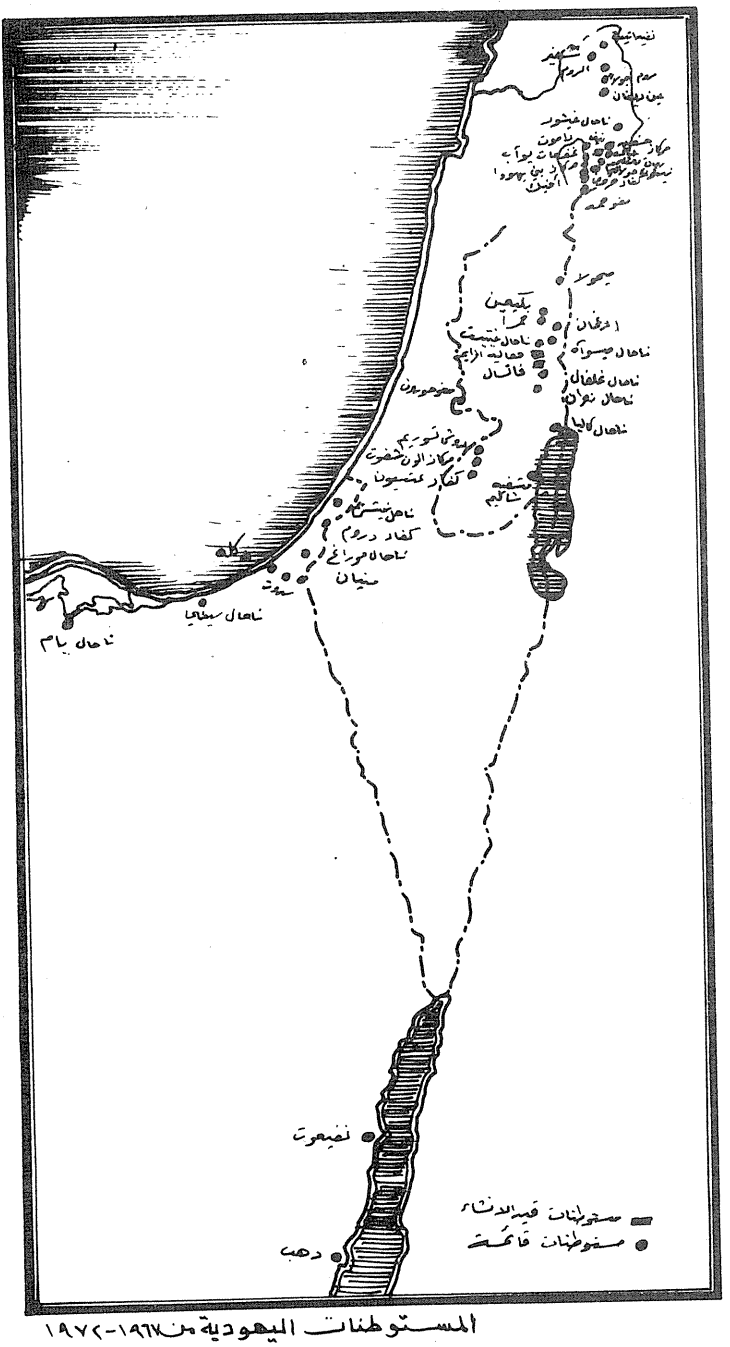

المستوطنات اليهودية من ١٩٦٧-١٩٧٢

وكانت الحكومة المعراخية السابقة ، قد شارفت بالفعل على تنفيذ هذه الخطة بكاملها عشية سقوطها ، كما اتضح من تقريرَ الوزير غاليلي نفسه ، رئيس اللجنة الوزارية لشؤون الاستيطان ، السابق الذي قدمه في الجلسة الحكومية الاخيرة ، والذي جاء فيه بأن الحكومة قد « نفذت اقامة ٧٦ مستوطنة خارج الخط الاخضر منذ حرب الايام الستة عام ١٩٦٧ » د أ ٠ أ ، دافار ١٩-٦-١٩٧٧) ٠

وهذا ما تبينه أول خريطة رسمية للمستعمرات الاسرائيلية ، التي كانت حكومة رابين قد اعدتها في مطلع عام ١٩٧٧ ٠

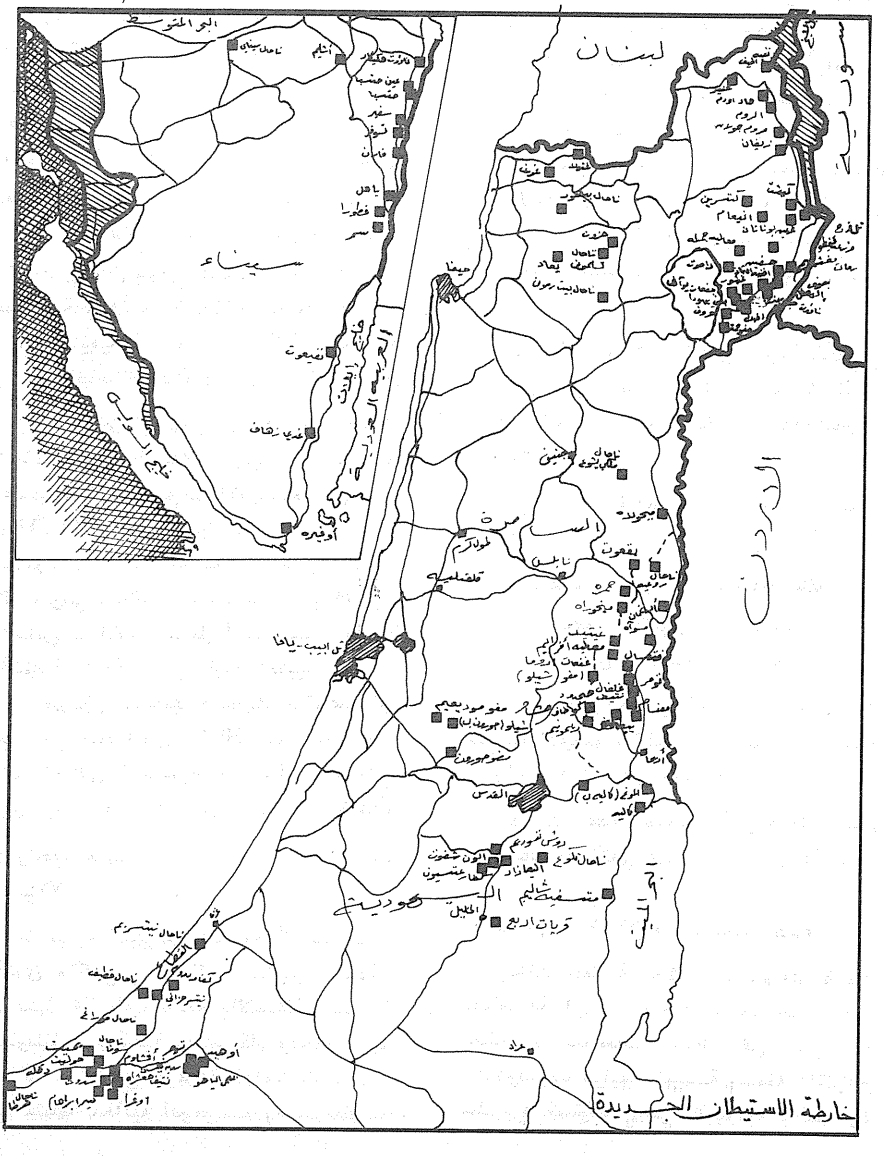

ولهذا فان وزير الزراعة ، ورئيس اللجنة الوزارية لشؤون الاستيطان في الحكومة الليكودية الجديدة ، سارع اثر توليه رئاسة اللجنة الى التصريح بأن « حكومة الليكود ، تستعد لتنفيذ مشروع الاستيطان ، الذي اعدته لجنة الاستيطان السابقة بأكمله » (معاريف ٢٩-٧-٧٧) تأكيدا منه على ما جاء في خطوط حكومته الاساسية ، ولكي يعطي نفسه الفرصة الكافية لبلورة « المشروع الاستيطاني المديني والقروي خارج الخط الاخضر » الذي كان قد تقدم به حزب الليكود ضمن حملته الانتخابية للكنيست التاسع ووزع بـ « ١٠ الاف نسخة » (معاريف ٣-٧-٧٧) ، والذي يبحث في اقامة « ٥٩ مستوطنة زراعية جديدة ، تشتمل على مراكز اقليمية ، وعشرين مركزا مدينيا في كل انحاء البلاد » (المصدر نفسه) ٠

وهذا المشروع يدور في الاساس حول الاستيطان في الضفة الغربية ، وتقام بموجبه خلال السنوات الاربع المقبلة ١٩٧٧-١٩٨١ « ٦ مدن جديدة في السامرة ، في منطقة مسحة شرقي بتاح تكفا ، وفي منطقة بيت سيره ، على المحور الشمالي ، القدس - تل ابيب ، وفي المنطقة الواقعة شرقي قرية الطيبة على شارع طولكرم - قلقيلية بحيث تستوعب كل مدينة من هذه المدن ٣٠ الف نسمة ، بالاضافة الى ٣ مستوطنات جماعية شمالي شرق بيت نحميا في الون موريه ، تعداد كل واحدة منها ٣ الاف نسمة » (معاريف ٣-٧-٧٧) ٠

اما في « اليهودية فستقام ٣ مدن في جفعون وتكوع ، ومعاليه ادوميم ، تعداد كل منها ١٥ ألف نسمة بالاضافة الى ٣ مستوطنات جماعية تعداد كل واحدة منها ٣ الاف نسمة في عوفرا ، والون شيفوت ، وفي منطقة معاليه ادوميم ومستوطنة اضافية في قريات اربع تعدادها ٦ الاف نسمة » (المصدر نفسه) ٠

كما وينص هذا المشروع الذي اعده طاقم من الاختصاصيين في حزب الليكود برئاسة عضو الكنيست يجال كوهين ومشاركة مدير قسم الاستيطان في المنظمة الصهيونية يعقوب ايجلس ، على « انشاء محور مركزي في منطقة شيلو ، حيث يسكن ١٠ الاف نسمة ، و ، ٣ مراكز اقليمية في معاليه افرايم ، بالقرب من نعران وبين مستوطنة مسواه وارغمان ، والعمل على زيادة عدد المستوطنات الزراعية الى ٢٥ مستوطنة في غور الاردن ، بالاضافة الى زيادة وحدات المرافق الاقتصادية في كل مستوطنة » (المصدر نفسه) ٠

اما بالنسبة لشق الطرق فان المشروع يحتوي على خطة « لاتمام شبكة مواصلات ، تصل هذه المدن الجديدة بمركز الدولة بواسطة ٤ محاور طرق ٠

١ - محور القدس - اللطرون - اللد - تل ابيب ٠

٢ - محور غور الاردن بتاح تكفا ٠

٣ - محور اشدود - بيت شيمش - جوش عتسيون - ومتسفيه شاليم ٠

٤ - محور جنوبي اخر يصل بين معاليه ادوميم ، تكوع ، قريات اربع وعراء » (المصدر نفسه) ٠

وقد قدم هذا المشروع الى « المجمع الزراعي الائتلافي في وزارة الزراعة حيث بحث في ٣-٧-٧٧ » (المصدر نفسه)٠

وكانت جماعة غوش ايمونيم قد تقدمت بالاضافة الى مشروع الليكود هذا ، بمشروع استيطاني عاجل الى حكومة الليكود بعد توليها السلطة اسمته «اقتراح مشروع استيطاني في اليهودية والسامرة

في صيف ١٩٧٧ في اماكن مؤقتة » (معاريف ١-٧-٧٧ ، ٢٧-٧-٧٧) ٠

ويتألف هذا المشروع من مقدمة و ٨ فصول ، وملحق ، وخارطة للضفة الغربية ، مزروعة بـ ١٦ مكان استيطان ، تمتد من اريحا وحتى بيتاح تكفا ، ومن الخليل حتى جنين » (المصدر نفسه) ٠

وقد تعهد مناحيم بيغن الذي تسلم المشروع من سكرتارية غوش ايمونيم ٠ بتنفيذ هذا المشروع بنفسه قائلا « انني على استعداد لاخذ هذا الملف على عاتقي » (المصدر نفسه) ٠ كما وقدم هذا المشروع الى « عزار وايزمن وارئيل شارون ووافقا عليه » (المصدر نفسه) ٠

خارطة رقم "٣"

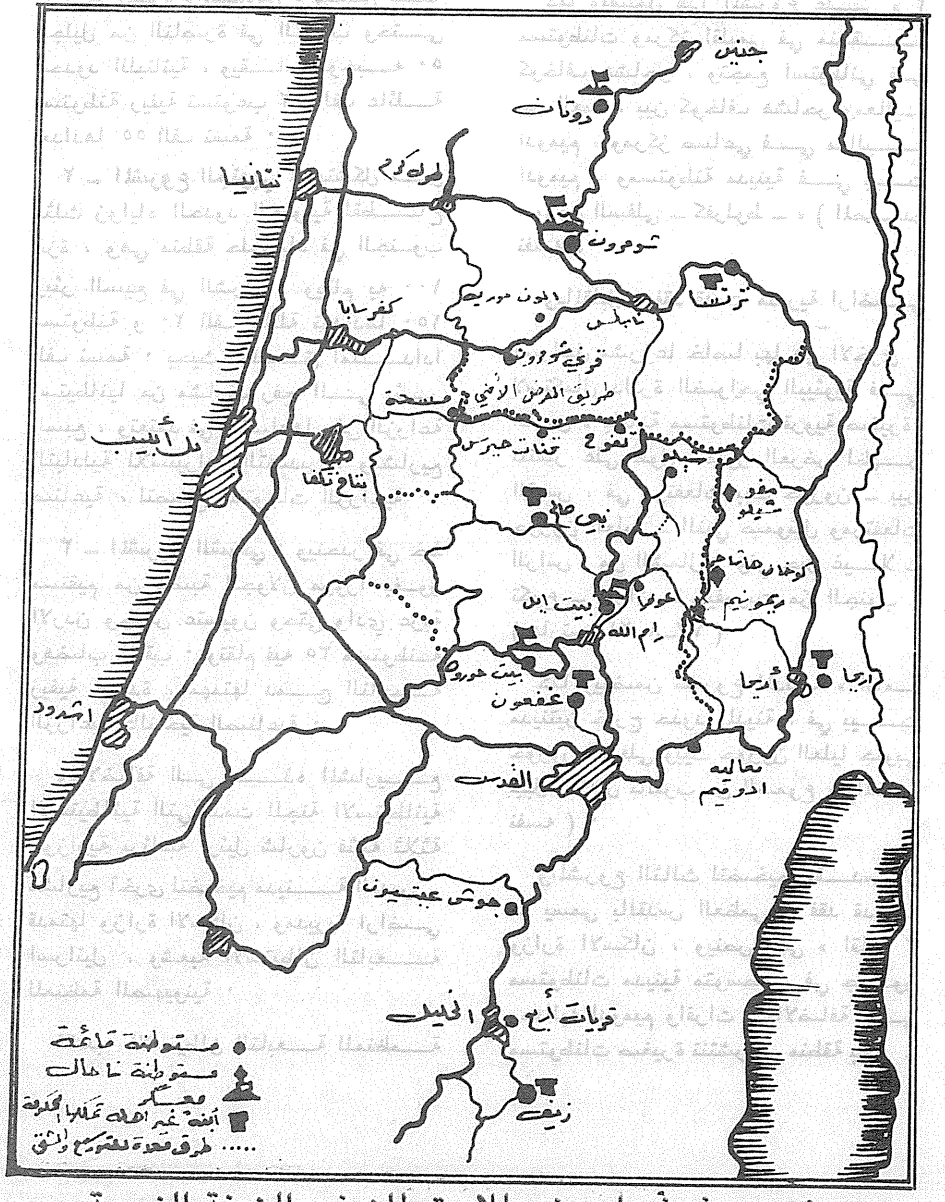

مشروع غوش ايمونيم للاستيطان في الضفة الغربية

أما الوكالة اليهودية ، فقد اعدت هي الاخرى خطة استيطان مفصلة قدمتها الى حكومة الليكود ، اعدها رئيس قسم الاستيطان في الوكالة اليهودية البروفيسور رعنان فايس وطاقم مساعديه ٠

وتنقسم هذه الخطة وفقا لما اوردته صحيفة يديعوت احرونوت يوم ٢-٩-٧٧ ، الى ثلاثة مشاريع :

١ - **المشروع الشمالي** : ويغطي منطقة الجليل من الناصرة في الجنوب وحتى الحدود اللبنانية ، ويقام بموجبه ٥٠ مستوطنة ريفية تستوعب ١٢ الف عائلة تعدادها ٥٥ ألف نسمة ٠

٢ - **المشروع الجنوبي** : ويتشكل من مثلث زواياه الحدود الجنوبية لقطاع غزة ، وهي منطقة حلوتساه في الجنوب وبئر السبع في الشرق ٠ ويقام به ١٠٠ مستوطنة و ٢٠ ألف عائلة تعدادها ١٥٠ ألف نسمة ٠ بحيث تخلق امتدادا استيطانيا من مشارف رفح الى بئر السبع ، وتعتمد في اقتصادها على الزراعة التبادلية للاستيراد والتصدير ، ومشاريع صناعية ، لتصنيع المنتوجات الزراعية ٠

٣ - **المشروع الشرقي** : وينحدر في خط مستقيم من هضبة الجولان مرورا بغور الاردن وجوش عتسيون وحتى وادي عربة وهضاب النقب ٠ وتقام فيه ٣٥ مستوطنة ريفية جديدة ، مهمتها دمج الناحية الزراعية بالناحية الصناعية ٠

وبالاضافة الى هذه المشاريع الاستيطانية التي قدمت للجنة الاستيطانية الوزارية برئاسة ارئيل شارون فثمة ثلاثة مشاريع أخرى لتضخيم مدينة القدس ، قدمتها وزارة الاسكان ، ومديرية اراضي اسرائيل ، وشعبة الاستيطان التابعة للمنظمة الصهيونية ٠

فشعبة الاستيطان التابعة للمنظمة الصهيونية ، تقترح في مشروعها اقامة « اربع مستوطنات في جفعوت ، بالاضافة الى توسيع الاستيطان القائم في غوش عتسيون بواسطة مستوطنات اضافية شرقي المستوطنات القائمة خلف طريق الخليل - القدس ، ومستوطنة اخرى وهي، حيفوريت ، على طريق غوش عتسيون وعيمق هألاه » (هآرتس ٢١-٨-٧٧) ٠

كما ويشتمل هذا المشروع على « ٣ مستوطنات ومركز اقليمي في منطقة كوخاف هشاحر ، وتجمع استيطاني في بير العبد ، بين كوخاف هشاحر ومعاليه ادوميم ، ومركز صناعي في معاليه ادوميم ، ومستوطنة مدينية في بيت حورون السفلى - كفرلوط - » (المصدر نفسه » ٠

وبالمقابل ، فقد قدمت مديرية اراضي اسرائيل مشروعا خاصا بها هي الاخرى ، لاستكمال دائرة الضواحي البيئوية في القدس « باقامة مستوطنات قروية صغيرة، تنتشر على طول محاور العرض لظهر القدس ، في مرتفعات بيت حورون - بين حورون العليا - النبي صموئيل ومرتفعات الراس ، من الشمال ٠ وفي جبل غيلا - تكوع - افران - حيفوريت من الجنوب ، (هآرتس ٢١-٨-٧٧) ٠

كما ويتضمن مشروع المديرية « اقامة مدينتين خارج حدود المدينة ، في بيت حورون السفلى وبيت حورون العليا جنوبي جبل الخليل بالقرب من السموع » (المصدر نفسه) ٠

والمشروع الثالث لتضخيم القدس أو ما يسمى بالقدس العظمى ، فقد قدمته وزارة الاسكان ، وينص على « اقامة ٣ مستوطنات مدينية متوسطة ، في جفعون ومعاليه ادوميم وافرات ، بالاضافة الى مستوطنات صغيرة تنتشر في منطقة بيت -

عور التحتا ، وباعل حتسور ، وجبل طويل ، وكوخاف هشاحر ، وهاد ـ غيلا وتكوع وحفوريت » (المصدر نفسه) ٠

وهكذا ، فما أن عين وزير الزراعة ارئيل شارون ، رئيسا للجنة الوزارية لشؤون الاستيطان الجديدة ، واصدار الحكومة قرارها بتخويل اللجنة الوزارية ، الصلاحية في ان تقرر اقامة المستوطنات ، دون الرجوع الى الحكومة في تاريخ ٢٧ـ٧ـ٧٧ ، حتى سارع ارئيل شارون الى تعيين مجموعة عمل برئاسة المدير العام للجنة ابراهام بن مئير « لاعداد هذه المشاريع الاستيطانية المختلفة ، التي كانت قد قدمت للحكومة وللمنظمة الصهيونية » (هآرتس ١ـ٨ـ٧٧) ، وقيامه باجراء مشاورات مع موظفين كبار في الوكالة اليهودية « لاقامة ١٠ مدن في اماكن عدة من الضفة الغربية » (المصدر نفسه) ٠ ومن ثم الموافقة على « البدء باقامة ١٥ مستوطنة في المناطق المحتلة هذا العام ١٩٧٧ ، كانت اللجنة الوزارية قد اقرتها في السنط الماضية » (المصدر نفسه) ، وذلك ضمن مشروع غاليلي ٠

ولكي تؤكد حكومة ليكود انها ستنتهج سياسة جديدة بالنسبة لاستيطان المناطق المحتلة ، وانها ستطبق ما وعد به رئيس حكومتها في احتفال ادخال التوراة في كفر قدوم بعد نجاحه مباشرة ، في انه « ستكون منذ الان الونات ـ موريه كثيرة، ولن تكون ثمة حاجة الى قدوم » (معاريف ١ـ٧ـ٧٧) قامت في ٢ـ٨ـ٧٧ بالاعتراف بشرعية المستوطنات الثلاث التي أقامتها جماعة غوش ايمونيم الاستيطانية ، دون موافقة الحكومة في حينه ، في الون موريه ومعاليه ادوميم وعوفرا ٠

ثم ما لبثت اللجنة الوزارية لشؤون الاستيطان ان وافقت في تاريخ ١٧ـ٧ـ٧٧ على « اقامة ٣ مستوطنات جديدة في الضفة الغربية ، واحدة في منطقة يطير جنوب الخليل واخرى في منطقة تسور ناتان ، وثالثة في منطقة مشارف حورون » ر أ ٠ أ ١٧ـ ٨ـ٧٧ معاريف ١٨ـ٨ـ٧٧) ٠

خارطة رقم ٤

المستوطنات الثلاث التي اقرتها حكومة الليكود ٠

ورغم تسمية هذين القرارين بانهما مجرد قرارين اجرائيين ، وادعاء الحكومة بان القرار الاخير لم يكن سوى « تصديق مكرر لقرار اللجنة السابقة من يوم ١٩-٤-٧٧ » (هآرتس ٢١-٨-٧٧) الا انهما يشكلان قرارين سياسيين من الدرجة الاولى ، بل ويشكلان الطلقة الاولى التسخين بندقية الاستيطان الليكودية ، وتمهيدا لاطلاق « مشروع شارون » الاستيطاني في ٣١-٨-٧٧ في خطاب علني في مستوطنة مروم هجولان اثناء الاحتفال بمناسبة ١٠ سنوات على الاستيطان في هضبة الجولان · والذي يشكل عودة الى المشروع الاستيطاني القديم لحزب الليكود ولكن بشكل معدل بحيث يتناسب وسياسة الحكومة القاضية بضم الضفة الغربية واعتبارها جزءالا يتجزأ من اسرائيل ·

وهذا المشروع يتركز حول اقامة مراكز مدينية كبيرة في الضفة الغربية ، محاطة بشبكة مستوطنات قروية موزعة ، طبقا لما اوردته صحيفة معاريف من يوم ١-٩-٧٧ ، على النحو التالي :

١ - في طريق القدس تقام ٣ مراكز مدينية في جفعون ومعاليه ادوميم وافرات الواقعة بين الخليل وبيت لحم · بالاضافة الى محور مواصلات جديد للقدس يمر عبر الخليل الى جفعون ، ومن ثم القدس ، وينتهي في معاليه ادوميم ، بحيث تشكل هذه المراكز المدينية سوارا دفاعيا مدنيا دائما لمدينة القدس ·

٢ - **في المثلث الصغير** : تقام تشكيلة من المستوطنات اليهودية في القطاع الشرقي لهذا المثلث ابتداء من وادي عادة وانتهاء بكفر قاسم ، عرضه عدة كيلومترات لتعزيز الصلة بين الساحل المأهول بالسكان اليهود ، وبين هذا القطاع الجديد ، وذلك لمنع اي انتشار للسكان العرب المتواجدين بكثافة في هذه المنطقة ·

٣ - **في غور الاردن** : يشق محور مواصلات سريع يسمى « المحور القاطع للسامرة » ومحور مواصلات اخر يمتد من منطقة تل ابيب وحتى غور الاردن على اعتبار ان نهر الاردن هو الحد الشرقي لدولة اسرائيل · وتقام على جانبي هذا المحور تحتية استيطانية ، ترتكز على قواعد عسكرية ومراكز صناعية وسلسلة من المستوطنات المتفاوتة الاحجام ·

٤ - **في القطاع الجنوبي** : تقام تشكيلة من المستوطنات القروية في سفوح جبال الخليل ، بحيث ترتبط خدماتيا بمستوطنة قريات اربع ، بالاضافة الى مركز مديني كبير في افرات ، شمالي الخليل ، يكمل الامتداد الاستيطاني في اليهودية حتى مدخل القدس ·

٥ - **في المنطقة الشمالية للضفة الغربية:**

يقام مركزان مدينيان ، في القطاع الممتد على طول محور المثلث الصغير · المركز الاول في سهل « دوتان » الواقع في الطرف الشمالي للمثلث ، والمركز الثاني في تمنات حيرس ، بالقرب من السامرة ، بحيث ينتهي هذا الامتداد المديني في جفعون ·

٦ - طريقا عرض شماليان جنوبيان في الضفة الغربية ، الاول يبتدىء من مجيدو ،ويمر عبر سهل الدوتان والسامرة، ويتصل بطريق اللطرون ويسمى « محور مفارق العرض » ·

اما الطريق الثاني فيبتدىء من مدينة العفولة، ويتجه جنوبا في موازاة سفوح الجبال حتى مدينة عراد في الجنوب ·

وبهذا تكون اسرائيل قد وضعت ، على حد تعبير الوزير ارئيل شارون « نصب عينيها هدفا تجسده خلال ٢٠ سنة ، بتوطين ٢ مليون يهودي في المنطقة الموازية للشاطىء ، من هضبة الجولان في الشمال، وحتى اوفيرا في الجنوب ، بحيث يشكل المستوطنون في هضبة الجولان ، الحلقة الشمالية والاساسية في هذا المشروع » (معاريف ١-٩-٧٧) ٠

هذا عن المشاريع المستقبلية لحكومة الليكود بالنسبة لاستيطان الاراضي المحتلة وتهويدها ، اما بالنسبة لما نفذته الحكومة من عمليات استيطان غير ما اعلنت عنه حتى الان فهذا غير معروف بالتحديد ، اذ أن الحكومة الاسرائيلية الجديدة « قد اقامت عدة مستوطنات في الشهر الاخير - آب - ، في منطقتي اليهودية والسامرة، دون ان تعلن عنها » على حد تعبير الوزير ارئيل شارون في مقابلة صحفية خاصة ، وتحت عنوان رئيسي في صحيفة معاريف من يوم ٨-٩-١٩٧٧ ٠

توفيق فياض

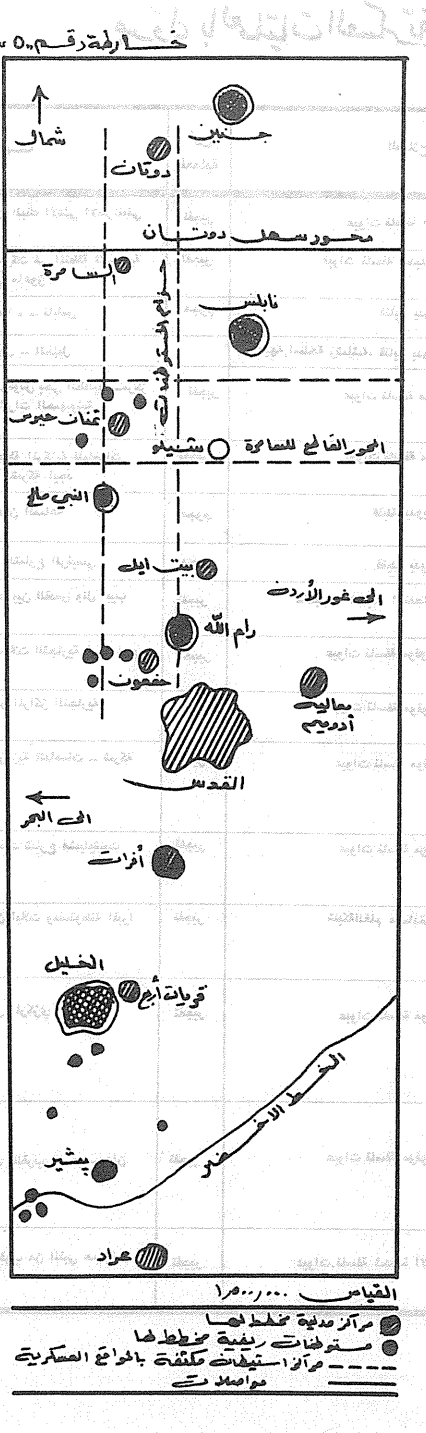

جدول بالعمليات العسكرية لقوات

الرقم	تاريخ العملية		موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل
	اليوم	الساعه			
١	٧-٨-٧٧	٧ر١٥ صباحا	القدس - بالقرب من البنك الاهلي الاسرائيلي شارع صلاح الدين	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة
٢	٩-٨-٧٧	١٠ر٢٥ صباحا	تل ابيب - سوبر ماركت في المنطقة التجارية شارع بن افرايم في حي ماعوز	تفجير	عبوات ناسفة شديدة الانفجار
٣	٩-٨-٧٧	٨ر٠٠ صباحا	مخيم « بلاطة » - نابلس	هجوم	قنابل يدوية
٤	١٢-٨-٧٧	مساء	منطقة حلحول - الخليل		مواجهة اسلحة رشاشة، قنابل يدوية ، قذائف صاروخية
٥	١٣-٨-٧٧	٨ر٠٠ مساء	القدس - شارع ماركوس بحي الطالبية -مركز التحقيق التابع للمخابرات الصهيونية	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة
٦	١٦-٨-٧٧	١٠ر١٥ صباحا	كريات شمونة - المحطة المركزية للباصات داخل الباصات التابعة لشركة ايجد	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة
٧	١٧-٨-٧٧	٨ر٠٠ مساء	نابلس - ميدان الساعة	هجوم	قنبلة يدوية
٨	١٧-٨-٧٧	٨ر٤٠ مسا	نابلس - الشارع الرئيسي	هجوم	قنبلة يدوية
٩	١٨-٨-٧٧	فجرا	خط سكة الحديد بين القدس وتل ابيب	تفجير	متفجرات شديدة الانفجار
١٠	١٩-٨-٧٧	١٠ر١٥ صباحا	بتاح تكفا - اخر المحلات التجارية في شارع حاييم عوزير	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة
١١	٢٥-٨-٧٧	٩ر١٥ صباحا	ناتانيا - اخر المراكز التجارية	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة
١٢			تل ابيب - المحطة المركزية للباصات - شركة ايجد	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة
١٣	٢٧-٨-٧٧	١٣ر٠٠	بوابة يافا - موقف باصات شارع هشيليشيت	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة
١٤			الطريق العسكرية بين ايلات ومستوطنة افيرا جنوب فلسطين	تفجير	شبكةالغام مضادة للاليات
١٥	٢٧-٨-٧٧	١١ر٢٠ صباحا	غزة - سوق الخضار المركزي	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة
١٦	٢٩-٨-٧٧	٨ر١٥ صباحا	العفولة - محل تجاري بالقرب من ميدان الاستقلال	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة
١٧	٣٠-٨-٧٧	٧ر٥ صباحا	مستوطنة رموت - بالقرب من النبي صموئيل في منطقة القدس	تفجير	عبوات ناسفة شديدة الانفجار

الثورة الفلسطينية ٧/٨ - ١٩٧٧/٩/٨

خسائر العدو البشرية		خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة			المصدر البلاغ العسكري	
قتيل	جريح		شهيد	جريح	مفقود	رقم	تاريخ
—	—	اكتشفت العبوات قبيل انفجارهابوقت قصير	—	—	—	٧٧-٧٧	١١-٨-٧٧
—	—	- اكتشفت العبوات على احد الرفوف في السوبر ماركت ·	—	—	—	٧٧-٧٧	١١-٨-٧٧
١		اصابة السيارة باضرار بالغة	—	—	—	٧٧-٧٧	١١-٨-٧٧
غير محدد	غير محدد	قتل وجرح عدد كبير من افراد العدو	١	—	—	٧٧-٧٨	١٣-٨-٧٧
غير محدد	غير محدد	اصابة عدد غير محدد من افراد العدو بين قتيل وجريح · - تصدع احد جدران المركز وتحطم معظم زجاجه واتلاف بعض محتوياته ·	—	—	—	٧٧-٧٩	١٤-٨-٧٧
غير محدد	غير محدد	- مقتل وجرح عدد غير محدد من افراد العدو - تحطم الباص والسيارة الصهيونية	—	—	—	٧٧-٨٠	١٦-٨-٧٧
غير محدد	٨	- اصابة جميع افراد الدورية بجراح مختلفة - اصابة ٨ جنود احدهم برتبة ضابط منجراء هاتين العمليتين	—	—	—	٧٧-٨١	١٨-٨-٧٧
—	—	- اكتشفت المتفجرات بواسطة الدوريات المنتشرة في المنطقة ·	—	—	—	٧٧-٨١	١٨-٨-٧٧
غير محدد	غير محدد	- قتل وجرح ما يزيد على سبعة افراد للعدو - اصابة بعض المحلات التجارية باضرار وتحطم معظم زجاجها	—	—	—	٧٧-٨٢	١٩-٨-٧٧
غير محدد	غير محدد	- مقتل وجرح ما يزيد عن سبعة افرادمنالعدو - تحطيم زجاج معظم المحلات المجاورة ·	—	—	—	٧٧-٨٣	٢٠-٨-٧٧
	٣	- جرح خبير المتفجرات واثنين من رجال الشرطة - اصابة الباص باضرار بالغة	—	—	—	٧٧-٨٤	٢٥-٨-٧٧
غير محدد	غير محدد	تكبيد العدو خسائر مادية وبشرية كبيرة - قتل وجرح عدد من المستوطنين - اعطاب عدد من السيارات - تدمير عدد من المحلات المجاورة	—	—	—	٧٧-٨٥	٢٥-٨-٧٧
غير محدد	غير محدد	- تدمير سيارة جيب عسكرية وقتل وجرح جميع من فيها · - اعطاب ناقلة جنود نصف مجنزرة واصابة جميع من فيها ·	—	—	—	٧٧-٧٦	٢٨-٨-٧٧
غير محدد	غير محدد	- تدمير السيارة تدميرا تاما واصابة جميع من فيها من افراد العدو - مقتل وجرح عدد من افراد العدو فيالسوق	—	—	—	٧٧-٨٧	٢٨-٨-٧٧
غير محدد	غير محدد	- اصابة عدد من افراد العدو بين قتيلوجريح - تدمير المحل تدميرا تاما · - تصدع عدد من الابنية المجاورة · - اعطاب عدد من السيارات	—	—	—	٧٧-٨٨	٢٩-٨-٧٧
	غير محدد	- اصابة عدد من المستوطنين الصهاينةبجراح - اصابة المبنى باضرار مادية بالغة وتحطم معظم زجاجه - تكسر معظم السيارات المتواجدة امام المبنى	—	—	—	٧٧-٨٩	٢٩-٨-٧٧
غير مؤكد	غير مؤكد	- تدمير اربع مستودعات للورق واثنين للخشب وحرق جميع محتوياتها ·	—	—	—	٧٧-٩٠	٣٠-٨-٧٧

الرقم	تاريخ العملية		موقعهـا	نوع العملية	السلاح المستعمل
	اليوم	الساعة			
١٨	٣٠ـ٨ـ٧٧	منتصف الليل	الحي الصناعي القريب من يافا ـ مستودعات الورق والخشب ٠	تفجير	عبوات ناسفة حارقة
١٩	٥ـ٩ـ٧٧	٤ر٣٠ فجرا	يافا ـ شارع بينت	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة
٢٠	٣ـ٩ـ٧٧	ـــــ	كريات شموئيل ـ قرب حيفا مركز الحرس المدني الصهيوني	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة
٢١	٨ـ٩ـ٧٧	٥ر٠٠ صباحا	ايلات ـ مركز شرطة العدو	مجوم	قنابل يدوية
٢٢	٨ـ٩ـ٧٧	٢٤ر٠٠	مفرق اشدود ـ بينه موقف باصات العدو العسكرية	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة

اعترف العدو في برنامج الظهيرة بان عبوة صغيرة انفجرت داخل محل لبيع الالعاب في دوار الاستقلال ، الدوار المركزي في العفولة ووقع الانفجار في الساعة ١١ر٣٥ تماما ، وقال ايضا انه تم اعتقال ٣٠ مشبوها بعد الحادث مباشرة ٠

(رصد اذاعة اسرائيل ، العدد رقم ١٢٨٢ ، الساعة ١٣ر٠٠ ، ص ٣٢٦ ، الثلاثاء ٣٠ـ٨ـ٧٧) ٠

[(٧) ، (٨١ـ٧٧)]

اعترف العدو في نشرته الاخبارية الساعة السابعة ، بان عبوة ناسفة قذفت على سيارة تابعة لقوات الامن في ميدان الساعة في نابلس الساعة الثامنة مساء واصابت بجروح ستة من سكان المدينة ٠

(رصد اذاعة اسرائيل ، العدد رقم ١٢٧٢ ، الساعة ٧ ، الخميس ١٨ـ٨ـ٧٧، ص ٢٠٢) ٠

[(١٦) ، (٨٩ـ٧٧)]

خسائر العدو البشرية		خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة			المصدر ـ البلاغ العسكري	
قتيل	جريح		شهيد	جريح	مفقود	رقم	تاريخ
وقوع اصابات	وقوع اصابات	ـ اعطاب عدد من الات صنع الورق ـ احراق عدد من الشاحنات	ـــ	ـــ	ـــ	٧٧ـ٩١	١ـ٩ـ٧٧
غير مؤكد	غير مؤكد	ـ تدمير اجزاء كبيرة من الشقة ـ تصدع عدد من جدران المبنى وتحطم زجاج بعض الابنية والمحلات المجاورة ·	ـــ	ـــ	ـــ	٧٧ـ٩٢	٥ـ٩ـ٧٧
غير محدد	ـــ	ـ اصابة خبير المتفجرات اصابة بالغة ـ جرح عدد من حرس المركز	ـــ	ـــ	ـــ	٧٧ـ٩٣	٥ـ٩ـ٧٧
غير محدد	غير محدد	ـ الاستيلاء على عدد من قطع الاسلحة من المركز وبعض الوثائق السرية · ـ تضرر المباني المحيطة ـ قتل وجرح عدد من الحراس	ـــ	ـــ	ـــ	٧٧ـ٩٤	٨ـ٩ـ٧٧
١	غير محدد	ـ يعتقد بوقوع اصابات بين افراد العدو	ـــ	ـــ	ـــ	٧٧ـ٩٥	٩ـ٧٧

مروان حميد

Palestine Affairs

Published monthly in Arabic by the Palestine Research Center; *Editor*, Mahmoud Darwish; *Anuual Subscription* (airmail): Lebanon and Syria L L 60. other Arab countries L L 75 or equivalent, Europe L L 100 elsewhere L L 125: *Annual Subscription* (surface mail): Countries outside the Arab World L L 65. *Address:* P. O. Box 1691, Beirut, Lebanon; Tel. 351261: Cables: MARABHATH.

السعر: ٥ ل.ل. في لبنان
٦ ل.س. في سوريا
٦٥٠ فلساً في الكويت والعراق
١٠ دراهم في دولة الامارات العربية
٦ ل.ل. في سائر الاقطار العربية
٨٥٠ درهماً في ج.ع.ل.